الساق على الساق في ما هو الفارياق

أو

أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والأعجام

تأليف

أحمد فارس الشدياق

صاحب الجوائب

الجزء الثاني

عنى بطبعه مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي

« بمصر القاهرة »

مطبعة الفنون الوطنية بشارع كوبري قصر النيل ٢٢

الكتاب الثالث

الفصل الاول

في اضرام اتون

ما كفى بني آدم ما هم فيه من الشقاء والعناء . والجهد والبلاء .
ة والنصب . واللأواء والتعب . والحرمان والنحس . والقنوط
 . يحل بهم في الفرث والوحم . ويولدون في الاوجاع والالم .
ويرضعون في الضرر . ويفطمون في الخطر . ويحبون فيعثرون . ويدرجون
فيتدهورون . ويعشون فيكلون . ويكدون فيملون . ويبطلون فيتضورون .
اذا جاعوا حاروا ووهوا . واذا أكلوا اتخموا وبجروا . واذا ظمئوا نهوا .
واذا شربوا علثوا وغثوا وخثروا . واذا أرقوا ذابوا قلقا وكمدا . واذا ناموا
ذهب العمر منهم سدى . واذا هرموا ملهم أهلهم واخوانهم . واذا احتضروا
حسروهم تحسيرا ربما أحانهم . ثم هم بين ذلك في تحصل أسباب المعاش
ساعون . وفي التظاهر باللباس والزينة معنون . والعرب منهم متهافت على
امرأة تكون له أهلا . وذو الاهل همه بزوجه وتربية ولده طفلا وكهلا .
فاذا مرضوا مرض . واذا حزنوا حزن وحرض . وويل له ان تكن
زوجته برزآ . أو كانت عاقرا ودهاء . ورأى لغيره من المتزوجين بنين ذوي
طلعة ناضرة . وشمائل سارة . فيقول في نفسه انما لذة الدنيا البنون . وأني

ميت بلا خلف وأي منون . وكم من سقوط ظفر وهن الجسم كله . وكم لقلع ضرس ذهب الصبر أو جله . ما عدا الادوآء المتفضلة . والعلل المتأصلة . وتخالف الازمان وحول الاحوال . وتعاقب الاحزان ودول الحال . على هذا الجسم الواني البال . ففي الشتاء يكون عرضة للريح والزكام والبلغم والرطوبات . والبوال والعفونات . وفي الصيف للصفراء والحمى والصداع . والترهل والاستنقاع . وفي الربيع لهيجان الدم وتبيغه ونزغته . وفي الخريف لتحرك السوداء وأذى الهواء وندغته . ثم ان منهم من يولد ويعرض له من العيوب والامراض

الجنأ	أشراف الكاهل على الصدر .
أو القسأ	خروج الصدر ونتوء الخثلة .
والقطأ	دخول الظهر وخروج الصدر .
والحدب	معروف .
والحسبة	أن يبيض جلد الرجل من داء فتفسد شعرته فيصير أبيض وأحمر
والحصبة	بثر يخرج بالجسد
والشب	داء م.
والضبوب	داء في الشفة
والطنب	طول في الرجلين في استرخاء وطول في الظهر
والعكب	غلظ في الشفة واللحى
والغضبة	بخنة تكون بالجفن الأعلى خلقة
والغضاب	داء أو الجدري
والغلب	غلظ العنق
والقلب	انقلاب الشفة
والقلاب	داء القلب

والقوباء الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه
والكنب غلظ يعلو الرجل واليد .
والكوب دقة العنق وعظم الراس
والناقبة داء للانسان من طول الضجعة .
والجوث عظم البطن فى أعلاه أو استرخاء أسفله .
والخوث استرخاء البطن
والضمج آفة تصيب الانسان وهو أيضاً هيجان المابون .
والعناج وجع الصلب .
والفحج تداني صدور القدمين فى المشي وتباعد العقبين والفجج والفخج أقبح منه .
واللخج أسوأ الغمص .
والججج استرخاء الشدقين .
والجلح انحسار الشعر عن جانبي الرأس .
والصفح عرض فاحش فى الجبهة .
والنطف علة يكوى منها الانسان .
والفركحة تباعد ما بين الاليتين .
والفطح عرض الرأس والارنبة .
والفلح شق في الشفةالسفلى
والقادح أكال في الاسنان .
والقلح صفرة الاسنان .
والكسح الزمانة فى اليدين والرجلين .
واللجح اللخص فى العين .
والمرح شدة سيلان العين وفسادها .
والمسح احتراق باطن الركبةلخشونة الثوب أو اصطكاك الر بلتين

ومثله المشح .

والوذح احتراق فى باطن الفخذين .

والبزخ خروج الصدر ودخول الظهر

والزلخة وجع ياخذ في الظهر

والفتخ استرخاء المفاصل أو عرض الكف والقدم وطولها

والنفاخ نفخة الورم من داء يحدث

والجرد عدم الشعر

والدرد ذهاب الأسنان

والردة تقاعس في الذقن

والسواد داء من شرب الماء

والقود طول العنق والظهر

والكباد وجع الكبد

واللهد داء في أرجل الناس وأفخاذهم

والأدر الآدر والمادور من ينفتق صفاقه فيقع قصبه في صفنه الخ وفعله كفرح

والبجر خروج السرة وعظم البطن

والبخر النتن في الفم

والباسور م ج بواسير

والخثر البثور وخثرت العين خرج في أجفانها حب أحمر

والحدرة قرحة تخرج ببياض الجفن

والحصر والحصر الحصر احتباس ذي البطن وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعي في المنطق

والحفر سلاق في أصول الاسنان

والخمرة ورم من جنس الطواعين

والمخنجر داء في البطن
والاخيصر داء في العين
والنهر اسوداد الاسنان ومثله التذيير
والزحير استطلاق البطن
والزعر تفريق الشعر وقلته ،
والزور عوج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينيه
والشتر انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله
والصعر صغر الرأس
والصفر داء في البطن يصفر الوجه
والظفر داء في العين
والظهر داء الظهر
والعور معروف
والتقطير عدم استمساك البول
والقصر يبس فى العنق
والمعر قلة الشعر
والناسور علة فى المآقى وعلة فى حوالي المقعدة وعلة فى اللثة
والكزاز داء من شدة البرد
والسلاس ذهاب العقل
والفقاس داء فى المفاصل
والفطس انفراش الانف فى الوجه
والقعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب
والقفس عظم الرونة
والقنمسة شدة العنق فى قصرها كالأحدب
والكسس قصر الأسنان أو صغرها أو لصوقها بسنوخها

والنقرس ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين
والهوس طرف من الجنون
والحمش دقة الساقين
والخفش صغر العينين وضعف البصر خلقة أو فساد فى الجفون بلا
وجع أو أن يبصر بالليل دون النهار
والدوش ظلمة البصر وضيق العين
والرمش حمرة فى الجفون مع ماء يسيل
والطرش أهون الصمم
والطشاش داء كالزكام
والعطاش داء لا يروى صاحبه
والعمش ضعف البصر مع سيلان الدمع فى أكثر الاوقات
والمدش رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها
والنمش نقط بيض وسود أو بقع تقع فى الجلد تخالف لونه
والبخص لحم ناتئ فوق العينين أو تحتهما كهيئة النفخة والتبخص
انقلاب الاجفان
والبرص معروف
والتمص وجع العصب من كثرة المشي
والحاصة داء يتناثر منه الشعر
والحوص ضيق فى مؤخر العينين أو فى احداهما
والخوص غؤور العينين
والخيص صغر احدى العينين
والرمص وسخ أبيض يجتمع فى الموق
والشوصة وجع فى البطن أو ريح تعتقب فى الاضلاع أو ورم في حجابها
والغمص ما سال من الرمص

والقبص　وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة

والقرماص　قصر الخدين

والقفص　حموضة فى المعدة من شرب الماء على التمر وحرارة فى الحلق

واللحص　تغضن كثير فى أعلى الجفن.

واللخص　كون الجفن الاعلى لحيما

واللصص　تقارب المنكبين والاسنان

والماصة　داء يأخذ الصبي من شعرات على سناسن الفقار الخ

والمعص　التواء فى عصب الرجل

والمغص　معروف

والوقص　قصر العنق

الحرض　فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل

والهرض　الحصف يخرج على البدن من الحر

والخباط　داء كالجنون

والاذوطية　الاذوط الناقص الذقن

والاسطية　الاسط الطويل الرجلين

والسرطان　ورم سوداوي يبتديء مثل اللوزة وأصغر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمر وخضر شبيه بأرجل السرطان لامطمع فى برئه وانما يعالج لئلا يزداد

والضرط　خفة اللحية ورقة الحاجب

والضوط　عوج فى الفم

والطرط　خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب

والفطط　قصر الشعر وجعودته

والمرط　خفة الشعر

والمعط　عدم الشعر

والجحظ	خروج المقلة أو عظمها
والبثع	ظهور الدم فى الشفتين وانقلاب الشفة عند الضحك
والجلع	عدم انضمام الشفتين
والخلع	التواء العرقوب
والرسع	فساد فى الاجفان
والرمع	اصفرار فى وجه المرأة من داء يصيب بظرها
والزلع	شقاق فى ظاهر القدم كالسلح
والزمع	الزيادة فى الاصابع
والصداع	وجع الرأس
والصلع	انحسار شعر مقدم الرأس
والتصوع	تشقق الشعر
والقرع	معروف
والقفع	ارتداد أصابع الرجل الى القدم
والقلاع	داء فى الفم
والقمع	فساد فى موق العين واحمرار أو بثرة تخرج فى اصول الاشفار
والكتع	رجوع الاصابع الى الكف
والكثع	احمرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب
والكلع	شقاق ووسخ فى القدم
والكوع	اقبال الرسغين على المنكبين
واللخع	استرخاء الجسم
واللطع	بياض فى باطن الشفة الخ
والوكع	اقبال الابهام على السبابة من الرجل
والهنع	انحناء فى القامة
والبثغ	ظهور الدم فى الجسد

والدلغ انقلاب الشفة
والفدع التواء فى القدم
والفوغ ضخم في الفم
والوبغ هبرية الرأس
والجنف الجنف في الزور دخول أحد شقيه وانهضامه مع اعتدال الآخر
والحشفة قرحة تخرج بحلق الانسان
والحنف الاعوجاج في الرجل
والخنف انهضام أحد جانبي الصدر أو الظهر
والسأف تشقق وتشعث ماحول الأظفار
والسعفة قروح تخرج على رأس الصبي ووجهه
والشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا قطعت مات صاحبها
والشنف انقلاب الشفة العليا من أعلى
والطرفة نقطة حمراء من الدم تحدث فى العين من ضربة وغيرها
والغضف استرخاء فى الأذن
والغطف كثرة شعر الحاجب
والكتاف وجع الكتف
والكلف شيء يعلو الوجه كالسمسم — وحمرة كدرة تعلو الوجه
والأرقان آفة تصيب الزرع والانسان كاليرقان
والبخق أقبح العور
والبهق بياض رقيق ظاهر البشرة الخ
والحولق وجع فى حلق الانسان
والحماق الجدري أو شبهه
والخناق داء يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة

والروق أن تطول الثنايا العلى السفل
والسلاق بثر يخرج على أصول اللسان أو تقشر فى أصول الاسنان وغلظ فى الاجفان
والشدق سعة الشدق
والشمق مرح الجنون
والغمقة داء يأخذ فى الصلب
والفتق علة فى الصفاق
والفوق ميل الفم والفرج
واللسق لسوق الرئة بالجنب عطشاً
والمشق أن تصيب احدى الربلتين الأخرى
والودق نقط حمر تخرج فى العين تشرق به أو لحمة تعظم فيها أو مرض فيها ترم منه الأذن
والسكك عيب فى الأذن
والساهك حكة العين
والشاكة ورم فى الحلق
والشوكة داء م وحمرة تعلو البدن
والفرك استرخاء أصل الأذن
والفكك انفراج المركب استرخاء
والالل قصر الاسنان واقبالها على غار الفم كاليال
والبدل وجع فى الأباة (اللحمة بين الابط والثندوة) ووجع المفاصل واليدين
والبوال داء يكثر منه البول
والثعل تراكب الاسنان
والثلل تساقط الاسنان
والحذل حمرة فى العين واسلاق وسيلان دمع .

والحقل داء فى البطن
والحلل استرخاء ووجع فى العصب
والحول معروف
والخبل فساد الاعضاء والفالج
والخزل الكسرة فى الظهر
والخمال داء فى المفاصل
والدحل عظم البطن
والدخل ماداخلك من فساد فى عقل أو جسم
والسبل غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة
والسغل السغل الصغير الجثة الدقيق القوائم أو المضطرب الأعضاء أو السيء الخلق والغذاء أو المتخدد المهزول وقد سغل كفرح فى الكل
والسلال م كالسل
والسولة استرخاء البطن وغيره
والصحل البحح
والضمل دقة البدن من تقارب النسب
والطحل داء الطحال
والطلاطلة سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب
والعفل شيء يخرج من قبل النساء كالأدرة
والعقل اصطكاك الركبتين
والعفابيل ما يخرج على الشفة غب الحمى
والغمل فساد الجرح من العصاب
والقبل اقبال احدى الحدقتين على الاخرى
والنملة بثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا

ويدب الى مكان آخر

والاطام حصرة البول والبعر من داء

والجحام داء في العين

والجذام معروف

والخشم تغير رائحة الانف من داء فيه

والرحم وجع الرحم

والسرم وجع الدبر

والضجم عوج في الفم والشدق والشفة والذقن والعنق

والعسم يبس فى مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم

والغمم سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا

والفقم تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى

والقعم ميل وارتفاع فى الاليتين

والكزم قصر فى الانف

والكشم نقصان فى الخلق وفى الحسب

والموم أشد الجدري

والبطن داء البطن

والثفن داء في الثفنة وهي من الانسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ

والدنن انحناء في الظهر ودنو وتطامن فى الصدر والعنق

والزمن العاهة ونحوه الضمن

والتسون استرخاء البطن

والقعن قصر فاحش في الانف

والآهة والماهة الاهة الحصبة والماهة الجدرى

والجله انحسار الشعر عن مقدم الرأس

والشوه طول العنق وقصرها ضد

والفوه	سعة الفم
والقره	القره في الجسد كالقلح في الاسنان
والقهمه	قلة شهوة الطعام كالقهم
والمره	فساد العين لترك الكحل
والبله	قلة الفطنة
والتله	الحيرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا
والدله	ذهاب الفؤاد من هم ونحوه
والبزا	انحناء في الظهر عند العجز أو اشراف وسط الظهر على الاست
والجخو	سعة الجلد واسترخاؤه
والجلا	دون الصلع
والجوى	داء فى الصدر
والحصاة	اشتداد البول في المثانة حتى يصير كالحصاة
والحقوة	وجع في البطن من أكل اللحم
والخذى	استرخاء الاذن وانكسارها
والرثية	وجع المفاصل واليدين والرجلين أو ورم في القوائم أو منعك الالتفات من كبر أو وجع
والشرى	بثور صغار حمر حكاكه
والشغا	اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج
والضوى	دقة الجسم وقلة الجسم خلقة أو الهزال
والطنى	طنى لزق طحاله في رئته بالأضلاع من الجانب الايسر
والفغا	ميل فى الفم
والقعا	هو أن تشرف الأرنبة ثم تقعى نحو القصبة
والقطى	داء فى العجز
واللقوة	داء فى الوجه
واللوى	وجع فى المعدة واعوجاج فى الظهر

وغير ذلك من العيوب كأن يكون الانسان قشموما أو مقرقما أو زعبلا أو سقعطري أو نغاشيا أو ازبا أو دهيا . ومن الادواء التي لم يعرف لها بعد اسم . ومحال ان تحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية والعشرون حرفا . وأصعب ما فيها وأضر الهكاع والتشويل . وقد زاد معاصرون على ذلك الداء الزرنبي مما حلت عنه لغتنا الشريفه . وأعود فاقول ألم يكف بني آدم ان مدى عمرهم قصير . وهمهم فيه طويل كثير . وأمرهم عسير . لكل منهم من العناء والجهد واللوعة . ما يكفيه و آخرين معه . فطالب العلم يسهر الليالي فى تبيين مشاكل . وايضاح مسائل . وذو الصنعة يقضي نهاره كله مكبا على عمله ذا سخط . حتى ينال كفافه فقط . وذو الامارة مشغول البال باحكامه وسياسته . والرئيس ذوهم برئاسته . والملك موجس من وزرائه أن يتحالفوا عليه فيسقوه ما به هلاكه . والوزراء خائفون منه أن ينقم عليهم فتدور بهم أفلاكه . والتاجر يبكر الى محترفه وهو مشفق من كساد بضاعته . والطبيب يخشى ان ترشد الناس فيستغنوا عن براعته . فتعفن عقاقيره . وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره . وسفوفه ولعوقه ووجوره . والقاضي يستعيذ من قدوم من تفتنه من الغيد بجمالها . وتربكه فى مسائل غير مذكورة فى كتابه فيعلق بحبالها . ويتحير من احوالها . والربان يحذر من عصف الارواح . والزاجل من شب نار الحرب التي وقودها الارواح . فكلما رأى سلطانه متغيرا . وخاطره مكدرا . قال اللهم اكفني غير الدهر . واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل العصر . فاني أرى فى وجه ملكي وأميري سيمياء القتال . والرسم بمنازلة الابطال . وأنا ذو صاحبة وعيال . وأملاك وأموال . اللهم اكفف ألسنة الاجانب عن القدح فيه . والق فى قلوبهم رعبه واح من صدره ما يوغره ويزفيه . والحارث يوجل من كثرة الامطار . وهبوب الاعصار . والمعلم من رغبة الناس عن العلم الى الجهل . والمتعلم من عقبة الكتاب . وعاقبة الكتاب . الشافه لما عنده من

عد الجد . والحاظر له عن اللهو والتذ . والمغني والعازف بآلات الطرب من وقوع الغلاء . أو استيلا الحزن على قلوب الاغنياء . واللاعب من اهتدا الناس الى الجد . والشاعر من الفائه ممدوحه كالحجر الصلد . أو محبوبه ذا جفا وصد . والمولف مثلى من مجانين (أى يشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدون له فيحرقون كتابه . ويخرقون اهابه . والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته . وهما من بخله وحرمانهما من ثروته . والقسيس من كتب الفلاسفة . والفلاسفة من وعيد القسيس وبوارده العاصفة . ورعوده القاصفة. وفي الجملة فكل ذى حرفة يخاف من انحراف نفعها عن جانبه . وكل يدعو الله لصلاح حاله ولو بفساد حال صاحبه . اذ لا تكاد تتم مصلحة من هـذه المصالح المذكورة . الا وينجر معها مفسدة بالضرورة . كما قال ابو الطيب المتنبي مصائب قوم عند قوم فوائد . ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما سأله . جدير بنوال ما أمله . وان لغته فى ذلك عند الحق سبحانه وتعالى. أصدق مقالا . نعم اعود فاقول . وان طال المقول . أو ما كفى الناس الخوف من الموت يفاجئهم وهم فى دعة واطمئنان . أو يفجعهم بفقد ما لديهم عزيز من أهل وولد واخوان . وخلان وحيوان . اذ بعض الناس يكلفون بالخيل والطير والسنانير والكلاب . كلفهم بالاهل والاصحاب أو الرعب من أن يسقط أحدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه أو تسرى النار في بيته فيحترق تالده وطريفه فيعدم رزقه . أو يقع فى تيار فيجفأ به الى ما شاء الله . أو تخسف به الارض . أو يخر عليه السقف من فوق . أو تبلغه الوكة من مسافة مائتى فرسخ فتقلقه وتورقه وربما أبكته دما . أو يأتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته . أو يفقد ما في كيسه هميانه فى الطريق . أو ينشب في عينه عود فيعطلها . أو تتشنج به عضلة فيعد بعدها من سقط المتاع . أو يأكل شيئاً ضارا فيودى به . أو شرا ما منسوما فيسقط أمعاءه وارابه . أو يرى جميلة فيؤرقه جمالها فيصبح وهو

هائم متيم يشكو للطبيب من سقامه . وللشاعر من غرامه . فلا هذا يطمعه ويغنيه . ولا ذاك ينفعه ويشفيه . أو قبيحة فتدهمه مرعبة . ويلازمه القمه عن المادية . او تنبحه الكلاب وتخرق ثيابه فيبدو وذمه . أو يسيل دمه أو يكون جالسا يوما على التخت . فيسمع له صريف التحت . فيسود وجهه بين اخوانه وعترته . وأهل قريته وكورته . وربما نبزوه بالخضفى أوالغضفى أو النضفى أو الخبتى أو الخبقى أو الخفقى أو العفقى أو الغفقى أو الحصمى أو الخضمى أو الودمى . أو يقع عليه الكابوس ليلا فيقف جريان دمه على قلبه فيهلك ليلته . نعم ألم يكفهم هـذا كله حتى طفق بعضهم يجهز على بعض كتائب الحدس والتخمين . ويجرد عليه مقانب الخرص والتزكين . فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرعة . وبسيوف اللمن مبضمة . و بنصال الجدال فائدة مارقة . وبنبال الجلاد صاردة خاسقة . فقال بعض الا ان درجات السماء مئة وخمس . فقال غيره الا انها مئة وأربع . فقال آخر لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين . وسل الانثيين . انما هى مئة وست . ثم قام آخر وقال الا ان دركات سقر ستمائة وست وستون . فقام غيره وقال الا انها ستمائة وخمسون . فقال آخر لقد كذبتما والحدتما وضللتما واستوجبتما غل اليدين والرجلين . ونتف الشعرين . أنما هى ستمائة وسبع وستون . ثم قام آخر وقال الا ان قرن الشيطان ثلثمائة وخمسة وخمسون ذراعا . فقال آخر هذا إفك واضح . و بهتان فاضح . بل هو ثلثمائة وستة وخمسون . فقال آخر وكسور . ثم قال آخر الا انه من حديد لكونه ثقيلا على الناس يـ...ـم . فاجابه غيره الا انه من ذهب لكونه يضلهم ويغويهم فقال آخر بل هو مر اليقطين لانه ينمي ثم يذوى . و يكبر ثم يصغر . ويطول ثم يقصر . ثم قام آخر على رأس سلم عال وقال بصوت جهير الا ان بكم أيها الناس لجليدة ينبغى قطعها بحجر لا كبير ولا صغير . فقال آخر بل بسكين ماض لا طويل ولا قصير . فقال آخر لقد سفهتما انما

هى عزيزة علينا . كريمة لدينا . لايصح قطعها بحجر ولا سكين . ولا خدشها بشيء ولو من رقين . فانما هى متصلة بالوريد ومنعقدة بالوتين . ومن قطعها فقد كفر . واستوجب نار سقر . فقال آخر بل قطعها واجب فانها من الزوائد . فاعترضه القائل بعدم القطع انا لا ارى شيئاً غيرها يقطع فما وجه تخصيصها بالقطع . قل بل الشوارب تحفى والاظفار تقلم . قال ولكنها بعد ذلك تنبت وتلك لا . قال انما دليلى القطعى على وجوب القطع عدم نفعها لصاحبها . قال لم يخلق الله شيئاً عبثا من غير نفع . قال بل خلقك اياك لغير فائدة . قال لا بل أنت مخلوق عبثا . ثم حشد كل من الفريقين بخيله ورجله . وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومحله . فمن بين قارع بحد الحسام . ورام بالسهام . وباطش بيده وقاذع بلسانه وهاج بقلمه . فالروس متناثرة . والدماء جارية والاعضاء متطايرة . والعرض مهتور والحرمات مهتكة . والمال مسلوب والديار مخربة . والحزازات فى الصدور كامنة . والمشاحنة ظاهرة وباطنة . والخيل مسرجة . والكماة مدججة . والطرق معطلة . والارض ممحلة . والفرص للانتقام مرقوبة . والدعوات فى الليالى مشبوبة . يأيها الناس اعتبروا بمن فات . كيف صار الى الرفات . وان منهم من كان يذكر اسمه فى حياته بالبركات . فاصبح يذكر باللعنات ومنهم من كان يحسب فى قومه سراجاً وهاجا . فصار يحسب دخانا وعجاجا ومنهم من كان يأكل حتى ينتفخ بطنه وتجحظ عيناه . ويتلجلج لسانه وترتخى شفتاه . فصار الآن الدود يأكله . وبعض الحشرات يستوبله . فأيها الناس وجمهوركم فى سبات والباقى فى نعاس . فرار من غرور النفس . وحذار من قرور الرمس . وبدار الى تقدم عمل صالح يقربكم الى الله . ويلائم بعضكم ببعض وأنتم فى الحياة . أتموتون وفى قلوبكم الحقد على خصمكم . وفى أفواهكم اللعن على مخالفكم فى زعمكم . ألم يقل لكم الحق كونوا ياعباد على الارض اخوانا فانكم من أب واحد وأم واحدة وانكم جميعا

لميتون . سواء كنتم ذوي وجوه سمر أو حمر أو صفر أو سود أو بيض انكم كلكم بشر انكم كلكم فانون . انكم ناظرون ولا مسون وسامعون وشامون وطاعمون . ما بال الجليدى منكم يشنأ اللاجليدى . والحديدى منكم يمقت اليقطيني. أفلا تتوادعون . ألم أظهر لكم في طلوع الشمس وغروبها. وفى بروغ الكواكب ومغيبها . وفى سكون الريح وهبوبها . وفى خمود النار وشبوبها . وفى زخر المياه ونضوبها . وفى صروف الدهر وخطوبه. وهمومه وكروبه . وفي سواد الشعر ومشيبه . وفى هرم الجسم وشحوبه . وفي الازمان اذا توالت . والاحوال اذا حالت . والدول اذا دالت. وفى الغياض اذا أبهجت . والرياض اذا تدبجت . والاشجار اذا أورقت وجردت . والاطيار اذا زقزقت وغردت . وفي اللسان اذا نطق . والقلم اذا مشق . ليس لعمرى بين الوحوش الضارية والطيور الكاسرة ما بينكم من العداوة والبغضاء . والضغن والشحناء . اذكروا يوم ان صعد خطيبكم المنبر. وعبس وبسر . وتوعد وتنكر . وخطأ وكفر . وحض على القتال وذمر . ثم دعا فاستغفر . واستخار الله واستبشر . فاغرتم على جرائكم. وانتهكتم حرمات اخوانكم . وفرقتم بين الأم ورضيعها . والمرأة وضجيعها . وبين الأب وولده . وسبده ولبده . اذكروا يوم ان حشد رئيسكم اليه اعوانه . وهاج أهله واخدانه . على أن يخون سلطانه . وأى خيانه . وما ذلك الا لخطأ لغته له فى الحزر والتقدير . والتأويل والتعبير . والتخريج والتفسير. اذكروا يوم أن أعلمتم أنفسكم بملائم الجهاد . وقلتم هذه حرب الله هذا قتال لرضى رب العباد . هذا يوم كسب الثواب . والنجاة من العذاب . فأفيضوا الى العدو . من البر والبحر . واغتنموا عند الله أجر هذا البر . اذكروا يوم ان تنازعتم على لون طعام تأكلونه . وشكل شراب تشربونه . ورحضة جسم تغسلونه . ونوع فراش تتوسدونه . ورقعة ثوب تلبسونه . ووجه كلام تفكونه . ومتاع تستعملونه . اللخلاف فى هذه الدنيا فطرتم . أم بالخصام

والمعاداة أمرتم . ما بال علماء الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون فى أدلتهم . وان اختلفوا لم يشبوا النار لتحقيق نحلتهم . وأنتم تشبونها عند كل فرصة تسنح لكم . ووهم يسبق اليه فكركم . وكان الاولى أن تتواطأوا على رأى واحد كما تواطأ أولئك . وان تسنوا لعباد الله مصالحهم لا ان تدخلوهم فى هذه الملاحك . وتربكوهم فى هذه المرابك . وان تهدوهم الى أقوم المسالك . لا ان تلبسوا عليهم فى هـذه الحوالك . دعوهم يشتغلوا بأسباب معيشتهم . ولا تكلفوهم ادراك مافوق طاقتكم وطاقتهم . واعملوا انتم أيضا بايديكم ساعتين اذا عملتم بالسنتكم النضناضة ساعة . واجمعوا أمركم عند تفرق اهوائكم على الالفة والطاعة . انسيتم ما جاء فى الزبور الذى به تلهجون . وتهذون وتذبرون . وهو قوله ما أحسن الاخوة ان تسكن جميعا فى بيت واحـد كالدهن النازل على اللحية لحية هرون . الا ولا تحرموا ما حلل الله لكم من الطيبات . ولا تتلاوصوا الى معرفة ما لغيركم من الهفوات . ولا تبيعوا أملاك السماوات . وانتم على الارض من ذوى البطالة والترهات . ليس على السوقى ان يتزوج خرجية من حرج . ولا على الخرجى ان يتزوج سوقية من مرج . فان اختلاف الحزر فيما لا يعلم . لا يكون مانعا للفوز بهذا المغنم . الذى يدريه من تعلم ومن لم يتعلم . أو لم تعلموا ان الارحام من الرحمة اشتقت . والى المصاهرة شـقت . وعلى الانساب انطبقت . والى التآخى والتآلف خلقت . وبالتواد اختصت . ولانتهاز فرص الحظ فرصت . فما لـكم عنها تتباعـدون . وتتقاعسون وتتقاعدون . ولم انتم هؤلاء فى بحر الشك والظن تسبحون . وتستبضعون تجارة الخرص وتربحون . لا يسمع الله دعاء احد منكم فى الشرق الا اذا كان يستدعو به أهل الغرب . ولا يفيزكم بالآخرة الا اذا تألمتم فى الدنيا على هـذا الضرب . فليصافح اذاً اخضر الرأس منكم اسوده . ومـدوره ذو القبعة مخروطه ذا اللبدة . وليصف كل منكم لأخيه نيته ووده . ويحفظ له

عهــده . واذ قد انفقتم على المخلوق فلا تختلفوا على الخالق . فهو رب المغارب والمشارق . وانه ليريد ان المشرقى منكم اذا سافر الى المغرب يرى أهله فيه له اهلا . وشمله شملا . فاقبلوا النصيحة . واسمعوا ما يمر بكم . بعدها من العبارات الفصيحة . والمعاني المليحة . فى هذا الفصل الذى سميته

الفصل الثاني

فى العشق والزواج

قد ذكرت فى آخــر الكتاب الثاني ان الفارياق ابتلاه الله بامراض كثيرة وكتب وفيرة ثم انجاه منها جميعا . وانه بعــد ان رأى نفسه معافى منها اطمان خاطره واخلد الى الغناء . والآن ينبغي ان اذكر ختام هذه النوبة . وعاقبة هذه الحوبة . وتفصيل ذلك ان الدار التي كان فيها الخريجيون كانت محاذية لدار بعض التجار . وكان له بنت تحب السماع واللهو والطرب وترتاح الى الغناء جدا . فكانت اذا سمعت الفارياق يغني أو يعزف في غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى أن يفرغ فتنزل الى حجرتها . فلما علم الفارياق أن صعودها كان لأجله اذ لم يكن أحد غيره يظن به التعرض لها صبت اليها نفسه ونزغه فيها نازغ من الهوى . غير انه كان من طبعه النفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين أشقى الناس . لان الحالة الزوجية لا يبدو منها في الغالب سوى صعوباتها ومشقاتها . وكان اذا قيل له فلان تزوج تأخــذه به رأفة ويرثى له كما يرثى لمن دار به تيار شديد أو رزىء برزيئة كبرى . فتنازع فيه حاملا الهوى والحذر . فيجحت كفة

الاول الثاني فرأى ان مجرد النظر أولى من التعرض باشارة تدل على انه ذو صبوة وهيام . ومكثا على ذلك مدة وهو أحذر من القرلى . حتى اذا كان يوم ورآها تمسح محاجرها بمنديل اما من حر الشمس أو من غيره اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه . فانفتقت بنائق الصبر من صدره . وهاج به الوجد لازالة حذره . وقال في نفسه أيما بل أحد غيري دموع باكية بالاعراض . وهل وراء الدموع غير الهوى . كيف لا تذيبني وما قلبي بجلمد . ولا أنا بمخلد . وقد علمت ان أعظم لذات الحيوة ما اذا وجد الانسان له خدينا نويا . وقرينا صفيا . وأنا غريب محتاج الى مؤنس في وحشتي . ورفيق في وحدتي . ومن مؤنس مثل الزوجة . وأي خير في العزوبة لمن رزقه الله قوة وحوجه . وبمثل هذه الخواطر السريعة وطن نفسه على تحمل أعباء الهوى من أي جهة كانت . فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما . فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى الخد أخرى . وأصبع تقرن بأخرى . وذراعين تشبحان مع تنفس وزفير . وشفتين تضمان . ورأس يهز وغير ذلك مما يتعلل به المبتدئون في الحب . فاما المتناهون فلا يرضيهم الا الهصر بالفودين كما نص عليه الاستاذ امرء القيس . ودامت دولة الاشارة بينهما أياما مديدة من دون كلام . فلما عجزت الايدي وسائر الجوارح عن ترجمة ما في القلب وخصوصاً لبعد ما بينهما احتالا على أن يجتمعا في مكان بحيث يرى المحب حبيبه . فلما بصر بها عن قريب وجدها والفضل لمخترع الزي المصري عندلة جزلة . اذ لو كانت مرتدية بالزي الافرنجي لما عرف هل كان ما في صدرها عهنا أو برسا أو قطنا . أو خرفعا أو عطنا . أو بيلما . أو قشبرا أو حريرا أو نودلا (١) . أو كان ما وراءها

---

(١) العهن الصوف أو المصبوغ ألوانا والبرس القطن أو شبيه به أو قطن البردى والخرفع القطن المندوف والعطم الصوف المنفوش والبيلم قطن البردي وقطن القصب والقشبر أردأ الصوف ونفايته والنودل الثدى .

عظامة أو خماً وشحما . فان وهاتان الصفتان أعنى العندلية والجزلية أحسن ما يراد من المرأه . فان الاولى تشفع في الكون الامامى والثانية في الكون الخلفي . قلت وقد جاء عن سيدنا سليمان عليه السلام مدح العندلية بقوله في الفصل الخامس من سفر الامثال فليروينك ثدياها في كل حين . ولقائل أن يقول ان العهن واخواته مع وجود اليد والجت (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق الصفتين المذكورتين . والجواب ان ذلك محظور غالباً في البلاد المشرقية ولا سيما من أول مرة . فاما عند غيرهم فلا محظور منه ولذلك شاع استعمال العظامات عندهم بلا نكير .

ثم حيث تقدم لنا فى الكتاب الاول وصف الحمار على أسلوب أفرنجي فلا بأس هنا أيضاً فى وصف الرجل قبيل الزواج على النسق المذكور فنقول : انه مدة تعلله بغبطة الزواج وتلحزه من لذاته . لا يخطر بباله شيء من مستأنف آفاته . وانما يخطر فى حدسه . ويقول فى نفسه ان حالتى لا تكون كحالة معارفى وجيراني . الذين تزوجوا وأخطأتهم الأماني . اذهم لم يؤدوا الزواج حقه . ولم يأخذوا فى أسبابه بالثقة . لان منهم من باعل . وهو غير كفؤ لهذا العمل . اما لصفر راحته . أو لعدم سماحته . أو لمباينة سنه عن سن زوجته . أو لضعف فى آلته . أو لانه كان من الرمالقية على شفا . أو كان مصلفاً أو مشفشفاً . (٢) أو لان أميره كان يغيبه عن وطنه . أو لأن جاره كان يخالفه الى عطنه . أو لان أمه كانت رقيباً على امرأته . أو لأن امامه كان ضيزناً له على مائدته . فلذلك ثار بينهما النقار . وطال النفار . فقد القميصان من قبل ومن دبر . ونتف شعران والصخب كثر . وخدش الجلدان خدشاً بالظفر . وأنتن الريحان

---

(١) الجت جس الكبش ليعرف سمنه من هزاله

(٢) المصلف من لا تحظى عنده امرأة وهو أيضاً الذي ثقلت روحه وقل خيره والمشفشف من به رعدة واختلاط غيره واشفاقاً على حرمه .

من فوق السرر . أما أنا فاني بحمد الله خال عن هذه الخلال . فلا تحول لي مع زوجتي حال . ولا تزاحمني فيها الرجال . ولا يعتريها مني ملال . فرضاى رضاها . ومناى مناها . وما أنا بأدرم ولا أبخر . ولا أحدب ولا أخنب . وان لي يدين أعمل بهما ورجلين أسعي عليهما . وان يكن بي من عيب فى خلقي . يستره عنى حسن خلقي . فاني لاأعارضهافى طعامها . ولا فى لباسها ومنامها . بحيث تنام الى جنبي . وتتخذ من الملبوس مايليق بها وبي . مما يمنعني من اتخاذ قرينة . تكون على هذه الصفة الميمونة . حتى اذا سمع الناس بأن زوجي عروب . وعرضها عندي مصون ووجهها عن المراود محجوب . حسدوني على هذه النعمة السابغة . فكان لي كل غصة من العيش سائغة . ولا يخفى كم فى كيد الحسود من لذة . لاتتماعس عنها الا لذة . ماعدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس الذي قربه للقلب ترويح وللكرب تنفيس . وان امرءاً يقاسي النهار جهده . ثم يبيت في الليل وحده . من دون ضجيع له تنفخ في أنفه . وتسخن دمه من أمامه ومن خلفه . لجدير بان يحصى مع الاموات . ويلقى بين الرفات . هذا واني أستغنى برضبها عن الشراب . وبشم شعرها عن المسك والملاب . فانهم قالوا ان الرائحة الانثوية تستنشق من منابت الشعر وبها نشوة الحواس . سواء كان في المغابن أو في الرأس . واجتزىء بحر جسدها عن الوقود الاصطلاء . وبالرنو اليها عن الأثمد والجلاء . فيتوفر علي كل يوم في الاقل درهم . أنفق نصفه على الحمام كل غداة فيبقى لي النصف الآخر وذلك خير غنم . وغنى أتم .

فاما ما يقال في كيد النساء . واعناتهن الرجال بما يعز على الاسا . فليس ذلك على عمومه . ولا تقرر حكم الا واستثنى أمور من تعميمه . فلعلي أول من أخرجه هذا الاستثناء . وسن للاعزاب على الزواج الثناء . كيف لا وأنا ذو فصاحة وتبيان . ودهاء وجنان . فما يعييني شيء من

نكرها . ولا تخفى عني خافية من امرها . فاعارضها واحججها . وأربها ان لي عليها قضية تضطرها الى طاعتي وتحوجها . فان قلت لها اليوم يصوم فيه الباعلون . ويتبتل الفاعلون . قالت أنا أول من صام . وآخر من نام . وان قلت لايجمل بالمحصنة ان تتبرج . قالت ولا ان تتغنج . وان قلت ان حق الزوجة على زوجها في كل اسبوع مرة . قالت وتبقى ايضاً عفيفة حرة . وان قلت ليس الحلي بلازم للعرس . قالت ولا الديباج شر لبس . وفي الجملة فان عيشي معها يكون رغيدا . وحالي سعيدا . وحظي مديدا . وطعامي مريئا . وشرابي هنيئا . وثوبي وضيئا . وفرشي وطيئاً . وبيتي مأنوسا . ومتاعي محروسا . وطرفي قريرا وشأني مذكورا . وسعيي ميمونا . وقصدي مامونا . فحي هل الزواج . بلهوب مفتاح . طلعتها علاج . من الالعاج . وضجعتها انهاج . الى الإفلاج . انتهى .
وانا اقول ان مما غرس في هذه الطينة البشرية اللثية ان الرجل متى وطن نفسه على الزواج حبب الله اليه زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن الناس خلقا وخلقا . لا بل يرى نفسه انه قد ترفع عن اقرانه . وتعزى على اخوانه . حتى يستخس ما كان من قبل يستعظمه . وانه قد صار انسانا جديدا يجدر بان يجدد له وجه الارض . وبناء على ذلك لم يعد الفارياق يرضى بالاغاني والاشعار المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى جديدة من نظمه . ونظم خلال ذلك قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب غريب نحانا طيخيتين كما سترى ذلك . ولو استطاع ان يخترع كلاما جديدا يعبر به عن غرامه وحديث شأنه لفعل . وكان اذا راى رجلا متزوجا يهيب به وينشده

انا في حلبة الزواج المجلى — اما انت فسكل قاشور
ان قدحي يفوز عما قريب — انما قدحك السفيح يبور

او عزبا قال له

يا ايها الاعزاب اني رافض دين العزوبة فاقتدوا بمثاليا
ليس الغنى الا البعال فبادروا يا قوم واستغنوا بمثل بعاليا

وتهوس يوما لأن ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تبافتا على احداث شيء غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك . وهي

ساعة البعد عنك شهر وعام الـــوصل يمضي كانما هو ساعه
اتنجم الليـل الطويل صبابة وتنجمي لنجوم ذي تفليـك
ويخفق مني القلب ان هبت الصبا ويذكرني البـدر المنير محياك
الاليت شعري كم يقاسي من النوى واحائه قلب يذوب تجـلدا

ومن الفضول هنا أن نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عيني قــرة . واني اراك أحسن الخلق . وانا ليغبطنا الناس . وانك تغنيني عن الغنى . واني بقربك سعيد . وببعدك عميد . وانا نكون أبداً كما نحن الآن . وانك ذات ملاحة تشغل الخلي . واني اغار عليك من النسيم يفيء شعرك هذا الدجى . وانا لجسمان في روح واحد أو روحان في جسم واحــد . وانك لترين مني كل يوم حبا جديدا . واني لارى فيك كل وقت حسناً حديثا . وانا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين . الى غير ذلك من الكلام المتعارف عند أمثاله . قال خير أيام الانسان في حياته هي المدة التي تتقدم الزواج والتي تليه . قلت ومبلغها عنــد الأفرنج شهر يسمونه قمر العسل وهو بعد الزواج . ومبلغها عندنا معاشر العرب شهران يقال لهما قمرا العسل . حتى اذا امتلأت الخلية عادت كل نحلة زنبورا ورجع كل شيء الى اصله .

وأقول ان المحبة هي ممــا غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش . فلا بد لهذا المخلوق الآدمي من أن يحب ذاتا من الذوات أو شيئاً من الاشياء أو معنى من المعاني . وكلما زاد حبه في قسم منها نقص في قسيمه الآخر . وقد يكون أحدها سببا في زيادة حبه للاخر . مثال ذلك من كلف بالشعر أو الغناء أو التصوير فكلفه هذا

يكون باعثاً له على حب الذات الجميلة . ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وأن تقل رغبته فى النساء بل ربما لهى عنهن بالكلية . ومن كلف بالخيل المطهمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حبّ الذات أولا . وعد بعضهم من هذا النوع السراباتيه وهم المنظفون للمراحيض . وأسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلف من هوى النفس . فهذه ثلاث حالات متسببة عن ثلاثة أسباب . وهناك أيضاً ثلاث أحوال اخرى باعتبار القلة والكثرة وما بينها . الاولى متعادلة وهي أن يحب المحب محبوبه كنفسه . فلا تطيب نفسه بشيء ولا تهنئه لذة الا اذا كان محبوبه مشاركاً له فى تلك اللذة . وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبعيده . ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة . الثانية المتعدية أى المجاوزة للمتعادلة . وذلك كأن يحب المحب حبيبه أكثر من نفسه . وذلك صفة ألاب وألام فى حب ولدهما وصفة بعض العشاق . أما ألاب فانه يفدى ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسرات حتى يمنعه بها . فاذا راى نفسه عاجزاً عن الاكل والبعال وراى ابنه يأكل ويباعل لذ له ذلك . وهو مع هذا غير خال ايضاً عن الرشد والتمييز . فاما العاشق فانه قد يؤثر معشوقه على نفسه غير ان افعاله تكون مختلة في غير محلها ووقتها . والثالثة معلومة وهي ان يحب الانسان محبوبه مع ايثار نفسه عليه وهو الاغلب . وهناك ايضاً ثلاث احوال اخري مكانية وهي القرب والبعد والتوسط . ولها تأثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس . فالصادق الود يحب في حالي القرب والبعد على حد سوى . بل ربما كان البعاد مهيجا له الى زيادة الشوق والغرام . وما احسن قول من قال في هذا المعنى

كان الهوى شمس ابى ان يردها مهاة نوى لا بل تزيد بها حرا

فاما الطرف الشنق فانه لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا . وثلاث اخرى

رمانية وهى الصبي والشباب والكهولة . فحبة الصبي اسرع واعلق . ومحبة الشباب أحر وأقوى . ومحبة الكهولة اقر وادوم . والكهل يقدر محاسن محبوبه ومنافعه اكثر . ومحبته له تكون امر واحلى . فالمرارة لعلمه انه قد عرض نفسه للوم اللائمين وعذل العاذلين من الاحداث والاغرار . ولأشفاقه دائما من ملل محبوبه اياه . فقلبه ابداً واجب . وهمه بشأنه ناصب . والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم . ولكون هواه والحالة هذه راهنا متمكنا فهو يعتقد بمجامع قلبه انه ساع فى اسباب سعادته وحظه . ولها ايضاً ثلاث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعنى اليسر والعسر وحالة ما بينهما . اما الموسر فان محبته ابرد واحول . لأن غناه يحمله على استبدال محبوبه والتنقل من حال الى حال . فلتحذر النساء المحصنات هذا الصنف من الناس وان ماس بهن ماسه . الا اذا كن لا يخفن على سرهن وعرضهن . لأن الغني يستحل خزن الدينار . وعنده ان كل شيء عبد درهمه . وطوع نهمه . فاما الفقير فان محبته اشط واشذ والوع . لان فقره من حيث كان مانعا له من ازالة الموانع التى تحول بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضى به اليأس او الخبال او الى الانتحار . فاما المتوسط فان حبه اعدل واصح . ولها ايضاً ثلاث حالات اخرى وهى الذل والعز والمساواة . فالذل غالباً صفة العاشق والعز صفة المعشوق . ومن اعجب انواع المحبة الحب المختلط بالبغض . وذلك كأن يهوى رجل امراة وهي تهوى غيره وتتمنع عليه . فيهيج به وجده الى وصولها تشفياً منها . فان فاز به غلبت محبته على كراهية والا فلا . ولا يزال هذا دأبه حتى يسلو عنها . والغالب ان المحب لا يسلو محبوبه اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر بآخر شبيه له فى خلقه وخلقه وهيهات ذلك . فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من قلب الناظر موقعاً مكيناً . فتخلج فيه من محركات الوجد والشوق ما تخلجه عشرة مدة مديدة . وعندى انه لا بد وان يكون

المحب قد تصور فى عقله سابقاً صفات وكيفيات من الحسن فصبا اليها . حتى اذا شاهدها حقيقة فى ذات من الذوات كما كان تصورها علق بها قلبه وخاطره فكان كمن وجد ضالة ينشدها . وقد تكون المحبة عن طول سماع عن شخص فيسترسل السامع اليه شيئاً فشيئاً حتى يكلف به . وأكثر أسباب المحبة النظر والعشرة . واعلم أن كثيراً من الناس قد عشقوا الصور الجميلة فى الذكور والاناث لغير دعارة وفسق . وانما هو ارتياح نفس ووجد بال . ويؤيده ما ورد فى الأثر . من عشق فكتم فعف فمات مات شهيداً . والعاشق فى هذه الحالة يرضى من معشوقه بادنى شيء . فالقبلة عنده نصر وفتح وغنيمة . قال الشريف الرضى

سلوا مضجعى عني وعنها فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعني . وقال ابن الفارض رحمه

بات طوع يدى والوصل يجمعنا فى بردتيه التقى لا نعرف الدنسا

وهذا العشق يسمي عند الأفرنج العشق الافلاطونى نسبة الى أفلاطون الحكيم . ولا حقيقة له عندهم وانما هو مجرد تسمية . ويعرف عندنا بالهوى عذرى . نسبة الى عذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية أى بكارتها وافتضاضها وشيء آخر منها . ويروى عن مجنون ليلى انها اتته يوما وجعلت تحدثه فقال لها اليك عني فاني مشغول بهواك وللمتنبي في هذا المعنى

فشغلت عن رد السلا م فكان شغلي عنك بك

واحق النساء بان تعشق وتعز التي جمعت الي حسن خلقها الادب وحسن المنطق والصوت . واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جاء في بعض المواليات المصرية . فانه والحالة هذه يقدم على أصعب الاعمال واعظم المساعي . ويباشرها من دون ان يشعر بها . لان فكره ابداً مشغول بمحاسن حبيبه . فلو رفع صخرة في هذه الحالة على عاتقه بل

غنداً لتوهم انه رنع نوال محبوبه أو بالحري رجليه . ثم انه مما يلحق المحبة من طوارىء التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فان عيش الخالي لاخير فيه . لان الحب يبعث على المروءة والنخوة والشهامة والكرم . ويلهم المحب المعاني اللطيفة والخواطر الدقيقة . ويكسبه الاخلاق المرضية . ويستوحيه الى عمل شيء عظيم يذكر به اسمه ويحمد شأنه ولا سيما عند محبوبته . وقلما رأيت عاشقاً به جفاء وفظاظة أو رث، وبلادة أو دناءة وخساسة . قال بعض المزهين وأظنه من التيتائيين لولم يمنع من عشق المرأة شيء بعد التعفف والتورع سوى الاضطرار الى حبها لكفى . لأن الانسان متى علم أنه مسخر لحب شيء ومكلف به مله بالطبع ونفر منه . قال فيكون حب المرأة على هذا مغايراً الطبع . هذا اذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالي الهمة . فاما الاوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر أنفسهم فهم يتساقطون على حب المرأة حيثما عنت لهم وكيفما اتفق . قلت هو كلام من لم يذق الحب أو من كان مفركا . ولو سمع أنثى تقول له يوما احمل يا روحي هذا الحمل من الحطب على رأسك أو احب ياعيني على استك كالولد الصغير للباها حاملا وزحنقفاً (١) ثم ان للعشاق مذاهب مختلفة في العشق . فمنهم من يهوى ذات التصنع والتمويه والعجب . ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يؤثر الحسن الطبيعي . وأن يكون في محبوبته بعض الغفلة والبلاهة . والى هذا أشار المتنبي بقوله

حسن الحضارة مجلوب بتطرئة وفي البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الاول مثل من يقدم له لون من الطعام وبه قمه فيحتاج الى التفحية والتقتيت . ومثل الثاني مثل من به سيفنية وسرطمية (٢) فلا يمنعه

---

(١) الزحنقف الزاحف على استه

(٢) سيفنية طائر بمصر لا يقع على شجرة الا أكل جميع ورقها والسرطم الواسع الحلق السريع البلع

عـدم التفحية والتوابل من أن يلسو ويلوس ويلتى ثم يلحس قعر الجفنة بعـد فراغه منها . فأما رغبة بعض الناس في الغفول والبلاهة فانها مبنية على ان احب لا يزال يقترح من محبوبته أشياء كثيرة تبعث اليها الحاجة. فتى كانت ذات دهاء وذكاء خشى ان تمله وتحرمه . ومنهم من يزيد في المـرأة غراماً اذا كانت ذات عزة وشرة ومعاسرة . فيكون استرضاؤها أدعى الى النشاط والسعي . وهـذا يفعله في الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة . ومنهم من يعشق المرأة لاتسامها بسمة شرف وسيادة أو وجاهة . وذلك دأب ذوى الطموح والاستطاعة . ومن هذا الصنف من اذا رأى امرأة وضيعة الشأن تشبه امرأة شريفة عشقها لأجل حصول المشابهة فقط . ويقال لأهل هـذا المذهب المشبهية . وهو فى النساء أكثر فان المرأة لا تكاد ترى رجلا الا وتقول لعله يشبه بعض الأمراء الغابرين أو الحاضرين أو الآتين . ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينـة . وذلك شأن ذوي الرفق والرقة . ومنهم من يعشق من على طلعتها آثار الحزن والكآبة والفكرة . وهو مذهب ذوي الحنين والطرب ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس . وهو خلق المحـزونين المبتئسين . فان النظر الى مثل هذه ينفي الهم . ويجـلو الكرب والغم . ومنهم من يعشق من بها مرح ونزف وطيش وبربرة وقهقهة . وهو دأب السفهاء والجهلا . ومنهم من يعشق المرأة لأدبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها . وهو مذهب العلماء والادباء. ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلي والتأنق في الملبوس كثيرة الغنج والتمويه . وهو طريقة ذوي السرف والشطط . ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة . وهو شأن الفساق الفجار . ومنهم من يعشق الخيتعور الشهوانية المتلعجة الطفسة . وهو خلق من بلغ به العهر ب مبلغ . ومنهم من يعشق اللاعة الخريدة العفيفة ابتغاء أن يفسدها ثم يتباهى بذلك بين أقرانه . فاذا رضيت له ملهاة

أو ارادها أن تكون على غير تلك الحال . وهو عندي شر من عاشق المتوهجة . ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها في محبوبته بحسب اختلاف الاحوال . هذا في الخلق فاما في الخلق فالنحيف يهوى السمينة وبالعكس . والاسمر يحب البيضاء وبالعكس . والطويل يحب القصيرة وبالعكس . والاملط يحب الكثيرة الشعر وبالعكس . أما النساء فاحب الرجال اليهن الفارس الأبتع . الشجاع الاروع . فاما الغنى والفقر فلا ضابط لهما فان الغني يتهافت على حب الفقيرة كما يتهافت على حب الغنيـة . بل البخيل من الاغنياء يؤثر حب الفقيرة طمعاً في أن يرضيها بالقليل من المال . والغالب أيضاً ايثار حب الجيل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التي تتصور المخيلة وجودها فيه دون غيره . الا اذا منع مانع جهل بلغته فحينئذ يحصل للمخيلة انقباض في تماديها . وكما ان لطف النساء وقلفطتهن تعجب الرجال ولا سيما في الفراش كذلك كان يعجب النساء من الرجال ترارتهم وشيظميتهم . فلا تكاد امراة ترى رجلا على هـذه الصفة الا وتقول في قلبها عند هـذا كفايتي وغناي . وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطول من الطول . غير ان النساء على الأعم يجنين اللذات من كل مجنى و يكرعن من مواردها ماساغ وما أغص . فمثلهن كمثـل النحلة تجنى من الزهر وان يكن على الدمن . فأما الغيرة فهى خلق طبيعي في كل بشر اذا كان سليم الذوق . فان الانسان يغار على متاعه من أن ينتهكه غيره فكيف على حرمته . وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نسائهم فليس على اطلاقه . فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معاً اذا علم منها خيانة . نعم انهم يتساهلون معهن في أمور كثيرة ربمـا تعد عند المشرقيين قيادة . الا انها في نفس الامر وقاية من الخيانة . اذ قد تقرر عندهم ان الرجل اذا حظر امرأته عن الخروج وعن معاشرة الغير أغراها بالضمد . بخلاف ما اذا أرضاها بهذه اللذات الخارجية .

ثم انه لما علم اجتماع المستعسلين أي الفارياق والبنت خلافا للعادة المألوفة ذاقت أمها من ذلك مرارة الصاب فاستشارت بعض أصدقائها في أمرها فقالوا لها لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من الخرجيين . وأنت من أعز بيت من السوقيين وهما لايجتمعان . فقالت لهم ليس هو من جرثومة الخرجيين بل هو دخيل فيهم . قالوا لافرق في ذلك فان رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأن خياشيمنا وحذروها منه غاية التحذير . مع اني قد حذرتهم وأمثالهم في الفصل الذي مر من هذا الفضول . فلما علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق من مصالح النساء . وانما هي مصلحة من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه . والمقصود من الزواج انما هو التراضي والوفق بين الرجل والمرأة . وان أبيتم ذلك فها أنا أنذركم اني لست من السوقيين في شيء . فرات أمها ان تغيب بها اياما عن ذلك المحل رجاء أن يبعثها البعد على السلوان . فهاجت ج جميع عواصف الهوى في كل من العاسل والمعسول . واليه أشار أبونواس بقوله ـ دع عنك لومي فان اللوم اغراء ـ فلما رأت الأم ان لااشارة . تمنع البنت من الاشتيارة . ولا جزر . يكفها عن الجزر . (١) رجعت الى منزلها واستدعت بالفارياق وقالت له . قد علمت ان السوقيين لايبغون مصاهرتك . فان كان عزمك على أن تتزوج ابنتي ينبغي لك أن تتسوق ولو يوماً واحداً قال لابأس . فعلى هذا تسوق يوم عقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت . ثم أحضرت آلات الطرب ليلا وأديرت الكؤوس وزها مجلس الأنس والسرور . والفارياق مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومعيد على العازفين الاطراء وقول آه وايه وأوه . حتى اذا كلت يده ولسانه ورأى ان عزم الشرب ان يسهروا الليلة كلها الى الصباح انسل من بينهم وصعد الى السطح لكي يستريح . وكانت الليلة مقمرة

---

(١) الجزر شور العسل من خليته

من ليالي الصيف . فلما أبطأ عليهم ظنوا انه تفلت من الأربة فأخذوا في التفتيش عليه كما يفتش على امرأة فاللك او فارك . فلما وجدوه وعلموا ان نيته مخالفة لنيتهم أخلوا له ولعروسه حجرة وهموا بالانصراف . فقالت الأم لا أو تنظروا بأعينكم البصيرة (١)

وسبب ذلك ان عادة أهل مصر في الغالب هي أن يتزوج الرجل المرأة من دون أن يعاشرها ويعرف أخلاقها . وانما ينظر اليها نظرة واحدة بأن تناوله مثلا فنجان قهوة أو كاس شراب بحضرة أمها . فان أعجبته خطبها من أهلها والا كف رجله عن زيارتهم . ومنهم من يتزوج ولم يكن رأى امرأته قط . وذلك بأن يبعث اليها بأمه أو عجوز امن أقاربه ومعارفه أو قسيسا فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم . والغالب ان أم البنت ترشي القسيس ليجيد صفة بنتها فيرغب الرجل في التزوج بها . ومنهم من يتزوج امرأة قاطنة في بلاد بعيدة فيبعث الى أحد معارفه في تلك الجهة ليصفها له في كتاب ثم يستخير الله ويرتبق . ومع ذلك فان عيش هؤلاء المتزوجين على هذا النمط يكون هنيئا . فاما في بلاد الشام فعادة أهل المدن كعادة أهل مصر وعادة أهل الجبل مغايرة . فان الرجل هناك يتمكن من رؤية المرأة ومعرفة أخلاقها . هذا ولما كان الفارياق قد تعدى حدود العادة بمصر في كونه اجتمع بالبنت مرارا عديدة في حضور أمها وفي غيابها . أرادت أمها أن تنفي عنها العار باظهار علامة البكارة ، حتى يشيع خبر براءة البنت في جميع البلاد . فان أكثر الناس لاشغل لهم الا الكلام . فاجتمعت تلك الزمرة وراء الباب بعد أن جمعوا بين العروسين . وطفق الواحد منهم ينادي ويقول افتح الباب يا أبا مزلاج . فظن الفارياق انه يريد الدخول عليهما ليعلمه كيف يكون العمل . ففتح له فقال له ما هذا الباب عنيت وانما أردت باب الفرج . فرجع الى عروسه واذا بآخر يقول

---

(١) شيء من الدم يستدل به على الرمية ودم البكر

لج القبية ياولاج . وآخر نجر الطامنة يابجاج . وغيره ارو الصدى يأجاج . وآخر أرل الزغب ياحلاج . وغيره أفرغ السجل ياخلاج — أسرع الوطء يازلاج — املأ الوطب يازماج — ملل الملول يامعاج — اغطس في اللجة ياغاطس — افقس البيضة يافاقس — أجل المسواك ياوامس — تسور السور يامعافس — روض المهرة يافارس . وما زالوا به حتى شام ابا عمير وناول أمها البصيرة . فتهللت منهم الوجوه وفرحا حبورا . وصفقت الايدي استبشارا وسرورا . ونطقت الالسن بالتبرئة . وختموها بالتهنئة ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غانمين . وكادت الأم تطول عن الأرض شبرا لهذا الفتح المبين .

القصيدتان الطيخيتان

ما كنت أول عاشق بين الورى	تبع العشيقة من امام ومن ورا
ورأى البكاء له معينا شافيا	يوما ويوما أضحك المستعبرا
ويكون مصروع الغرام مزبيا(١)	متكسسا مستقبلا مستدبرا
ومحنبشا ومجمشا ومدهفشا	ومنكصا ومزنجرا ومعنجرا
ومرنعا ومعنيا ومصفرا	ومشببا ومطبلا ومزمرا
وفيينة متثائبا متطميا	وفيينة متقاعسا مقعنصرا
واذا رأى رأيا مشيدا كان في	ابرامه مترهنا متأخرا
فالعشق عقل العقل عن صيوره	حتى يضل عن الصواب ويبطرا
قد كنت أعجب أن يقولوا شاعر	ذو جنة واخال ذلك مفترى
حتى لقيت صويحبي كليهما	فاذا هما من طينة قد صورا
خلق الجمال لعين صب جنة	ولقلبه نارا تزيد تسعرا
لا غرو أن يغدو لحمرة وجه من	يهوى وقد حمل الغرام مجمرا
ياليت يغني المرء يوما واحدا	عنهن من شيء يباع ويشترى

(١) التزبب التزيد في الكلام كالتزبيب وزبب فمه اجتمع الريق في صامغيه والتكسس التكلف

ليت الجمال لهن مثل الملح في | قدر الطعام مهوعا ان كثرا
بل ليتهن خلقن أقبح ما يرى | كيلا نهيم تحيرا وتحيرا
ليت الكواعب كن هضلاحبذا | الطرطب مع لا يا كبادى منظرا
ياليت ذي الهيفاء دردحة(١)وذي الدهساء فلحسة فيهنئنا الكرى
ليت العيون النجل ضيقة وما | في الثغر من در نظيم صفرا
ياليت كانت كل ساق فعمة | عودالشكاعى بل أدق وأضمرا
ياليت لم يصلت جبين فوقه | شعر كليل كل غر غررا
ياليت ما في الجيد من عنط بدا | وقصا لاعيننا وشيا منكرا
والحسن ان القبح أحسن ملمحا | اذ ليس يبكى العين ما منه يرى
فلأي داع كان شغل عقولنا | وقلوبنا بهوى الوثائر أكثرا
ولم اختصصن بكل علق مضنة | وبكل حلى فاخر دون الورى
وبم ارتفعن على الرجال تطاولا | ولهن تحت تقدما وتأخرا
والى م تصطبر الفحول وقد طغت | أفعالهن تحير المتصبرا
منا خرجن عقلنا ويخرجن اذ | يدخلن أو يخرجن سفهمن مرى
ولأي شيء لم يكن قود على | من لحظها قلب المتيم قد فرى
ولأي شيء حل رشف الريق من | ثغر الرشوف وكان ذلك مسكرا
وعلى م تعتز الشناط على شج | يمسى ويصبح بالغرام محسرا
سلها هل التنور فاركما انبغى | في كل شهر أم تأخرا اشهرا
اين المعالي والمكارم اين من | فخر الانام بعزه وتجبرا
يقتاده اسم الخودان ذكرت له | طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا
واذا تجشأ ساعة في وجهه | من اي سم قال انشي عنبرا
ولربما عسق الكبير فجن من | ريح من الحسناء تفعم منخرا

---

(١) الدردحة المراة التي طولها وعرضها سواء والدهساء العجزاء والفلحسة المراة الصغيرة العجز

ولو ان دا القرنين جارى كيدها　لراى الى قرنيه قرنا آخرا
لولا النساء لما رايت مخطاء　ومسفها ومفسقا ومفجرا
ومفلسا ومجبها (١) ومعننا　ومكشخنا ومجرسا ومعزرا
ومتيما ومهيما ومسهما　ومدمما ومذمما ومشهرا
ولما تناثرت الجماجم في الوغى　تحت السنابك وهى تورى والمغفرا
ولما عفت دول بهن لهت فبيتها　الدمار فاصبحت تحت الثرى
املت علي حوادث الامم التي　غبرت فقلت مقال من قد حررا
يارب قد فتن النساء عقولنا　فامسخ محاسنهن قبحا يزدرى
أو فاجعلن غشاوة تغشى على　ابصارنا اولا فاعم المبصرا
او فانصنا او فابصنا او فالصنا　او فاخصنا طبعا بصاء بالحرى

الثانية

لمن أشكو وقلبي اليوم من أكبر أعداى
لمن أشكو وعقلي اليوم معقول بأهواى
وطرفي مبسل لبي　ولبي جالب داى
ولوامي من كانوا　اذا غبت أوداى
ولآواى من الألو　عن الألى من اللاى
وقد افسد آرابي　جميعاً بعضها اللاى
رأى نار الهوى تذكو　لاحراق واصلاء
فما بالي باصلاى　تلظيها واسلاى
يقول الحتف من لمج　وكوني ميت أحياء

---

(١) التجبيه ان تحمر وجوه الزانيين ويحملا على بعير او حمار ويخالف بين وجوههما وكان القياس ان يقابل بين وجوههما لانه من التجبيه والكشخان الديوث وكشخنه قال له يا كشخان .

احب الي من عيشي يوما عيش تيتاء
حياة الصرى تكدير وصفوتها باصفاء
وما ينجع نصح فيه لو كان باتلاء
فهل من حكم ما بيننا يقرو بافتاء
عواديه ودعواه باصباحي وإمساى
ونورته ورثأته لاخزاى واختاى
طغا خطبي فما لى اليوم من آس واسواى
فاسواى لا ينفك من لهج باسواء
فلا يشغلكم هجوي وتقريظي واطراى
فراسي اليوم امرة لداعي نكس اهواى
فلا مطمع فى رشد خليع رق اغواء
اذا وقصت به عنقي فلا تشكوا لاذماى
وان شججت به راسي فلا تبكوا لادماى
وان هشمت به سنى فلا تعموا عن الماء
وان بخقت به عيني فلا تكروا لاعماى
جرى المقدور من قدم بتضليلي واشقاى
فلو شاء لأبقاني معافى اي ابقاء
ولو شاء لأعماني عن لفاء سء
دعواذا الوجد يشقيني ويعنيني باشفاء
وهذا العشق يضنيني ولا تعنوا باشفاى
فذا عظمي وذا جلدي وذا شاني وانشاى
فما يدخل ما بيني وبين هوى بأحشاى
سوى فظ فضولي زنيم شر مشاء
اذا اسمعتكم عتباً فعدوني من الشاء

ولا تبقوا على طوقي   وجلبابي   وأعضائي
فان القدم من يسمع ذا عذل باغضاء
وان الحر من يسمع عتباً تلو ارضاء

الاغاني

يا بدر مالك ثان   في حسنك الفتان
فارحم فتى ولهان   مبلبل البال
عذب بما ترضاه   الا الجفا أخشاه
قدطال ما أصلاه   وأنت لي سالي
يا يوسف الحسن   حوشيت من سجن
هددت بالحزن   أركان آمالي
من ذا الذي أغراك   بصد من يهواك
الطرف منه باك   وجسمه بالي
حتام ذا الهجران   والصد والحرمان
حسن بلا احسان   كالري بالآل
محبك الواجد   منك الرضى فاقد
ياليتني واجد   اتهام عذالي
أضناني السهد   وعزني الوجد
ما القصد ما القصد   سواك يا عالي
يا فاتن العشاق   باللحظ والاحداق
تبارك الخلاق   لحسنك الكالي
أفديك بالمال   والروح والآل
رضاك أشهى لي   من طول آجالي

غـــيره

ما ترى عيني مثيلك　　يا رشا فارحم قتيلك
لم يرم الا ســلامك　　ثم ان شئت جميلك
كل ما فيــك مليح　　كبــدي منه جريح
بليت تفدى مقامك　　والهوى فيها صحيح
أنت لي يا بدر سالي　　وأنا للهجــر صالي
من يذق يوما غرامك　　لم يذق طعم الليالي
يارشا صــد دلالا　　وجوابي منــه لالا
أسمع العبذ كلامك　　وارقب المولى تعالى
فيك تعبيــدي وذلي　　وهيامي أصل ضلي
ليت من غيري رامك　　يبتلي بالهجــر مثلي
ضقت بالهجران ذرعا　　ولشوقي كان أدعى
لم أزل أرعى ذمامك　　وذمامي لست ترعى
ان يكن وصل فعدني　　فيك قد أحسنت ظني
أســأل الله دوامك　　فهو لي أشهى تمني
ياماليك الحُسن طرا　　يعرض المملوك أمرا
أدعه يوما غلامك　　ان له أجريت ذكرا
طال بالبــاب مثولي　　والتفات منك سولي
من رأى يوما قوامك　　راح صبا ذا نحول
انمــا بدري غــزال　　فاتني منــه الدلال
ياعذولي دع ملامك　　انما العشق حــلال

غـيره

الاغـا طبيـبي يامن لي سبيت   والهوى نصيبي من يوم انتشيت
ان في شحوبي شكوى لو رثيت   ياصنو القضيب ما هـذا الجفا
يوسف الجمال ذا الهوى صعب   تهت بالدلال شأنك العجب
ان تسل عن حالي ينفع العتب   أو بقيت سالي لم يفـد دوا
من حمل الصدود صرت في ذا الحال   من مطل الوعود صار جسمي بال
أدمعي شهودي واشتغال البال   ليس من محيد عن حكم الهوى
قد رثى لي اللاحي لما عاداني   وعـلا نواحي ممـا آذني
وجهك الصباحي ضلا زادني   يازين المـلاح أنعم باللقـا
من عـا تشا تلقني مطيع   تلقني فـداه جهد المستطيع
وإعي أذكاه شكلك البديع   جسدي أضناه منك قول لا
من يجد كوجدي يدر قصتي   ليس غـير الوعد منـك حصتي
بعض هذا الصد أصل غصتي   أنا فيك وحدي مبتـلي أنا

غـيره

يافاتر الجفـون ما بدالك   حتى جفوت عاشقا جمالك
وياقضيب البان ما أمالك   عن مغرم مؤمل وصالك
عذب بمـا ترضاه ياغزالي   الا الجفا شماتة العـذال
أنعم بوصل منك يوماً بالي   أنعم طول العمر ربى بالك
علام تجفوني وما لى ذنب   وما لقلبي عن هواك قلب
بحق من أولاك ما تحب   دعنى أقبـل مرة أذيالك
لم يبق لي على الصدود طوق   وعال صبري عنك هذا الشوق
وليس لى الى سواك توق   وهل لعيني ان ترى أمثالك

احرمت طرفي في الليالى غمضا وقلت أرضى عله أن يرضى
ياهل ترى صدك عنى فرضا فمن بقتلي .يارشا أفتى لك
ناشدتك الله أنلني سولى وكن رفيقاً بي يامأمولى
يكفى الذى تراه من نحولى يعيذ رب العرش منه حالك

غيره

يا بدر قل لي هذا الهجران تغـوي اليـه ام أمنيـه
جدلى بوصل يا غصن البان تؤجر عليـه او فى النية
ماالقصد الا يوماً مرآك فالصب صار في بليـه
لاتخش عذلا ممـن أغراك فهـو أمار بالأذيـه
نعمت بالا أنعـم بالى ياذا الجفـون الهنديه
وطبت حالا طيب حالى نلى شجون فى الطويه
فقت الأناما بما حويت من الخصال الملكيـة
ومنـك راما عبـد سبيت بـذا الدلال قرب الطيه
كم ذا المطال ولا وصـال ليست ترام ذي السجيه
هذي الفعال يارب الخال وذا الغـرام لي منيه
انت المـراد دون الأنام لا نـد لك فى البريه
فما سعاد بين الوسـام انت مـلاك او حوريه

غيره

الى هنـا يابدر لى انت المنى كل جـنى منك الرضى الا أنا
يا فاتـنى بالدل لمـا تخطر وشاجـني اذجزت شزراً تنظر
قدشاقنى منك المحيا الازهر واسـتاقنى وجدي الى حد المنا
بي كلما القاك عنى معرضاً وجـد نما لكن جسمي أمرضا

يإذا اللمى حتام لاتبدي الرضي صل مغرماً البسته هـذا الضنا
سبحان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قـد فتن صبا به امسى عميد
انت الحسن والشوق فى قلبي يزيد ان الشجن للعظم منى اوهنا
كلفت فى ذا العشق تبريح الجوى حـتى تفى لكن! هيهات الوفا
هل منصفى مما به يقضي الهوى او مسعفى خدن على نيل المنى
يا بدر لا تسمع مقال العاذل وارع الولا ناهيك وجدى قاتلي
فقت الملا حسنا ففق بالنائل جد بالطلا من فيك ياحلو الجنى

غـــيره

اذا أمر الهوى رابك فـلا تفتح له بابك
ولا تشغل به دابك يسمك الحزن والهما
أتيت العشق من بابه وعالجت با كوابه
فما قد ذقت من صابه دعاني لم أذق طعما
هو العشق له مبـدا ولا تلقى له حـدا
يذيق العاشق السهدا ويبلي الجلد والعظما
أيا من قد كوى قلبي بهذا الدل والعجب
اذا لم تستمع عتبي فمن أشكو له السقما
تناهى بي الذي أجد من الشوق الذي يقد
فدتك الروح والجسد فكن يوماً معي سلما
لقد افرطت في هجري وملكت الهوى أمري
فـلا والله ما أدري اسحرا كان أم حلما
عسى أو عل أن تشفى عليلا منك يستشفى
ونيران الهوى تطفى فقل تطفا وخذ مهما
غدا مضناك ياحب له صـبر ولا قلب
ودمع فيك منصب لأن يسقى بفيك الما

غــيره

طيري لاغير لا اسلو عنه ساعه · يا اهل الخير هلا رعتم من راعه
دمعي سكب ونار شوقي لاتخبو · ولي قلب للهوى يبدي الطاعه
انا الهـائم عن حب السوى صائم · ليلي قائم لا اغفى فيـه ساعه
أشكو الوجدا ولم تزد الا صـدا · فارحم عبدا قد نوعت اوجاعه
مالي صـبر وكيف صبري يا بدر · وذا الهجر اشقى نفسي الطماعه
طغا الهجران ومايشفى الصب الولهان · مثل السلوان لـكن نفسي نزاعه
اراني البين انواع الضنا والحين · وعشق الزين مني فوق الاستطاعه
دوام الصد لم يترك للمضنى جد · ولين القـد ينشي فيـه اطماعه

غــيره

لو لم تدم بـلوايا · لم تستمع شكوايا
ولا درى مبـكايا · من فى الهوى يلحاني
اكثرت من صدودى · يا مخلفـاً وعـودى
لم ترع لي عهودى · ولم تسل عن شاني
اعرضت عـنى كبراً · وكان وصلي احرى
لقد عدمت الصبرا · من فرط ما دهاني
حملتـــنى اثقـالا · وطبت عـنى بالا
قل لى نعم اولا لا · فالمطل قد اضـناني
يامفـرد الجمـال · يابدر احسـن حالى
شمت بي عـذالي · اما كفى اشـجاني
سبحان من قد ابدع · هذا المحيا الاروع
والحسن طراً اودع · فى طرفك الفتـان

ان الهوى هوان تضنى به الابدان
ما اختاره انسان الا وكان العاني
مولاى يا مولايا يا منتهى منـايا
لاتتخـذ سوايا وتسـلنى بشاني

الفصل الثالث

فى العدوى

قد تقدم فى المقامة الأولى ان عدوى الشر أفشى من عدوى الخير. وان الاجرب قد يعدى أهل المصر جميعا بخلاف الصحيح فانه لايعدي أحـداً من جيرانه . وهـذا يرى أيضاً فى الأمراض العقلية والقلبية . وشاهده على ما قالوه ان معلمى الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم اياهم ترك عقولهم و يافن رأيهم . وكذلك المكثرون من مخالطة النساء فان قلوبهم ترق وطباعهم تتخنث . فيتجردون عن تلك الشـهامة و البسالة المختصة بالحردين من الناس . وقد أعرف كثيراً من أبنا جنسى الذين عاشروا الافرنج لم تسترق طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل . فصار احدهم لا يقوم عن المـائدة الا وقد مسح الصحفة التى أكل منها مسحا لاتحتاج معه الى غسل . واذا حضر مجلسا انحى على أحد شفيه وزقع زقعة يدوى منها المجلس . وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزى أى اعذرونى . ومنهم من يلبس هذه النعال الافرنجيه . و يطأ بها ساودتك هذه العربية . أو يرخي شعره كشعر المرأة وأول ما يستقر به مجلس ينزع قبعته و يطفق و يزرع فى حجرتك ما يتناثر من هبريته . ومنهم من اذا ضمه مجلس بين اخوانه ومعارفه أو وغيرهم و رأى فيه أديبين يتساجلان أو يرويان النوادر الغريبة

أخذ فى التصفير . ولكن تصفيراً مختلا خلاسيا أى غير أفرنجى محت ولا عربي حتم . اذ لم يكن قد عاشر القوم مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا الفن الجليل . ومنهم من يمد رجله اذا قعد فى وجه جليسه . ومنهم من من يأتيك زائراً ولا يبرح ينظر فى كل هنيهة الى ساعته أشارة الى انه كثير الأشغال جم المصالح . مع انه يلبث عندك حتى يراك تهوم من النعاس . أو يراك قد حملت وسادتك وقلت شفي الله مريضكم . كما قال الاخفش لمن عادوه فى مرضه . مع أن للأفرنج فضائل كثيرة لا تنكر . منها انهم يرون فى استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيباً . ومنها انه اذا زار أحدهم خليلا له وراه مشغولا رجع على عقبيه من حيث جاء فلا يقعد ينتظره حتى يفرغ من شغله . بل لو وجده متفرغا خفف قعوده عنده ما أمكن . واذا رأى على مائدته كراريس أو صحفاً لم يتلقفها ليقراها ويفهم مضمونها . ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض أو كانت زوجته قد وضعت أو مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام والكلام فيما لا طائل تحته . ومنها أن أحدهم لا يتزوج امرأة الا بعد أن يراها ويعاشرها . وانهم يبوسون أيدى النساء ووجوه بناتهن وما يرون فى ذلك معرة وانحطاط قدر . وانه ليس عندهم أوشن (١) ولا ضيفن ولا مزو . ولا يقول أحدهم لصاحبه اعرنى منديلك كى أمخط فيه أو آلتك كى احتقن بها . ومنها تساهلهم مع المؤلفين وحملهم ما يصدر منهم من الجهل والخطأ محمل السهو أو الأغراب . فلا يتعنتون مثلا على من قال فلان شم النرجس وحبق . أو حبق وشم النرجس . أو شم فحبق او ثم حبق . والمؤلفون عندنا لا يجوزون ذلك . وفى كتاب الفه احد معارفى من الديار الشامية باللغة الانجليزية فى احوال تلك البلاد واخلاق اهلها . بعد ان وصف عرساً حضره فى دمشق ذكر انهم ختموا العرس بأغنية لم يزل ذاكراً لها بحروفها . وقد راي تفضلا منه ان يترجمها الى اللغة المذكورة . وهي

---

(١) الرجل الذي يأتي الرجل و يقعد معه و يأكل طعامه

فى الحقيقة مرثية فى امراة اذكر منها بيتين وهما

بالله ياقبر هل زالت محاسنها   وهل تغير ذاك المنظر النضر

ما انت ياقبر بستان ولافلك   فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانجليز حملوا روايته على الاغراب ولم يخطئه احد منهم بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع أن يختموا أعراسهم بالمراثي المبكية . ولكن لو كانت روايته هذه فى اللغة العربية وبلغت مسامع أهلها لعقدوا عليه مجلسين أحدهما عامى والآخر خاصى ففي العامي يقول أحدهم ما شاء الله ياأخي مرثية فى ختام العرس اسمعوا ياناس وتعجبوا من حذق هذا الراوى . فيقول الآخر أى والله مرثية بدل الغنا عمركم ياناس سمعتوا كلام زى دا . فيقول غيره لاحول ولا قوة الا بالله مالقيش المغفل دي الرثاء يجمله فى ختام العرس . فيقول آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يكنش غفله أعظم من دى أهل العرس يختموا فرحهم بمرثية وما يتطيروش . فيقول غيره الله على دى الراوى هو مغفل ولا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دى ويملا كتابه بالهجس والكلام الفارغ . فيقول آخر ياسلام دى والله أغرب ماسمعت ان الناس يستعملوا النواح عوض الغناء والبكاء عوض الضحك والصفع على القفا بدل المصافحة باليد . فيقول غيره ولكن الناس دول اللى قروا كتابه حمير ولا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانياً) ياخواجا (واذا كان مسلماً أو مستسلماً) ياأفندى أهل بلادك يتطيروا ويتشاءموا كثير فما يصححش ان الرثاء عندهم يستعمل فى الأعراس . فيقول الآخر سبحان الله هو حمار ضحك على حمير ياخي خلونا منه . فيقول غيره لا اله الا الله نحب نعرف السيره ايه ان كان كلامه دا جد ولا مزح . فيقول آخر مزح ازاى اللى هو طابعه فى كتاب ينباع فى الدكاكين ومصور عليه صورته بسيف وحمايل وأزرار . فيقول غيره بقا تقول ازاى

يبقي الأنجليز يبلعوا كل شيء يستفرغه فى حلقهم الغريب اللي عنده سيف بأزرار وحمايل . فيقول آخر أظن الأفرنج كلهم يصدقوا الخرافات. فيقول آخر يأخي دا باب واسع اول الكلام وآخره غفله من الراوى وحماقة من السامعين . الى غير ذلك من الانتقاد والتعنت .

فأما فى المجلس الخاصى فأن القضية تبلغ فيه مبلغاً أعظم من ذلك وأخطر . فانهم يصورونها فى صور فتاوى علمية واجوبة فقهية فيستفتى أعظم ادباء المجلس قائلا . ماقول أمام الادباء . وتاج الألباء . فى مؤلف زعم ان أهلي الشام يستعملون المراثي فى ختام أعراسهم . فهل تقبل له شهادة أو لا . الجواب . لاتقبل له شهادة عندنا على ذنب حمار . وان باع كل نسخة من كتابه عند الافرنج بدينار .

صورة استفتاء آخر . ماقول عمدة المصنفين . وقدوة المؤلفين . فى مدع أدعي انه سمع بكلتا اذنيه مرثية تنشد فى ختام عرس فى الشام الشريف. فهل يصدق كلامه وتجوز مطالعة كتابه أو لا . الجواب لا يصدق ولا يوثق بما رأه بعينه لا فى الليل و لا فى النهار . ولا بما سمعه باذنيه وان كان كاذني الحمار .

استفتاء آخر . ما قول من كلامه مزيل للايهام . وموضح للابهام . فى كاتب أودع فى كتاب الفه كثيراً من الروايات الهذاهذيه(١) والحكايات الاقنآسية . وزعم فى جملة ما قاله ان أهل الشام ينشدون المراثى فى ختام أعراسهم . فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب أو لا . الحواب . من كذب فى قضية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذباً فى سائر القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب .

استفتاء آخر ما قول أجل النقاد . وحجة ذوى الرشاد . فى رجل الف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيراً من الأمراء والوزراء . والقضاة والعلماء.

---

(١) الهذاهذ الذين يقولون لكل من رأوه هذا منهم أو من خدمهم

وانهم له أصحاب وخــلان . وأنساب واخوان . ثم ذكر فى موضع من الكتاب انه حضر عرساً فى دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والرياحين . والمغنيات والمغنين . وكان ختام ما غنوا به مرثية قيلت فى امرأة . فهل على فرض كونه كاذبا فى هذه تشفع له معرفته بالوزراء فى تصديقه بغيرها . الجواب . ما هو بصادق فى هذه ولا فى غيرها ولا تشفع له معرفته بالامراء فى شىء كما ورد

لن تنفع الراوى الافاك لحيته بانه يعرف الاعيان والامرا

استفتاء آخر . ما قول من لا يعلو قول على قوله . ولا يقطع امر الا بفضله . فى رجل ذي رواء . وسراويلات مفرسخة من امام ومن وراء . الف كتاباً ضمنه ما سمعه وما رآه فى بلاده . وكان من جملة ذلك قوله انه رأى عروساً تزف وتنشد بين يديها مرثية فى امرأة . فهل يعتمد على روائه بالاخذ فى روايته . الجواب . ليست الرواية من الرواء . ولا يعتمد على زيه . فى الاخبار عن ميته وحيه . كما ورد

لن تنفع الراوي الأفاك حليته ولا سراويله ان فاه أو سطرا

استفتاء آخر . ماقول عمدة الأنام . عفا عنه الملك العلام . فى رجل تصدقه العجم . وتأخذ بكلامه فى كل أمرأهم . وتقر عيون نسائهم بالنظر الى لحيته . وسراويلاته وحليته . وكمرنه وجلاقته . وخرعنه وجلعته . فيخلبهن خلباً . ويأسرهن غراماً وحبا . الف كتاباً اودعه من اخبار اهل بلاده اى بلادنا ما شاقهن واعجبهن . وشهاهن وعربهن . فمن جملة ذلك انه شهد محفلا حفيلا . وعرسا جليلا . قد زين بالانوار الزاهره . والوجوه الناضرة . والمآكل القديه . والمشارب الهنيا . والمشمومات الذكيه . ولما شرع فى زفاف العروس الى بعلها . واستعدت الجدود بفتح ومليها . اذا بمنشدين ومنشدات . ومطربين ومطربات . وقفوا بين يدى العروس . وعلى وجوههم سيما الحزن والعبوس . وشرعوا ينشدون

مرثية طويلة . فى امراة توفيت منذ سنين غير قليلة . فهل يصدق وصفه . ويشفع له فيه خلبه الاعاجم وصرفه . وحذبه منهم وحلفه . وقدامه وخلفه . الجواب . لا يؤخذ بكلامه فيما افتراه . وان كان له اخدان من العجم على عدد شعرات قفاه . كما ورد

لن تنفع الراوى الافاك شيعته   من الاعاجم لا يدرون ماهذرا

مع ان كلام المؤلف لم يضر بأهل بلاده شيئاً يوجب التحزب عليه فغاية ما يقال فيه انه نسبهم الى وضع الشيء فى غير محله . ولكن هذه عادتهم فى التعنيت فلا يكاد يسلم منهم مؤلف . ولو ان صاحب هذا الكتاب المذكور قال للانجليز ان الرجال فى بلاده يلبسون الليف والخوص . والنساء يتزين بالخزف والشقف . ويتكلمن وأفواههن مطبقة . وينظرن وعيونهن مغمضة . ويسمعن واذانهن مسدودة . ويرقدن ساعة فى الضحى . وصف ساعة فى الظهر . وساعة وربما فى العصر . وساعتين الا ربعا فى المساء وثلث ساعات الا ثلثا فى الليل . لعدوا ذلك منه اغراباً .

ومن هذا القبيل أى من قبيل استراق الأنسان مذام عشيره دون محامده كان الطهار البصيرة أى علامة البكارة المشار اليها . فانها عدوى سرت الى نصارى المشرق من اليهود على ما ذكر فى كتبهم . مع ان لهذا الجيل أيضاً فضائل كثيرة عرفوا بها من قديم الزمان الى الآن . منها درايتهم بجمع الاموال والجواهر ومعاطاتهم الحرف الخفيفة اللطيفة كالصيرفية والنقد والقرض . وصبغ ما هو قديم من الثياب حتى يأتي جديداً .

ومن ذلك حب بعضهم بعضاً بحيث ان الغريب فيهم من جنسهم لا يحتاج الى أن يتكفف ما فى أيدى الناس ممن سواهم . ولا يخاف ان يعوزه المال وهو بين ظهرانيهم فيتقوت بالجذور . أو يكون خلطاً فيبيح عرضه للاجانب . بل يلقى فى كل بلد نزله وكان فيه اناس من جيله أهلاً وسكناً . ومنها انهم قد اصطلحوا على لغة يعبرون بها عما يخطر ببالهم من المصالح

الماشية . ولا فرق بين يهودى من أقصى المغرب وآخر من أقصى المشرق فى الاخلاق والاطوار والعادات والرأي . بخلاف النصارى فان النصراني المشرقى اذا قدم الى بلاد النصارى الفربيين فأول ما يحيونه عند رؤيتهم له قولهم هذا يهودي أو تركى . ثم هو اذا احتاج الى مبيت أو طعام من عندهم أبلغوه الى رئيس ديوان البوليس فصانه هناك فى موضع لا نور فيه ولا هوا الى ان يقضي عليه القاضي . كما جرى هذه السنة على أمير القفه الذى قدم من دير القمر الى باريس . وأن يكن موسراً وجاء بلادهم للتفرج عليها غبنه منهم من غبن وخدعه من خدعه وسرقه من سرق وقامره من قمر حتى يرجع الى وطنه منتوفا مسلوخا . فكيف تركت نصارى الشرق جميع هذه الصفات التى اتصفت بها اليهود وتعلموا منهم تلك الخصلة التى لا يتأتى عنها الا الغصة والحسد . فهل يسوغ للغنى فى مذهب من المذاهب أن يأخذ دنانيره فى يديه ويعبث بها فى عين الفقير الصعلوك حالة كونه لا يملك منها قراضة . أو للشبعان أن يلوح بثريدته للجائع اللاهس . فان قلت ان ذلك أمر طبيعى وان العلامة انما يراها فى الغالب المزوجون فلا وجه للحسد . قلت لو كانت هذه العادة طبيعية لكنا نراها مستعملة عند جميع الامم . وهؤلاء الافرنج الذين هم أكثر دراية وعلماً فى الطبيعيات لا يستعملونها . لا بل ينتقدون مستعملها ويقولون ان العقر يكون غالباً سبباً فى العقر (١) . وان العروس منهم أول ما يحس بالانشوطة قد عقدت فى عنقه يأخذ عروسه ويعتزل بها فى ناحية لا يبصره فيها أحد من خلق الله مجانبة لاسباب الحسد . الموجب للمغص والكمد . فلا يرون ان سرور شخص واحد يكون سبباً فى حزن جماعة . وانما قلت الانشوطة لان عقدة الزواج عندهم تنحل بأسباب كثيرة . فاما قولك ان العلامة انما يراها المزوجون فلا وجه للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب

(١) العقر استبراء المراة لينظر ابكر ام غير بكر .

والموار بة . أو هو ولا مؤاخذة بما أقول كلام من لا بصيرة له ولا خبر . فقد أجمع العلماء كلهم المتبالغ منهم والمعتر والمتكفف والمعتر والعريان وذو الرعابيل والمسجون والمكبل والمشكو والمرغم انفه على ان المزوج أضيق عينا بالحسد من العزب . وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته أسعد منه حالا فلا يفكر الا في وجه أسعديته دون أشقويته . ولما كانت ليلة الدخول بالعروس من الليالي الغراء وان تكن حالكة كانت مظنة لان تنشي الجسد في صدر الخبير بها من دون تذكير لما يعقبها . وفى المثل وما ينبئك مثل خبير . هذا واني أستميح العفو من الجناب الاكرم . المقر الافخم . حضرة الصير المكرم . عما اريد أن أسأله عنه على وجه الاستفادة لا الانتقاد فأقول . من أين تعلم باذا البصيرة ان تلك البصيرة التي يخضب بها المنديل و يعقد على علم اذا انا ببكارة البنت هي علامة البكارة . أفليس من الممكن أن يكون ليلة الدخول بها قد فار التنور . وفاض المسجور . أو بقيت منه عقابيل . دبج بها ذلك المنديل . أو يكون الرجل قد ذبح عصفوراً أو جرح احدى اصابعه اذا كان هو الذى سبق الى اقتطاف تلك الوردة . أو ان تكون البنت قد ادخرت في ذلك الصوان شيئاً من الدم . فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد التذوق . قلت لعمري ولعمر ابيك ان تلك الساعة ليست وقت وعي ومعقول . بل وقت دهشة وذهول . ولا سيما اذا وقف وراء الباب جماعة يضجون و يعجون . و يلحون و يلجون . فأفد الجواب عن ذلك . وها أنا منتظره

من هنا وهنالك

الفصل الرابع

فى التورية

من عادة أمثالي من المؤلفين أن يقهقروا أحياناً و يطفروا فوق مدة من الزمان و يلفموا واقعة جرت قبلها باخرى بعـدها . وذلك يسمى عندهم التورية أى جعل الشيء وراء . وانهم أيضاً يبتدئون بذكر صفات الشخص الذى بنوا عليه مؤلفهم منذ ابتدائه مناغاة محبوبته الى وقت خفوته فى الزواج . و يذكرون فى خلال ذلك اموراً طويلة مملة وذلك كصفرة وجهه عند لقائها وتغير حركات نبضه وبهره وعيه عن الجواب و بعثه اليها عجوزاً أو كتاباً واجتماعه بها فى مكان كـذا وزمان كذا . وكتخيفها الوانا عند قوله لها الفراش .الضم . العناق . الساق على الساق . الرضب . الملاسنه.البعال وما أشبه ذلك . وربما أساؤا الأدب أيضاً فى حق الأب والأم . فانهم كثيراً ما يصرحون بأن الام ترضى بان تكون ابنتها فتنة لناظريها . وتتساهل معها فى تهنيد زمرة من الرجال لتقاسمها منهم شطرا . وان الأب من حيث ان حجره فى حجر امرأته لا فى رأسه لا يمكنه منع تلك الاسباب . وان الخدمة لا يكونون الا ذوى حذل مع المرأة على الرجل فالخوادم للاقتداء بسيرة سيدتهن والخادمين للطمع فيها. وفى الجملة فانهم يجعلون بيت البنت المعشوقة دسكرة وماخورا وحابورا ومنبتاً لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد . وكل من اخواني هؤلاء المؤلفين يخترع حيلة من رأسه و يعزوها الى غيره . اما الطفرة الى وراء فعندى انه لا بأس بها اذا كان المؤلف راى مذهب التأليف قد سد امامه ثم يعود الى ما كان عليه . واما تبليغ الرجل الى سرير عروسه ثم اطباق الكتاب

عليهما من دون ملاوصة لمعرفة أحوالهما بعد ذلك فلست أرضى به . اذ
لابدلي من أن أعرف ما جرى عليهما بعد الزواج . فان كثيراً من النساء اللاتي
يحسبن أناثا قبل تولى هذه الرتبة الشريفة يصرن بعدها رجالا كما ان الرجال
تصير نساء . من أجل ذلك رأيت أن أتتبع الفارياق بعد زواجه اكثر
من تتبعي إياه قبله . اذ الكلام على اثنين أدعى الى العجب منه على واحد .
فأما الاسفاف للامور الخسيسة والدعلمة والدنوق فليس من شأني .
فائذن لي اذاً ياسيدي ورخصي لى ياسيدتي في ان أستعمل الطفرة وأقول .
ان الفارياق حين كان مرتبقاً بربقة الحب قبل الزواج كان قد استدعى
به أحد الخرجيين في جزيرة البحر أي في الجزيرة التي يتكلم أهلها بلغة
منتنة . ليكون عنده بمنزلة معبر للاحلام بأجرة أكثر مما كان له عند
الخرجي بمصر . فمن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها
بمدة . فقالت لابأس فان للرجل حقاً على امرأته ان يستصحبها حيث
شاء . وان كل بقعة من الارض تكون لها فى صحبته مغنى ووطناً . ثم
خبر أمها بذلك فرضيت . فلما وقع المقدور بالزواج وأحكيت عقدته قال
الفارياق لزوجته ينبغي لنا الآن ان نتأهب للسفر . لان أحلام الخرجي
قد تكاثرت في رأسه ويخشى ان يفوته تعبيرها . فقالت أو ذلك من جد .
هل جرت عادة النساء بأن يسافرن عقب الزواج ويعرضن أنفسهن للعقم
والخطر . أليس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر . كيف أفارق إخواني
وأهلي واذهب الى بلاد مالى بها من صديق ولا خدين . قال ما غررت
بك ولا قلت لك شيئاً غير ما قلته من قبل . قالت ما كنت لأعلم من
الزواج ما أعلمه الآن . فقد شبه الناس بالسعوط الذي يعطيه الطبيب
للنائم او للسكران حتى يفيق . قد علمت الآن ان المرأة لم تخلق للسفر
وانما خلق السفر لها . قال اني وعدت الرجل بأن أسافر اليه فلا بد من
انجاز الوعد . فقديقال في المثل ان الرجل يربط بلسانه لابقرنه . ومع ذلك

فان خرجينا هذا مسافر معنا بامرأته فأنت مثلها . قالت ما أنا كزوجة الخرجي فاني الآن حديثة الصبغ وفي برزخ البكر والمتزوجة . ولم أسأم بعد من الارض حتى أدخل البحر . فلما علمت أمها بذلك ألحت عليها في السفر . فقالت دعوني اذاً أستشير طبيباً لأعلم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة حديثاً أو لا . فجيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال . انكم يانصارى الشرق تنذرون النذور للكنائس رجاء ان يمن عليكم صاحب الكنيسة بالحبل او الشفاء من بعض الامراض . واما نحن فننذر للبحر . فان النساء عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي ويلتمسن بركته . فمنهن من ترجع حبلى بفذ ومنهن من تضع توأمين . ولا سيما اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنساء يطعمهن ما يشتهين . فقال الفارياق في نفسه اللهم اجعل ربان سفينتنا عنيفاً شرساً نكداً شكساً فظاً عسراً . فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر . فمن ثم أخذوا له الأهبة وسافروا الى الاسكندرية . أما السفر من بولاق فى القنج فانه من اعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر . فان النيل لا يكون الا ساجياً . ورئيس القنجة يقف ذبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج والفاكهة الطرية واللبن والبيض وغير ذلك . وناهيك بماء النيل عذوبة ومصحة . فالراكب في احدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه من نضرة الريف وخصب القرى . حتى يود لو تطول مدة سفره فيه وان كان في قضاء أمر مهم . فاغتنم الفارياق ج هذه الفرصة وأمعن فى قضاء الاعذبين ونسي مصر ولذاتها . ونعيمها وحماماتها . ورمدها وآفاتها . والكتب ومشايخها . والاخراج وتخاتخها . والمكاتب وبرابخها . والطنبور وأوتاره . والحمار وفراره . والطبيب وقنذعيته . وصاحب المعجرة وهجرعيته . والسري ورائحته . والوبا وجائحته . وما زال على هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية شبعان ريان . وقد تزود مايقوم بحاجة البطالة فى البحر الملح . وفاز ونجح أي فوز وأي نجح .

الفصل الخامس

في سفر وتصحيح غلط اشتهر

كان الخرجي رفيق الفاريق في السفر قد كتب كتاباً من مصر الى بعض معارفه بالاسكندريه ليهيء له نزلا . فلما وصلوا اليها أقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التي تسافر الى الجزيرة . وكانوا جميعاً يأكلون على مائدة واحدة ويتناوضون في المصالح الخرجية وفي السفر وغيره . وكانت زوجة الفارياق لاندري شيئاً سوى بيت أهلها . ولا تتكلم في أمر الا فيما جرى لها مع امها أو لامها مع الخادمة أولهذه معهما. وكانت اذا أخبرت مثلا بان الخادمة ذهبت الى السوق لتشتري شيئاً تخللت كل جملة بضحكة طويلة . فاقتضى لأخبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب والأياب . وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لايعاشرون أحداً سوى الخوادم وأهل البيت . أما امهاتهن فلا يطالعنهن بشيء من امور الدنيا مخافة أن تنجلي الغشاوة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها . فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير . ولما كن هؤلاء يرين ان في أخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع خيراً لهن عظيما . فاذا رأت احداهن مثلا فتى جميلا بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها . قد رأيت اليوم ياسيدتي شابا مليحاً ظريفاً لا يصلح الا لك. وانه حين نظرني وقف وشخص الي وكانه كان يريد أن يكلمني . وأخاله عرف انك أنت سيدتي . فاذا رأيته المرأة الآتية كلمته . وأشباه ذلك من الكلام مما يجعل البنت ذات ضلع معها اذا غضبت منها الام . ولا يخفى ان البنات اذا كن جاهلات بالقراءة والكتابة وحسن المحاضرات وبا داب

المجلس والمائدة وغيرها . فلا بد وان يتعوضن عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التي يتخذنها وسيلة لما يرمن . فان البنت اذا اشتغلت قراءة فن من الفنون أو بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحيل . فاما اذا لم يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن وأهواءهن كلها تتجمع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهن وسندا . فكلامها عندهن أصدق من كلام امهاتهن . فالاولى بعندي انا العبد الحقير ان تشتغل البنت بأحد الفنون والعلوم النافعة سواء أكان ذلك عقلياً أو يدوياً . الا ترى ان الانثى مفطورة على حب الذكر والذكر على الانثى . فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع أحوالهم . بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اليهم من دون نظر فى العواقب . بخلاف ما اذا كن تأدبن بالمحامد والعلم اللائق بهن فانهن ح يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصر وتدبر :

وهناك قضية اخرى وهى ان النساء اذا علمن من أنفسهن انهن كفاء الرجل فى الدراية والمعارف تترسن دونهم بمعارفهن وتحصن بها عند تطاول الرجال عليهن . بل لرجال أنفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن أن يهتكوا حجاب التأدب معهن . مثال ذلك اذا اجتمع غلام و بنت في خلوة وكان الغلام قد قرأ ودرى والبنت لم تعرف شيئاً غير ذكر اللباس والزينة والخروج الى البستان . لم يلبث الغلام أن يتعدى طور الأدب معها لاعتقاده انها لم تخلق فى الدنيا الا لقضاء وطره منها : بخلاف ما اذا رآها ذات رأى رشيد . وقول سديد . وفكرة مصيبة وفهم للامور البعيدة والقريبة . وحسن محاضرة وجواب عتيد . ومعارضات ومماتنات فانه والحالة هذه يهابها ويحترمها . وليس كلامى هذا مخالفاً لما قلته فى اغضاب الشوافن . وانشاب البراثن . وانما العبرة باختلاف وسائل العلم . والمراد من هذا الاستطراد كله أن نقول ان زوجة الفارياق وان يكن قد

فاتها كثير من معلومات الرجال والنساء فقد أبدت من المعارضة لامها عند تصادم مصلحة الزواج بمفسدة خرجية الفارياق ما أفحم المجادل . وأبكم المناضل . لكنها بقيت في غير ذلك جاهلة .

فان الفارياق لما كان ذات يوم على المائدة أخبره الخرجي بقدوم سفينة النار وحثه على التأهب للسفر . فسمعت بذكر سفينة النار فقالت مامعنى هـذا . فقال لها الخرجي هي سفينة ذات ألواح ودسر وانما تسير بقوة بخار النار . قالت وأين النار . قال في قمين بها . قالت ياللداهية كيف أسافر في سـفينة فيها قمين واعرض نفسي للنار . أليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون في المنج كسفرنا من بولاق . قال ان القنج لا تصلح للبحر الكبير . قالت أما انا فلا أسافر ويسافر من يريد ان يحـترق . فترضاها الخرجي وزوجته فأبت . فلما حان الرقاد اضطجعت في الفراش وأدارت وجهها الى وجه الحائط . وهذا هو المعهود من هذا الفصل تنبيهاً للناس على ان هذه العادة هي من جملة العادات التي أخطأوا اسـتعمالها . اذ ليس في الادبار شيء يدل على الغيظ بل الاقبال هو المظنه له فان المرأة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها في وجهه وزوت مابين حاجبيها . او شمخت بأنفها او سـدت منخريها . اوغمضت عينيها كيلا تشم رائحته وتبصر سحنته اوغطتها بيديها او بكمها او بمنديل كان ذلك اشارة الى الغيظ . فأما في تولية الدبر فلا علامة تدل عليه . فان قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نفسه . اذ الرائحة الكريهة لابد وان تفعم المناخر وان سدت فلا محيص عنه الا بالادبار . قلت الاولى ان تستلقي فيندفع المحذور . وبعد فان الدبر هي من الاشياء التي طالما عني الناس بتفخيمها وتكبيرها وتعظيمها حساً ومعنى . أما حساً فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافج والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل والمراقق والعظامات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتـذاباً لقلوب الناظرين . وفتنة لعقول العاشقين . فكيف يكون شيء واحد مستعملا

وسـيلة للرضى والغضب دماً فهو خلف بين . واما معنى فلأن العلماء والادباء وسادتنا الشـعراء ما زالوا يتغزلون بها ويتنافسون فى عرضها وسعتها . حتى ان بعضهم قال

من رأى مثل حبتى   تشبه البدر اذا بدا
يدخل اليوم خصرها   ثم اردافهـا غـدا

وقال عمرو بن كلثوم

وما كمة يضيق الباب عنها   وخصر قد جننت به جنونا

والسائل هنا ان يقول ان الشاعر لم يصف الخصر الا بكونه موجبا لجنونه. وان الاشارة الى كونه نحيلا بناء على جنون الناس به اذا كان كذلك غير ناصة . واحرى ان يكون هذا المفهوم الضمني جاريا على وصف كل عضو . اذ لو قال وما كمة جننت بها جنونا لعلم بالبديهة انها تملأ الباب و يفضل منها شيء . وياليت شعرى هل الالف واللام فى الباب للعهد الجنسي أو الذهنى . وهل الامام الزوزني تعرض لشرح ذلك . ثم انه من أهم مايشغل بال المرأة و يسهرها الليالى . هو ان تفتن ناظرها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع العالى . وربما لهيت عن وجهها وسائر جسدها وغادرته بلا زينة من فرط اشتغالها به . ولو تضمر وجهها وذوت غضاضة بدنها لمرض او كبر فقل اعتمادها على محاسـنها لم تبرح معتمدة عليه ومتعهدة له . فهو عندها رأس مال الخلب والتشويق . وما من امرأة إلا وتتمنى أن يكون لها عين في قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعهدة له دائما . ولقد يهون عليها أن تقف ساعة أو تمشي ساعتين أو ترقص ثلثا ولا أن تقعد هنيهة خشية من أن يخشان أو يضمر . واما حين تنظر الى عطفها وهي ماشية أو راقصة فما هو إلا رمز الى ما ورائه . وان تهدكرها وتبهكنها هما أنشب مصلاة يعلق بها قلب الرجل . وذلك لانها تعلم أن الحكمة الخالقية رسمت من الازل بان تكون كثرة اللحم والشحم في ذلك الموضع . بالنسبة الى سائر البدن

لا بالنسبة الى دكاكين اللحامين . شائقة للملوك والسلاطين . والامراء والقضاة والائمة والقسيسين . والاحبار والموابذة والهرابذة والعلماء والبلغاء والخطباء والادباء والشعراء والعطارين والصيادلة والعازفين بالات الطرب ولسائر الناس . لا لأنهم يتخذون من لحمه كبابا أو من شحمه إهالة . أو يستصبحون عليه أو يتخذون من جلده كوبة (١) ولكن ملأ لعيونهم وشرحا لصدورهم . فان عين ابن آدم مع كونها ضيقة لا يملأها ما هو أوسع منها وأكبر بألف مرة . واشعارا لهم بان حكمتهم في هذه الدنيا وتنطسهم وعزمهم وجدهم وان علت على الاطواد الشامخة والجبال الشاهقة فما هي إلا سافلة عن حضيض هذا الموضع . ألا وانها تعلم انك اذا أجلست مثلا أحد هؤلاء الاعزة الكرام امام بعض المناصع (٢) على سرير مذهب . وضربت عليه قبة مموهة مزخرفة منمنمة منقشة مزوقة مكسوة بالحرير والديباج ومكللة بالزهور والرياحين . استنكف أن يقعد هناك نصف ساعة . على انه لا يستنكف أن يقعد عامة نهاره وليله محاذيا لذاك المقام المنيف . وهو حاسر الرأس . مشعث الشعر . حافي الرجل . فاغر الفم . مندلع اللسان . سائل اللعاب . محملق العينين مشمر الذيل . شائح الذراعين . معوج العنق . مؤلل الاذنين . في أقبح هيئة يمكن للانسان أن يتصورها في حق ذي مقام . حتى لو سمع نأمة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهي يهنئه على هذا الفوز العظيم . والمغنم العميم . وتصور في باله ان صوت العود لم يكن باشجى من غيره الا لكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر ذلك الموضع . ولو كان كالشطرين لسمع له منطق باعراب وان شكل القبة مأخوذ منه . ورائحة الند تروي عنه . وان العرب من زيادة شغفهم به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل

---

(١) الكوبة الطبل الصغير المخصر ولعله الذي تسميه العامة الدربكة .
(٢) مواضع يتخلى فيها لبول أو لحاجة

أو التي يعتبر فيها الشيء كونه على حال ما من الاحوال . وان فردسة صدور الرجال وعرض ظهورهم لا تجدي نفعا مع عرضه . وان المعالي في السراة متى تلح لهم ذات تاكيم يعدن مسافلا . وان هذه الحميبة مع ثقلها سواء كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعراء . أو كانت محمولة كما هو في الواقع فليس ثقلها الا كثقل كيس ذهب على حامله . وانها أسخن الاعضاء جميعا في الشتاء اذ لا تحتاج الى تدفئة . . وأبردها في الصيف . وانها مع كونها أول ماس للارض عند القعود فلا تزال أنعم من الخدين . وأملس من اللديدين . فلهذا كانت لذة تقبيلها للمقبل العذري أعظم من لذة تقبيل الذقن والأنف والعين والجبين . وان الناس يبتذلون لها أسماء الملوك والسلاطين . وذوي السيادة والمعالي وائمة الدين . وعند قوم (أقول وأستغفر الله) تذال لها الاسماء الحسنى . على ان تسبيحهم كل يوم أن يقولوا ربنا تقدس اسمك . ألا وانها تعلم أيضا ان كثيرا من البهائم أعقل من الناس أو أسعد حالا من أصل الفطرة . فان الذكر من الحيوان غير الناطق لا يهيج على هبرتين من اللحم في أنثاه مع احتوائهما على القبل والدبر الا في وقت معلوم . وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا يزال هائجا عليهما مزبدا لاغماً راغياً متزغماً هادراً محمحاما مبقبقاً مقبقباً زاغداً ملعباً جالباً لاجباً وربما جن أيضاً . وما ذلك الا لمجرد وهم انهما باهدافهما تعينانه على خسق الهدف من قبل والا فما سبب هذا الجنون . نعم وتعلم أيضا ان هذا الموضع مع كونه فى حيز الجسم الاسفل فهو مواز لخط الرأس ارتفاعا . اشارة الى أن تسفله لا يحط من قدره ورفعته . حتى لو فرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه المنزلة والاعتبار بعينه . حتى ان بعض النساء يرين ان كشفه أولى من كشف الفم لأنه أقل أذى منه . اذ لم يعلم الى الآن أن أحداً قتل بفلتة منه عامًا فلتات اللسان القتالة فلا تعد ولا تحصى . وبناء على ذلك كن يتعمدن الخروج في اليوم الراح وهو عندهن من الاعياد المباركة .

و بعضهن يرين انه جـدير بالحلي والزينة والتنقيش سواء كان ظاهرا أو مستوراً . قال بعض الستاهيين

ياسائلي عن أي جز ء في المليح أجـ ل
لقد روى استاذنا نصف الجمال الكفل

قال وذلك لاشتماله على أشكال كثيرة . لأنك اذا اعتبرت ذروة الرانفة (١) وحدها ظهر لك الشكل المخروط . واذا اعتبرتها مزدوجة بالاخرى تبين لك نصف دائرة أو شكل هلالي . واذا نظرت من نقطة العسيب الى غاية ما يوازيها من سطح الشق الواحـد بدا لك المستوى أو المسطح . أو منه ما دون ذلك فالك المقبب والخط المنحني . واذا اعتبرته مع الأكباب واجهك المجوف وهلم جرا . وليس من سائر أعضاء البدن من الاشكال ما لهذا

قلت ما أشوق قول الشيخ ناصيف اليازجي الاديب المشهور

وتموجت أردافها فاخو الهوى بين اضطراب الموجتين غريق

ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد في لغتنا هذه الجليلة . ومن قول صاحب القاموس الخدم رباط السراويل عنـد أسفل رجل المرأة . ان لباس نساء العرب قديما كان كلباس نساء الشام الآن . أو انه كان خاصا بالحواريات . غير ان قول المتنبي . وأعف عما في سراويلاتها . يفيد التعميم . بناء على تغزله بالباديات كما اشار اليه بقوله . وفي البداوة حسن غير مجلوب . وقد تقدم . قال في القاموس الدبر بالضم وبضمتين نقيض القبل ومن كل شيء عقبه ومؤخره — والاست والظهر . فلت اسماء حروف هذه اللفظة لها معان . وهـذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضاً معنى . وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها . وعددها بحساب الجمل مزدوج اشارة

---

(١) تنبيه رايت في كتاب ليس لابن خالويه النحوي بعد تأليف هذا الكتاب ان الرانفتين يقال لهما الصومعتان والصوفقتان . وذلك مما فات صاحب القاموس .

الى ازدواج اجرتين . كما ان الضمتين اشارة الى الثقل والرزانة . ومادتها من اغزر المواد . وهل وضعها مؤخر عن المؤخر او متقدم عليه او اشتقاقها من قولهم جئتك دبر الشهر اي آخره او اشتقاق هذا منها خلاف . والظاهر ان الامور المعنوية الاعتبارية مشتقة من الحسية . وبقى الخلاف في اشتقاقها من عقب الشيء . وقد ورد في القرآن ولوا الادبار . وأنكرها المطران اثناسيوس التتونجي في (كتاب الحكاكة في الركاكة)

واعلم ان العرب قد وضعت للدبر ما ينيف على تسعين لفظة ما بين اسم واب وكنية . فمن أسمائها ما تقدم في اثارة الرياح ومن بعض كناها أم سويد وأم العزم وأم خنور . فلولا انهم أنزلوها منزل الاسد والسيف والنار في البأس والفتك والاسكار لما خصوها بذلك . لا يرد هنا ما قاله ذلك الاعرابي في السنور لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه . فانا نقول ان قلة ثمن الحيوان لكثرة وجوده لايقدح فى قيمته ومنافعه . وان كثرة أسمائه هي من محل النظير على النظير لحصول المشابهة بينه وبين أم أم سويد . من جهة ان السنور هو من الحيوانات الكثيرة النتاج . ومن طبعه اللعب والهراش وان يكن يعقبه غير مرة خدش وادماء . وخمش واصماء . وحمش واعماء . وله تحمل على المكاره والاذى حتى قيل ان له سبعة أرواح . ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة . وانه اذا شم رائحة شيء أعجبه من الطعام تسلق أعلى جدار ودخل أضيق مكان حتى يظفر به . وانه اذا مرت عليه يد نفش ذنبه وأخذ في خرخرة وهينمة تفصح عن رضاه باللمس . ومن طبعه أيضاً النظافة والاكل خفوة حياء او خوفاً . فان فان أبيت الا المشاحة كما هو دأبك من أول هذا الكتاب بان قلت ما بال اسماء الداهية والعجوز اذاً كثيرة واسماء الشمس والعمر قليلة اذا كانت التسمية مبنية على جلالة المسمى او نفعه . قلت اما كثرة اسماء العجوز فباعتبار انها كانت صبية او انها تكون ذريعة لها . واما الداهيه فباعتبار خشيتها .

والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مقة . فاما الشمس والقمر فاسماؤهما كثيرة جداً غير انها لم تشتهر عندنا . وليس ذلك باول ظلم فعله الناس في حق اللغة كما بينته في كتاب آخر . ثم هذه جملة الاسماء والصفات التي وضعت لام أم سويد وقد بذلت الجهد في استقرائها وهي .

الاثينة الخبنداة لواجح الرجاح الرداح الدلخة البهير الشوترة العجزة العجزاء المعجزة الدهاس الدهساء البوصاء اللفاء الركراكة الزكزاكة الوكواكة الضبيرك الخنباك المضنك الوركاء الوركانة الثدال الجزلة السجلاء المكتال الهركولة المدكمة الالياء الاليانة .

ومن الغريب ان صاحب القاموس ذكر الاسته والستهي ولم يتكرم علينا بمؤنثهما فاثبتهما هنا عن اذنه . ومن ذلك نفج الحقيبة . ذات الاهداف ذات الناكم . ذات الرضراض . من نسوة بلاخ . ولك ان تقول بلخاء وان لم يذكرها الفيروزابادي الا بمعنى الحمقاء . هذا ما عدا ما يشير الى هذه الغبطة والسعادة من الالفاظ اشارة صريحة نحو

الخمباء الضخمة الكبيرة

الجلنباء السمينة وكذا الخنضبة والخضمبة والكبكابة والحوثاء والوعثة

الخدبة الضخمة

الدخدبة المكتنزة

السرهبة الجسيمة

الطباخية الشابة المكتنزة

اللباخية اللحيمة وكذا الدعكاية

المرندة الكثيرة اللحم ومثلها المدكورة

الثأدة المكتنزة الكثيرة اللحم

الشهمد الثمينة العظيمة

الرجراجة التى يترجرج عليها لحمها

الضمعج المرأة الضخمة التامة

البيدح البادن وكذا البلدح

الدحوح العظيمة

الدملحة الضخمة التارة

الصلدحة العريضة

البيدحة التارة

لمرمورة الناعمة الرجراجة

الدخوص الممتلئة شحما

الرضراضة الرجراجة

البلز الضخمة

الدحملة الضخمة التارة

الدحلة السمينة ومثلها الجول

الربلة العظيمة الربلات

القصاف العظيمة

المزنرة الطويلة الجسيمة

الملعظة السمينة الطويلة الجسيمة

الهيكلة العظيمة

الضناكة الصلبة المغضوبة اللحم

الكناز الكثيرة اللحم الصلبة

المنزة المتصلبة المتشددة

الملززة المجتمعة الخلق الشديدة الاسر

الخنضرف الضخمة اللحمية الكبيرة الثديين

القهبلس المرأة الضخمة ومثلها المثخنة

الشخصية الجسيمة

الدياصة	اللحيمة القصيرة
العاتك	السمينة
العبيلة	الغليظة
المألة	السمينة الضخمة
الورهة	ورهت المرأة كثر شحمها
وخظية بظية	سمينة مكتنزة

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه . فهل لجناب مولانا القاضي المكرم ولأميرنا المعظم نصف هذه الاسماء والنعوت . انتهى البرهان على الخطأ في استعمال هذه العادة .

وأقول الآن انه لما كان ما كان من الادبار المشار اليه ترضاها الفارياق في الصباح للسفر واعانه على ذلك الخرجي وامرأته ووعدوها برؤية أشياء بديعة فى الجزيرة تنسيها مكاره الفراق . فرضيت بعون الله وحسن توفيقه وسافروا فى سفينة النار . وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة فى قلب الربان عليها . فكان اذا سمعها تئن من الالم يغضب ويزمجر ويتسخط على النساء وسفرهن . غير ان بعض الخدمة وكان جميلا حاول أن ينوب عنه فلم يتم له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبارة عن خمسة أيام . وهى فى البركافية لتصبي خمس بنات وعشر نساء متزوجات وخمس عشرة أرملة . ثم وصلوا الى معتزل الجزيرة وأقاموا فيه ثلاثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد ونزل كل منهم منزلا لائقاً به .

الفصل السادس

فى وليمة وابازير متنوعه

وأخذ الفارياق وزوجته يطوفان فى شوارع المدينة وهما فى زى أهل مصر . وقد اتخذ هو سراويل واسعة يلتف عليه أسفلها من امام ومن وراء عند المشي . والتحفت هي ببرنس ليغطى كميها اذا كانا يكنسان الارض . فجعل المارون اوأصحاب الدكاكين يتعجبون منهما ولم يكونوا يعرفون زوجته انها امرأة . فكان بعضهم يقول أرجل هـذا أم امرأة وبعضهم يتعتبهما . وبعضهم يلمس أثوابهما ويحدق فىوجهيهما ويقول ما رأينا كاليوم قط . شيء لا هو رجل ولا امرأة . فصادفهما رجل من حـذاق فقهاء الانجليز يقال له استيفن . فتفرس فيهما فعرف انالفارياق رجـل وان الفارياقية امرأة . فتقدم اليهما وقال لهما هل لكما يارجل ويامرأة ان تتغديا عندى يوم الاحد القابل . قالا أفضلت . قالانداري فى عبر البحر فى محل كذا فهلما الينا فى الصباح قبل الغداء . فلما كان يوم الاحد ركبا فى زورق وقصدا منزله فوجداه قد استعد للخروج . فكا نه اراد أن يأتي ببعض معارفه للفرجة على ضـيفيه والظاهر انه سكر في الطريق أو تغدى عند اصحابه فلم يعد . فلما رآهما قال لهما قد وجب علي ان اذهب فى قضاء مصلحة . ولكن هذه زوجتى وهؤلاء بناتيفاستأنسا بهن ريثما أعود ونتغـدى جميعاً .قالا لا بأس ثم قعدا مع زوجته . وكان فى المجلس شاب من الانجليز يناغى احدى بنات الفرضي وهو آخذ بيدها . ثم جعل يبوسها بحضرة امها والزائرين . فاصفر وجـه الفارياق واحمر وجه زوجته وبرقت اسرة الأم . فقالت الفارياقية لزوجها كيف يبوس

البنت هذا الفتى وما يستحيي منا . فقال ليس لها البوس عند الافرنج مما يعاب . فان الزائر منهم اذا دخل بيت أحد من أصحابه تعين عليه أن يبوس زوجته و بناته جميعا ولا سيما اذا كان في يوم عيده . على أن باس عندهم قد ترد بمعنى ما يراد بها ولكن هذه عادتهم . قالت ولكن هلا يستحيي ما حال كوننا غريبين عنه . قال اذا كان الشيء مباحا كانت اباحته امام القريب والغريب على حد سوى . أو لعل الرجل قد ظن انا لانعرف هذه الصنعة في بلادنا . قالت ما أجهل من ظن هذا فان القبلة عندنا لا تكون الا مع زفير وتنهد ومص وشم وتغميض العينين . فاما هذا فاني أراه يزق خلوا من احساس فعل المستخف بما تحت يده . قال قد يظهر لي من القاموس ان المكافحة والملاغفة والمثاغمة واللثم والفغم والكمم والتقبيل انما هو بوس الرجل المرأة في فمها أو التقامه له بمرة . فقالت حي الله العرب ا عة القبلة والقبلة . فان تقبيل الجبين كما يفعل هؤلاء لامعنى له . ولكن لم كان التقبيل في غير الفم والخد خاليا عن اللذة التي يحس بها المقبل في هذين الموضعين . قال لأن الظمآن لا يرتوي من وضع فمه على أعلى الملة أو على جنبها . قالت فعلى ذكر الظمأ لم تصف الشعراء الريق مرة بانه حلو ومرة بانه يروي الظمأ وهو خلاف . قال لعل ذلك من مشكلات الشعر أو من معضلات النساء . قالت فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيب العاشق شرب الرضاب من غير الفم . قال أما عند بعض العرب فلا يبعد وأما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم . بل لا يعرفون له اسما غير البصاق . قالت فعلى ذكر اختلاف الاسماء ما يقال لهذه الام التي ترتاح الى رؤية ابنها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوادة . قال انما القيادة في الاصل صفة الرجل اذا كان يقود على حرمه . قالت ان وقوع هذا الامر في شأن الام أكثر منه في شأن الرجل . اذ الامهات تنشرح صدورهن عند مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن . لأن الأم عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد

أن العاشق لا يرى في البنت جمالا الا و يراه في أمها حالة كونها هي الاصل وانه لا يكاد يحب الفرخ دون محبته لأصله . ثم تماديا في الحديث حتى حان الظهر فأقبلت احدى بنات الفرضي و بيدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت تأكل وهي واقفة . ثم تولت وجاءت أخرى وفعلت مثلها . وكان للفقيه المذكور سبع بنات وعدة صبيان . فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت الأم للمدعوين لملكا جئتما فان وقت الغذاء قد فات وزوجي أبطأ . قالا ننتظره الى أن يجيء . فلما صارت الخامسة أطن جرس الأكل ليجتمع المتفرقون مع أهل البيت كما هي عادة ذوي العيال من الانجليز . ثم مضت ساعة وأعيد اطنان الجرس . وما زالت الساعات تمضي حتى نجزت الساعة الحادية عشرة . و في خلال ذلك كانت الأم تتفقد المطبخ وتسار البنات كأنما نزل بهن نكبة البرامكة . فقال الفارياق لزوجته ان لم نذهب الآن لن نجد بعدها زورقا ولا مبيت في هذا المعر يصلح بنا . ثم نهضا ومسيا على صاحبة البيت وركبا فى زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فتعشيا فى بعض المطاعم عشاء فى ضمنه غداء .

ثم لما كان بعد أيام قليلة قالت زوجة الفارياق نه قد رأيت فى هذا البلد احوالا غريبة . قال ما هى قالت اني ارى الرجال هنا لا ينبت فى وجوههم الشعر ولا يستحيون . قال كيف ذلك . قالت لم ار فى وجه أحد منهم لحية ولا شاربا فهل هم كلهم مرد . قال اجهلت انهم يحلقون وجوههم بالموسى فى كل يوم . قالت لأى سبب . قال حتى يعجبوا النساء فانهن يحببن الخد النقى الناعم . قالت لا بل المرأة يلذ لها من الرجل كل ما دل على الرجولية . وكثرة الشعر فى وجه الرجل هى كعدمه في وجه المرأة . قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب أحد منهم منك فاحشة. قالت ما وقع ذلك بعد . وانما اراهم يحزقون سراويلاتهم حتى تبدو عورتهم من ورائها . قال وذلك مما يلذ للنساء على مقتضى تقريرك . قالت نعم ان

هذا الزى أقرلعين النساء من زى العرب . فانه يظهر الفخذين والساقين والبطن والعجز غير ان المغالاة في التزنيق مخلة بالأدب عند من لم تتعود عليه وان يكن في نفس الامر أحسن وأفتن . ولكن ما شأن هؤلاء القسيسين فاني اراهم أكثر مغالاة من العامة بتباينهم هذه القصيرة فهذا لايليق برتبتهم . وأقبح من ذلك حلقهم شواربهم مع ان الشوارب هى زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ . فما الذي أغراهم بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نساءهم . لعمري لو ان أحداً منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بعض هؤلاء المخنثين المدعوين خولا الذين ينتفون شعر وجوههم و يتحففون تشبها بالنساء فاخزى الله كل رجل يتخنث . قال فقلت وكل امرأة تتذكر. قالت نعم وكل من يتبع العادات الفاسدة . أنظر العادة هنا كيف جعلت حلق الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النقص والفساد . قال صدقت ولكن اريد أن اسألك عن شيء من حيث ان الكلام أفضى بنا الى ذكر مايشوق الرجل من المرأة وما يشوق المرأة من الرجل . ومن حيث اني أراك قد نشمت في علم هذه الفروق فقولي لي بحق السطح (وكان من عادته اذا سألها عن أمر مهم أن يحلفها بسر السطح الذي كانت تصعد عليه قبل الزواج) وأصدقيني فيما تقولين . هل لذة المرأة حين تنظر الى جسم الرجل كلذة الرجل حين ينظر الى جسم المرأة قالت هما سيان ولعل الاول أعظم . قال فقلت كيف ذلك والرجل لا نعومة لبدنه ولا ملوسة . وقد خصت المرأة بمحاسن كثيرة خلا عنها الرجل . وذلك كرقة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والانامل وقد شبهت بالعسودة والاساريع والعذفوط والعنم . وكالدسع ولين الكعس والدخيس والرواجب وتغطية الرواهش باللحم بحيث يبدو فى كل أشجع نونة . وكلطف اليدين وصغر الرجلين ورخاصتها . وامتلاء الرسغين والكعبين وسهولة المشطين . ونعومة العرش

والعسيب . وجدل الذراعين ومكر الساقين وعظم الحماتين ودملجة الداغصتين وضخم الوركين والماكمتين والفخذين والبتيلة والبطن . وكنحول الخصر ولطف الكتفين وانحطاط المنكب وصمل الترقوة والترائب والمفاهر . وكالعنط والعطف وصلاتة الجبين وطول الشعر . وكونها رخيمة الصوت ذات نشر حالية عن الحار والريش والغفر والسربة والاسب (١) وكون اذنها صمعاء حشرة مشرة تدمرية أو معذذة أو مولللة مصمعة . وما أحلاها باعيني مشنفة . وأعظم من ذلك كله وأبدع بروز النهدين ونهودهما . وحجمهما ونفجهما . وتكعبهما وتكعثبهما . واصرئبابهما وتأوبهما . وتقعبهما وتكببهما . واكتيتابهما وتقببهما . وتأتبهما وتزيبهما . وتدملكهما وتدملقهما . وتزلقهما وتزهلعهما . وسملكهما وصملكتهما . وزهلهما وتضافطهما . وتفلكهما وتدملجهما . وتمذجهما وتصعنجهما . وربوهما ونبوتهما . وخظوهما وزتوبهما . ونتوبهما وكعوبهما . وتموكهما ودموكهما

(١) العسودة دويبة بيضاء يشبه بها بنان العذارى (والاساريع) دود بيض حمر الروس يكون فى الرمل وفى واد يعرف بظبي الواحد اسروع (والعذفوط) دويبة بيضاء ناعمة يشبه بها أصابع الجواري (والعنم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب (والدسع) خفاء العروق فى اللحم (والعكس) عظام السلامى وعظام البراجم فى الاصابع (والدخيس) لحم باطن الكف (والرواجب) مفاصل اصول الاصابع أو قصبها (والرواهش) عروق ظاهر الكف (والعسيب) ظاهر القدم وهو أيضا عظم الذنب (والعرش) ما بين العير والاصابع من ظهر القدم (والمفاهر) لحم الصدر (والعطف) طول الاشفار (والحار) شعر الانف (والريش) شعر الاذنين (والغفر) شعر العنق والقفا (والسربة) الشعر وسط الصدر الى البطن (والداض) السمن والامتلاء وأن لا يكون فى الجلود نقصان .

وبزوغهما وصبوغهما . وشخوصهما ودخوصهما . ونتوهما ونموجهما .
وتكوفهما وتقبهما . وتحذيهما وتكظيهما . وتوهجهما وتملجهما .
وتصدرهما وتضبيرهما . وانتبارهما وتكوزهما . وتمززهما وتلززهما .
وتعلسهما وتشرزهما . وتمدهما وتمغدهما . وتأصصهما وتدلصهما .
واجعانهما وتانشزهما . وتجبنهما وتشزنهما . وتكتلهما وتلملمهما . وتزيمهما
وتركركهما . وارتكاكهما وتشويكهما . وترهرهما وتلوهما . واندماجهما
وانفراجهما . واقبالهما واعبالهما . وارتبازهما واكتنازهما . ونصهما
وعصهما . ودأضهما وضنطهما .

وقد قيل لهما من جملة أسماء كثيرة المرزان لاحتمال روزهما باليد أو
الفكر . وشبها بالرمان والقرموط . وشبهت حلمتاهما بالسعدان . وقد
قالت قف هنا فقد أسهبت في وصفهما وفاتك أحسن ما يراد منهما .
قلت أفيدي . قالت لو جئت بكلمة تدل على التمامهما أو قفطهما لكانت
خيراً من كثير من هذه الصفات . قلت ليس الذنب علي في ذلك فاني لم
اجد هذه الدرة في القاموس . ثم قلت هذا وان المرأة اذا كان في وجهها
شعر ناعم أو زغب ولا سيما على شفتها يستحب عند جميع الناس .
فأما الاجرد منا أو السناط والازط فمكروه عند الله والناس . قالت أما
أولا فلأن المرأة من حيث كانت تعلم انه لا شيء في الدنيا يسد عندها
مسد الرجل كان يشوقها منه أدنى شيء . حتى لو نطقت مثلا امام امرأة
بالر بعد قولك أعوذ بالله من الشيطان لسبق وهمها الى الرجل . وعلاها
على الفور الاصفرار أو الاحمرار بحسب توجهات خواطرها اليه . وكذا
لو ابتدأت بنطق الر بعد قولك بسم الله . فقلت اللهم لطفك وعصمتك .
هذا قرحان الطبع وقريحه فكيف بيانعه . ثم قالت أما الصفات الحسنة
الموجودة في المرأة دون الرجل على ما ذكرت أنت وشبب به الشعراء
وتباهى به المصورون فعدم وجودها فيه ليس بمانع له من أن يحب . لان

المرأة تعلم انه لاشيء يقر عينها غير الرجل فوجوده على أية صفة كانت مشوق لها كما ذكرت آنفا . ألا ترى ان نساء السودان يحببن رجالهن أبلغ من حب النساء لبعولتهن في بلادنا وفي غيرها . ومثل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادر مختلفة . ومثل آخر ما عنده الا كتاب واحد تطالعه . فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى آخر حتى يأتي على آخرها وما علق بذهنه منها شيء . ثم يمل من اعادة قراءتها . وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لايجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد أن يمعن النظر فيها . ويحدس في معانيها . ويحفظها ويعيها ويترسها ويتذكرها . ويتمثلها ويتدبرها . ويمتحنها ويتوقمها . ويتصورها ويفلها ويطفلها . وانما ضربت لك المثل بالكتب لأني أراك مبتلي بالمطالعة وعندي أمثال كثيرة غير ما ذكرت .

وبعد فان في الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست في المرأة . منها فردسة صدره والزبب عليه . وارتفاع كتفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشبح ذراعيه وكثرة العضل فيهما وعظم يديه وكونه قويا شديدا حلدبا زخزبا شصلبا شنزبا عرزبا عصلبا قصلبا كنثبا قسبا قزبا قعنبا هقبقبا اصليتا صفتيتا مصمتيتا صنتيتا قنعاتا علنكدا قسودا أربر جحاشرا ذيمريا سبطرا قبعثرا عبهرا عشنزرا قوعسا صملا عبنبلا جرهاما بهمة حسميا شيظما عجرما عرزما عرضما عردمانا عشرما فسحما شرنبثا قاهيا قنعاسا مجلجلا ذا جهارة وجشة (١) . فهذه كلها نعدها نحن النساء محاسن في الرجل . وفيه محاسن اخرى اعتبارية وهي صعوده المنبر مثلا خاطبا . وركوبه الجواد وتقلده السلاح . وما أحسن الرجل اذا مشى وسيفه يمس الارض . ثم قالت لو كنت أعرف القراءة والكتابة لالفت على الرجال

---

(١) سيأتي مرادف هذه الالفاظ في آخر هذا الفصل

والنساء اكثر مما الف فى جميع العلوم ذلك الشيخ الذي ذكرت لي اسمه سابقا وقد نسيته لكونه ميتا . قلت هو الامام السيوطي رحمه الله . قالت نعم أكثر من السيوطي ومن جميع السوطيين . قلت ومن جميع المسوطيين أيضا . قالت ولكن الذنب على من غادرني بغير تعليم . لأن العرب يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء . وان المرأة أول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتابا الى عاشقها . مع انها لو خليت وطبعها لكان لها من حيائها وحشمتها عاضل أشد من الاب والزوج . بخلاف ما اذا حظرت وحجرت فانها لا تنفك تحاول التملص والتفصي مما حصرت فيه . فمثلها كمثل الماء كلما زاد انبعاثا وجريانا زاد صفاء وانسياغا . أو كمثل السائر المسرع فانه كلما زاد اسراعا زاد حسه ببرودة الهواء أكثر . قال فقلت في نفسي والله لقد أحسنوا لو انها تعلمت القراءة والكتابة لما بقى في شعري بيت الا وشطرته وخمسته على غير ما قصدت . اللهم انفل معارفها الى ما يفيد . وا كفني شر المزيد .

(حاشية) من مرادف القوي الشديد او الصلب الشديد وما فى معناهما العتعت الكنبث الكندث المكلث المليث المغث العصانج العفضج العلج الهمرج الصلودح الصلنقح الصمحمح الصميدح الكردح الكلدح الدحوح الجلندى الجلعد الجلمد الصلخد الصمقد الضهيد العربد العصلد الاقود الذفر الذمر الذيعري الزبر الزمر الصمعري الضبير الضبطر الضبغطرى العيزار العشنزر القبعثرى القناصر الكناتر التيز الجلنز الجلافز الخزاخز الترامز الدخز الضبارز العضمز العلكز العلنكز القلز الكلز الملز الحمارس الدخنس الدراهس الدلهمس المتشمس العترس العكندس العمرس القلمس القناعس الهكلس الهملس الفرافص الكيص المتخمط الضبنطى الضفط العملط العلط الضليع الصنق الدمكمك الصمكيك الصملك العبنك العرك الجنعدل الحول العرندل العنتل الكنتل الكنبل الكنهدل النبتل البهصم الدلظم المرجم الضرغامة العردم الفيم القرشم الهزم الهيصم

الفصل السابع

فى الحرته

قد كان الكلام في الفارياق حالة كونه فردا مبرما فكيف به وقد صار الآن زوجا . فارى الآن تركه على الحالة الزوجية أولى . لان حديثهما هذا كان في الليل فلا ينبغى التكدير عليهما فيه الى أن يصبحا و يذهب هو الى معبره أي موضع التعبير الذي عين له . ولعل الجناب الكريم أيضاً متأهب بعد حرته هذه الأبازير الى الفراش . فارقد هنياً . وان حلمت ليلتك شيئاً فابلغه مسامع الفارياق . فانه أصبح اليوم من كبار المعبرين

الفصل الثامن

فى الاحلام

ها هو الفارياق جالساً على كرسى وأمامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها صحفة من صحف الطعام . وبين أصابعه قلم طويل وبين يديه دواة فيها حبر كالزفت . وقد شرع في تفسير أحلام رآها رئيس المعبر في منامه.

الحلم الأول رأى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند فوجد فرساً في الطريق طاعنة في السن ولا سرج عليها . فلما رأته الفرس دنت منه ووقفت وهى تحمحم فجاوزها بعض خطى واذا بها جرت وراءه . فلما أدركته وقفت أيضا فقال ان لهذه الفرس شأنا . انى اريد أن أمسك بناصيتها لأنظر ما ذا يكون من أمرها . فلما مسها تطاطأت كالمشيرة اليه أن اركب ولا تخف لعدم السرج . فركبها حيث كان قد أعيا من المشي وسار غير بعيد . واذا هو بدكان سروجى فنزل عنها واشترى لها سرجا ثم ركب وسار في مضيق حرج فيه أشجار كثيرة . فنشب في رأسه بعض أغصان الشجر ومنعه من السير فحاول أن يتقدم فلم يمكن له وأشفق أن يهمز الفرس للاقدام فوقف يتفكر فيما عرض له وهو متعجب جدا . واتفق انه مد يده وقتئذ ليحك رأسه فاذا به قد نبت له ستة قرون . اثنان من امام على كل صدغ واحد واثنان من خلف واثنان في الوسط . وكان ذلك الغصن مشتبكا بها كلها . فتوصل الى أن قطع الغصن من الشجرة لكنه بقى ناشبا في القرون . ثم سار وهو على هذه الحالة فكان كل من رآه يتعجب منه ويقول انظروا هذه القرون الستة في رأس هذا الرجل . وهو غير مكترث بهم حتى اذا دخل في مأزق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل صدم بعض

الصخورا أربعة من القرون . فانكسرت وسقطت و بقى له قرنان من امام فقط . ولكن كان أحدهما يميل الى الثاني و يماسه ثم صارا يتحا كان و يصطكان . وكلما اصطك سمع لهما صوت عظم . فاقبلت الناس من بعيد تنظر اليه وتتفرج عليه . فلما ضاق بهم ذرعا ورأى كثرة الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع . فابت عليه الفرس ذلك وصارت تنب وتطفر قدما . وكلما ركلها برجله ازدادت وثبا وتقدما . فنظر اليها كالمتعجب منها فاذا بلونها قد تغير عن أصله . فقال في نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التي كنت ركبتها أولا . فنزل عنها ليكشف عن سنها . فلما أراد أن يضع يده في حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة غشي عليه منها . قال فكان الفرس حين أبصرته مجندلا مصروعا رقت له فجعلت تنفخ في منخريه وتلحس مواضع القرون المكسورة منه حتى افاق قليلا فطفق يئن و يجأر بالدعاء الى الله لأن ينجيه مما ألم به . فاسارت اليه الفرس برأسها أن اركب لنرجع من الطريق التي أتينا منها . فقام متجلدا وركب فلما وصل الى ذلك الموضع الحرج نبتت فيه تلك القرون المكسورة وعادت كما كانت . فكان يلمس عليها وهو سائر . فلما أمسى عليه المساء نزل في خان ليبيت فيه ليلته تلك . وأمر صاحب الخان بان يعني بدابته ويحضر له ولها عشاء . فلما انتبه صباحا وجد السرج قد سرق . فقال لصاحب الخان قد فقدت عندك سرج فرسي وما يتأتى لي أن أركبها بدونه قال بل أنت مبطل فيما تدعيه فانك حين قدمت كنت معروريا لها . فلج بينهما الخصام وتماسكا بالجيوب . فلما علم انه لا ينتفع بشيء رضي من الغنيمة بالاياب . وقام الى الفرس وركبها وبقي سائرا الى المساء فوجد خانا آخر في الطريق فبات فيه . فلما أصبح الصباح وأراد أن يركب لم يجد اللجام فجرى له مع صاحب الخان هذا ما جرى له مع ذلك . ثم بات الليلة الثالثة في محل آخر . وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب . و بقي كلما بات ليلة

يفقد عضوا من أعضاء الفرس حتى بلغ مدينته ساعيا على القدم وغابت عنه الفرس بالكلية . فأما القرون فزال منها أربعة بزوال الفرس وبقي منها الاثنان المتقدمان .

تعبيره

لما ألقي هذا الحلم القرني على الفارياق أخذ يعبث بشاربيه على عادته ويفرك جبينه بيده ويزوي مابين عينيه . الى أن اهتدى الى تعبيره فكتب بجانبه ماصورته .

هذاماعبربه العبد الذليل المسمى بالفارياق لجناب المولى المكرم السيد ذاهول ابن غافول عن حلمه الذي رآه في منامه . ان الفرس كناية عن امرأة . والمشي والاعياء كناية عن العزوبة . والسرج كناية عن أدب المرأة . واللجام عن عرضها . والمكان الحرج كناية عن الولائم والمآدب والزيارات التي يتجشمها المتزوج ويدخل فيها رأسه ورأس امرأته . والغصن كناية عن بعض المدعوين الذين ينشبون في الزوجة . والقرون كناية عن الحالة الزوجية التي يكون عليها الرجل والمرأة . ونبتها واضمحلالها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه . ومبيته في الخانات كناية عن سفره بزوجته . وغياب الفرس كناية عن فقدها . وباقي الحلم مفهوم بالفحوى والله أعلم .

فلما أخذ التعبير وأمعن النظر فيه ملياً رجع الى الفارياق عجلا وعلى طلعته آثار الغيظ وقال . ان في تعبيرك خطأ من وجوه . الاول ان عبارتك موجزة بخلاف عادة المعبرين . والثاني ان الفرس ليست كناية عن المرأة فان المرأة عندنا لاتكون دون الرجل أي تحته بل هي أعلى منه . فيجب أن يكون تعبيرك بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم . والثالث ان اللجام لايكون كناية عن عرض المرأة فان اللجام انما يوضع في الفم

وعرض المرأة لايكون في فمها . ولكن ينبغى الآن أن تدع هذا وتأخذ في تعبير الحلم الثاني . فاجتهد في التحرير والاسهاب . فعسى أن تصيب وتحرز الثواب .

الفصل التاسع

في الحلم الثاني

رأى صاحب المعبر أطال الله بقاءه وعظم بناءه بين العالمين وأعلاه . انه أراد يوما أن يكتب خطبة ويتلوها على القوم في يوم عيد . فأخذ القلم والقرطاس وكتب حرفا واحدا . واذا بامرأته تدعوه من حجرتها ليجورها . فترك الكتابة وصعد اليها . فلما جورها ورجع رأى أن قد ضم الى ذلك الحرف حرف آخر بحبر غير حبره . فقال في نفسه ترى من دخل في حجرتي وخط هذا الحرف الذي ناسب ما أردت من المعنى . ثم أخذ القلم وكتب حرفا آخر واذا بامرأته تدعوه ليربط لها شراك نعلها . فقام اليها وفعل ما أمرته به ورجع فوجد حرفا قد أضيف الى الثلاثة الاولى حتى تمت به الكلمة فزاد تعجبه من ذلك . ثم أخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامرأته تدعوه ليمشطها الكعكبة أو والله أعلم المقدمة . فقام ومشطها برفق ولين ثم رجع فوجد كلمة تامة أضيفت الى كلمته متلائمة بها . فأخذ القلم وكتب كلمتين فدعته امرأته ليجمرها . فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد كلمتين تامتين . فلما تكامل له سطر دعته امرأته ليعقد لها عظامتها . ثم رجع فوجد سطرا بجملته . حتى اذا تكامل له صفحة دعته امرأته أيضا ثم رجع فوجد صفحة كاملة . وعند انتهاء الكراس وجد كراسا وقس على

ذلك الى أن كمل الكتاب . وكانت امرأته قد فرغت من نفخلها وزينتها فحمل الكتاب اليها وأخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لي ومساعدتك اياي على الباسي . فينبغي ياعزيزي أن تواظب عليها . فلما كان في الغد فعل ما فعله أمس من الكتابة والخدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له أولا . فزاد سرور كل منهما به . فلما حان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول فادهش السامعين ببلاغته وانسجام عبارته ودقة معانيه . حتى اذا فرغ أخذ الناس يطرئون عليه و يقولون له ما طرق مسامعنا كلام أبلغ من كلامك قط . فقال لهم هذا بيمن الشراك فلم يفهموا . ثم رجع الى بيته مبتهجا متهللا وأخبر زوجته بما جرى . فقالت له ان نصحي لك ياعزيزي أن تجتهد في الخدمة والكتابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نقصد بها بعض البلدان البعيدة فتتلوها هناك . لأنه لا يمكن لك في هذا البلد أن تتلو خطبة الا في يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة . و يكون من الخسران أن تبقى هذه الكتب الجليلة غير متلوة . فقال لها الرأي ما رأيت . ثم انهما تجهزا للسفر الى بعض البلاد المشرقية ومعهما تلك الكتب قد ضمنت صناديق من خشب الساج نفيسة وانفقا عليها مبلغا جزيلا . فلما بلغا طيتهما اكتريا لهما دارا رحيبة مطلة على الحدائق الناضرة . وأرسل مناديا ينادي في الأسواق أن احضروا يا قوم خطبة المولى ذاهول بن عافول في يوم كذا وساعة كذا . ليسمعكم من المعاني البديعة مالم يطرق مسامعكم قط . فحشدت اليه الناس أفواجا أفواجا . ولما استمروا في المجلس صعد سلماً كان قد نصب له فيه . وفتح ذلك الكتاب الاول الذي كان أعجب به قومه واذا به ممحو لم يشتمل الا على الحروف التي كتبها بيده . فحاول ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنى ما فلم يمكن له . فنزل عن المنبر خجلا وهكذا انتبه من نومه .

التعبير

هـذا مايعبره العبد الفقير الفارياق للمولى ذاهول بن غافول . ان ماتوهمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاسفار الى كلامك الذي أعجب به قومك لم يصلح في غير بلادك لارتباطه بربط المظامة والشراك . والله أعلم

فلما بلغت هذه العبارة للمشار اليه أقبل الى الفارياق وهو يخبط الارض برجله ويشمخ بأنفه قائلا . هذا التعبير أفسد من التعبير الاول . وهذه العبارة أخصر من تلك فلا يكاد أحد يفهم ما تقول . واذا كان تعبير الاحلام غامضاً مبهماً كالاحلام فلا موجب لاستخدام معبرين وتكليف الناس قراءة مالا يفهم . فقال له الفارياق هكذا جرت العادة في بلادنا التي هي معدن الاحلام ومنبت التعبير . فان رءوسكم لم تكتسب هذه الخاصية الا من رءوسنا . ولولا نحن لما عرفتم ان تحلموا مدة حياتكم كلها ولا حلماً واحداً . قال فكان الرجل انتبه من غفلته وسكن من ثورته . ثم قال قد بقي عليك الآن حلم واحد فها كه .

الفصل العاشر

في الحلم الثالث

رأى صاحب المعبر أطال الله مدة نيابته عن الهالجين . وحقق أحلامه مع الهالجين . أن قد نصب له ذات يوم سلم عال يشتمل على مئة درجة ليصعد اليه ويخطب القوم من أعلاه . فلما حلق لحيته وشاربيه ولبس

ثيابه السلمية أرسل من جمع القوم الى موعد معين . وكانوا كلهم قد علموا بذلك، من قبل وسبقوه اليه . لما انه لبث ساعة ينتظر امرأته حتى تقوم من الفراش فيرعمها ويعانقها قبل توجهه . ثم تأبط كتابه وأقبل يجري الى ذلك الحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة . فلما بلغ الموضع ورأى السلم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من الفرح . فقال في نفسه هــذه فرصة ما سمح الزمان لغيري بمثلها . فسارد اليوم هؤلاء القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبي وأخلاق كاخلاقي . ولو لم أعمل من الصالحات غير هذا لكفى . فقد كتب أجري عنــد الله . ثم تمادى في الافكار . وثمل من الاستبشار . واستقبل السلم وهو مدهوش . وما كاد يصل اليه الا وقد مد رجله متفشحا الى أول درجة منه من دون أن يسلم على أحــد من الحاضرين . ثم افتتح الخطبة بقوله .

الحمد لله الذي أمر بنصب السلم وارتضاه له عرشا . فسمع أحد القيام هذا الاستهلال فانكره . وقال لمن كان يليه ما أظن خطيبنا اليوم الا معتوها . فلست أشاء أن أسمع منه أكثر من هذا ثم ولى . فصعد الخطيب الدرجة الثانية وقال : وجمع الناس الى هذا المحفل المبارك وكلهم فارش أذنيه للاستماع فرشا . فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شر من الاولى . فاني لا أبالي بكون السلم عرشا أو نعشا وانما أغضب لاذني أن أفرشها ثم ولى . وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة ركيكة مثل هذه وينفض عنه شخص وهو غير منتبه لما شمله من الفرح الذي أذهله عن رؤيتهم حتى بلغ درجة المئة وقد انفض الناس كلهم عنه . فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا . فقال في نفسه قد الفت خطبتي وجمعت لهــا القوم . وها هم قد تولوا وبقيت الخطبة معي . فالي لا أتلوها جهراً في هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض وقذرها . فان لم يسمعوها

هم يسمعها الله وملائكته . فانه يقال كلما بعد الانسان عن الارض زاد تقربه الى السماء . ولست أرى موضعا يصلح للخطب أكثر من هذا . ولعل أحدا من المارين يلتقط كلمة مما أقول فتكون سببا في خلاص نفسه ونفوس ذويه وجيرانه ومعارفه . فان لفظة واحدة من فم واحد قد يكون فيها الموت والحياة . ومن العيب أن أعود الى زوجتي واقول لها ان الخطبة بقيت غير متلوة . ثم انه مسح عرقه وأصلح صوته وثيابه بعد أن جعل الخطبة على الكتاب وجثا يصلي قليلا ويدعو الله لأن يلهم أحدا من الناس أن يمر به ويسمعه . ثم قام ناشطا مسرورا وقال . اسمعوا يا اخوتي الاحباء وانصتوا اليوم لما أنا قائل لكم . واتفق وقتئذ أن مر به رجل من الشعراء الغاوين . فلما سمعه يقول ذلك ولم ير عنده أحدا وقف وقال من أطلع هذا المجنون الى رأس هذا السلم . وأين اخوته الذين يخاطبهم أم عساه يكلم الجن في الهواء ان في هذا لعجبا . ثم صاح به أن انزل يارجل ولا تعرض نفسك للهزء والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله أحد . فلم ينتبه له الخطيب لانه كان شاخص البصر نحو السماء . فاعتقد الرجل بان به لمما . فاراد أن ينزله بأية وسيلة كانت وأخذ في قطع أوتاد السلم واطنابه . فلم يشعر الا والسلم قد تقوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على رأسه اي على رأس الشاعر . فتهشم كل منهما وتحطم .

التعبير

لا ينبغي للخطيب أن يكون ثرثارا . وان داوم المولى الطراد على الثرثرة فلا يأمن من أن يسقط سقطة تدق بها عنقه والله أعلم .

فكان هذا التعبير أنكى له وأقهر مما تقدم وذلك لنهيه عن كثرة الكلام ولو جازت العبارة . فلما كان بعد أيام جاءه برقعة فيها ما صورته : حلمت أن رجلا من أصحابي قد اهدى الي قنبيطا مما ينبت في سهل الاردن . فاتخذت منه عشاء وبت فرأيت اني دككت أسوار مدينة في الجو تشبه

مدينة اريحا في حصانتها ومناعتها . فكتب الفاريق بجانبه

اذا ما تعشى القنبيط جـراضم رمى الجومن برج استه بجلاهق
فيفعم نقبي منخريه عجاجها فيرجع أيضا سبكها كالبنادق

فطالع امرأته بذلك فقالت لعل الرجل قد ألف الآن هواء البلاد فاني أراه ابتدأ يصيب . وقد ذهبت عنه تلك الحدة التي كانت تظهر سابقا في حركاته وكلامه . فسأجربه انا الآن بنامي في حلم رأيته البارحة . ثم أخذت رقعة وكتبت فيها . رأت السيدة ورهاء زوجة السيد ذاهول بن غافول ان بيدها قفلا مصقولا مجلوا ذا ثقوب كثيرة . و بيد زوجها مفتاح ذو ثقب واحد وقد صدىء . فكتب الفارياق تحته

المرء والمرأة سيان في المـيـــل الى العشق وحب السفاح
لكن ذا مفتاحه قد يهي وتلك مأمون لها الانفتاح

فلما اطلعت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالي قبل تعبيره . فما اقربه الآن الى الصواب فخذ له هذه الرقعة الأخرى . فتناولها الفارياق فاذا فيها رأت السيدة ورهاء أن قد كتبت على جبين زوجها عدد اثنين . فلما أبصر نفسه في المرآة حاول أن يمحوهما . فبادرته وأمسكت يده فلم يقدر الا على محو واحد فقط . ولكن بقي الآخر غير ظاهر ظهور آيتنا . فكتب تحته

فرض على الزوج أن يكفي حليلته في كل ليـل ونفل بعـده يرضي
فان تبـدل لفظ الفـرض بالرفض تبدلت هي معنى العرض بالعرض

فاستحسنت البيتين جداً ثم ناولت زوجها رقعة أخرى كتبت فيها . رأت السيدة ورهاء سيدة السيد زاهول بن غافول انها ترى الاسود بعينها اليمنى أبيض . والابيض بعينها اليسرى أسود . فكتب تحته

رضاء الزوج صعب أي صعب ولا سيما اذا رأت المعنـا
فتنظر فيك كل الحسن قبحا وتنظر فيه كل القبيح حسنا

فاستظرفتهما وقالت لزوجها أراه يحسن تعبير الاحلام النسائية القصيرة .

فاحلم لي الآن ياعزيزي حلماً قصيراً وا كتبه في رقعـة وأنا أناوله اياها لننظر هل يستمر على هذه الطريقة معك أو لا . فلما كان الغدجاءته برقعة فيها . رؤى في المنام شيء مطاول . ثم ظهر لعين الرائي مستديراً ثم مطاولا ثم مستديراً وهلم جرا . فكتب الفارياق تحته

قد كنت أحسب هيئة الدنيا نظـــير الفرج اذ في القدر يشتبهان

حتى استبانوا انها كالاست تد ويراً فقلت تقارب الشبهان

فلما أطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت أراه لايتأدب الا معي. وانه ليشم الامور النسائية شما فانهو الا زير نساء . ولكن لا بأس في أن تجربه بحلم آخر وبعدذلك نرى ماالذي ينبغي أن نصنعه معه . فلما كان الغد جاءه برقعة فيها . قد رأيت ان يداً خطت على صدغي عدد ثلاثة ثم توارت . ثمددت يدي الى صدغي لاحكه فمحت من العددسنين فصار الباقي واحداً ذا عوج . فكتب الفارياق تحته

تكلفني زوجي ثلاثاً ولم أطق سوى صرعة والعجز من ذاك لامني

فقلبي وطرفي لا علان بتة كمهبلها لكن ذلك لا يغني

فأخذ الجواب وأقبل يهرول الى امرأته . فلما اطلعت عليه ضحكت وقالت انه لايزداد معك الا جنوناً وسفاهة . فينبغي الآن أن تدعه حتى حين وقم أنت الى الصرعة . فقاما اليها واستراح الفارياق منهما أياماً .

الفصل الحادي عشر

في اصلاح البخر

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيره ان الفارياق قدم اليها لتعبير الاحلام وانه خبير بهذا الفن جدا . وان به ملكة ايضا على اصلاح البخر . فبعث اليه ذات يوم بعض حجاب يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم لمسألة مهمة فلا بد من أن تفد عليه . فلما حانت الساعة توجه الفارياق اليه وهو موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلما حكميا جليلا يعسر عليه تعبيره . لان العظماء لا يحلمون الا الاحلام العظيمه . فهم منزهون عن جلاهق القنبيط ووهي المفتاح والصرع وغير ذلك من الاحوال الخسيسة اللائقة بالصعاليك . فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغني قدومك الى هذه الجزيرة عند الخرجي . وانه قد ضايقك بكثرة أحلامه وما كفاه ذلك حتى علم زوجته ايضاً ان تحلم مثله . فهل لك الآن في تعاطي مصلحة لدينا تخفف عنك احلامه وتثقل كيسك . قال ماهي ياسيدي . قال ان عندنا في هذه الجزيرة قوماً بخراً لايطيق احد أن يفهم منهم شيئاً اذا تفوهوا لشدة بخرهم . وقد سمعت انك قادر على علاجهم فهل لك في اصلاحهم ولك عندنا المكافأة الحسنة . قال الامر اليك ياسيدي ولكني كاهن المعبر . قال اني باعث الآن الى الخرجي من يخبره بذلك فلا تخش منه ضيراً . قال جزاك الله خيراً . انك أهل للخير والفضل . ثم انصرف من حضرته من غير ان يرجع القهقري . لان حكام الافرنج لاينكرون على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل بطونهم اظهر من ظهورهم . فلما بلغ الى منزله وأخبر زوجته بذلك وكانت قد بدأت تتهجى

قالت . بورك من يوم اني رأيت فيه بدكان جوهري عقداً نفيساً . وكاني رأيت عليه حروفاً ظهر لي انها ك س ب ا ل ب خ ر فهل يخرج منها معنى . قال يخرج منها معنى اني اشتر به لك من الدراهم التي تحصل لي من وظيفة البخر . قالت نعم فاني كنت اسمع أمي تقول لأبي ان الرجل اذا بذل رأس ما يتحصل بيده من الاموال في شراء حلي ولباس لزوجته بارك الله له في ذنبها . اي في ذنب الاموال لا في دنب امرأته . قال فما الفائدة اذاً من هذا البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين . قالت لزيادة جمال زوجته . قال اما انا فراض بما فيك من الحسن الطبيعي فلمن هذه الزيادة . قالت هي تزيدك حبا الي . وتبعث غيرك أيضاً على أن يحسدوك علي . ويتمنوا لو اني كنت لهم . قال اللهم اكفني شر المزيد . ولكن لا بد من شراء العقد . فهو أولى من انحلال العقد . فوعدها بذلك فاعدت بحمد الله تعالى ولمست جيدها . فلما مضى الشهر وقبض المرتب له أنجز لها وعده . فقالت هو من دراهم البخر ولكنه أحسن من الند . لقد قسم الله بيننا أعدل قسمة خذ أنت دراهم الهلج واعطني دراهم البخر . فقد رضيت بهم . قال فقلت لها لاتقولي بهم ولكن بها . فان بهم يرجع الى البخر . قال فهيمنت بكلام لم أسمعه كله وانما سمعت من آخره قولها وأي ضرر من هم . فقلت لها وأي حيزبون أنت . فالتفتت الى الباب فلم تر أحدا فقالت أين الزبون . ثم استمر الفارياق في الوظيفتين المذكورتين معبرا ومصلحا مدة مكنته من حل مشاكل زوجته . واتخذ له متاعا فاخرا وآنية حسنة وصار يدعو الناس ويصنع لهم ولائم . وكان للحاكم عادة أن يدعو جميع المعروفين في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنساء بحضرته . وكان من جملة المدعوين الفارياق وزوجته . فلما رأت الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنساء قالت لزوجها هل هؤلاء النساء أزواج هؤلاء الرجال . قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك . قالت وكيف يخاصرونهن اذاً .

قال هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج . قالت وبعد المحاصرة ما يكون منهم . قال لا أدري ولكن بعد انفضاض الناس يذهب كل الى منزله . قالت أشهد بالله انه ماخاصر رجل امرأة الا وباطنها . قال لاتسيء الظن انها عادة قد مشوا عليها . قالت نعم هي عادة ونعمت العادة . ولكن كيف يكون احساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها . قال فقلت لا أدري انما أنا رجل لا امرأة . قالت ولكن أنا أدري ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا الاحساس الفوقي والتحتي . ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرص في أي موضع كان من أجسامهن يبدين الحركة من الخصر . ثم تنفست الصعداء وقالت . ياليت أهلي علموني الرقص . فما أرى فيه لأنثى نقص . فقلت لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا مطلما . فقالت ياللفضيحة بين الانام . أتقول هذا الكلام في مثل هذا المقام . قلت هيت الى البيت فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رأيت . قالت لابد من ان أرى ختام الرقص . قال فلبثنا الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهي سائرة نساء مع رجال راقصات . رجال مع نساء راقصون . راقصات راقصون راقصون راقصات . فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات . قالت الرجال والنساء والبنون والبنات . كيف — متى — — أين

ثم بعد أيام ورد على الفارياق حلم مشكل فى وحش ذي قرون واذناب كثيرة وشيات وبقع شتى فى جلده . واراد صاحب المعبر ان يعرف تأويل كل قرن وسر كل بقعة . فعسر عليه ايشاؤه فذهب الى منزله مبتئساً متسخطا . فقالت له زوجته ما بك . قال هم ونكد . قالت ما سببه . قال كلما تخلصت من ورطة وحلت فى اخرى شر منها . قد كنت من قبل مداحا للسري بما لم أرد . ثم صرت عشير المجانين . ثم معبر الاحلام ثم مصلح البخر . وكل ذلك على غير ما اروم فما انكد هذه المعيشة واضيق

هذه الدنيا علي . أليس فى الارض مندوحة عن هـذا : قالت خفف
عليك ياسيدي ان كل انسان فى الدنيا له نصيب من الحزن والهم . حتى
المرأة ايضاً لاتخلو من الهم فدأبها كل يوم ان تزجج حاجبيها . وتكحل
عينيها . وتورد خديها . وتخفف خطو قدميها . وتنظر فى المرآة مئة مر
كيلا ترى شعرة قد انفردت عن سائر شعرها . ثم تخاطب نفسها في المرآ
وتضحك وتتبسم وتهلس وتغمز وتلوي جيدها وعطفها وتتنفس الصعدا
وغير ذلك . لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال في عيون الناس . قال فقلت
أهذا وقت الجد أم الهزل . انا اقول لك ان للوحش أذناباً وقروناً وشيات
لاتحتمل التأويل. وانت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل . قالت ليس
فى كل يوم يأتيك وحش مثل هذا وانما هم النساء فى كل صباح ومساء ضربة
لازب . وحسبنا بالغربة هماً وحزناً . قلت اما انت قريرة العين هنا وقد
تمتعت بالحرية فى الخروج وحدك . وفى رؤية الناس وفى ورؤيتهم لك
بما لم تعهديه من قبل فى دولة البرقع والحبرة . قالت انما ينغصني كوني
لاأستطيع أن أبلغ اهل مصر أي النصارى منهم قبطيهم وشاميهم ما يرادمن
الزواج مما لم يعرفوه بعد. فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المرأة لمرضاة الرجل
فى فراشه وخدمته وخدمة بيته . فترى طلعة الرجل منهم اذا جاء منزله
وواجه امرأته كطلعته حين غاب عنها سواء . وانه ليقعد بعيدا عنها قعدة
المستريب المتفكن . واذا نظر اليها فما ينظر الا الى شعرها ليرى هـل به
شعث أو لا . ثم هو لايصلحه لها إمام الناس اذا شعثته الريح وغيرها .
ولا يلبسها ولا يأخذ بذراعها اذا تماشيا . بل قلما يمشي معها الا اذا سارت
لتنظر أهلها غيرة عليها من أن يكلمها أحد في الطريق أو يراها فترجع حبلى
من النظر بفذ ومن الكلام بتوأمين . فاذا حضر الطعام تمشى وهو ساكت
وجم كانما يأكل شيئا مسموما . وربما كلفها غسل رجليه قبل النوم أو

تكبيسهما حتى يجيئه النعاس . وهو في خلال ذلك يرمش ويرضك ويتثاءب ويتمطى . ثم يرقد دون عفز ولا حفز . وكلما كان عيد لأحد مناجيف الرهبان تأبل عنها ويلزمها أن تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدي وأحسنت ياسيدي . وربما كان ذلك السيد سيدا عملسا . أو كان من أكبر الحمقى وكانت هي رشيدة لبيبة فلا يسعها الا أن تتبعل له . ولا يمكنها اذا رأت منه غواية أن ترده الى طريق الصواب . فقد تقرر في عقول النوكى المآفيك ان عصيانهن النساء طاعة لله حسنة . حتى اذا وقع منكوسا على أم رأسه رجع الى امرأته باللوم والتبكيت . قال قلت قد روي عن النخعي انه قال من اشراط الساعة طاعة النساء . فقالت كأني بالافرنج قد حشروا أو يحشرون الليلة . ثم استمرت تقول وأقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحي أن يتزوج ببنت لم يأت عليها بعد نصف عمره . فاذا استقرت عنده شرع في تربيتها وتنبيهها وتوليدها من ذي أنف وعاملها بالنفاق والدهان . فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهمها انه ذو صلاح وتقوى يتورع من اللهو والسماع وعشرة الفتيان الكيسين . وما يخطر بباله ان مغايرة السن بين الرجل وامرأته هي من أعظم الاسباب الباعثة لها على فركه . بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هي مفعولا يقضي له بالمزية والفضل عليها . فقلت ان دعوى الفاعلية ما أراها الا باطلا . فان المفاقمة والمباضعة والمواقعة واخواتها تدل على ان الفعل مشترك بين اثنين . وانما الافضلية باعتبار البادىء . فقالت ليس الابتداء متعينا على واحد دون الآخر فايهما بدا صح . فلا مزية لاحدهما على صاحبه هذا وكم من مرة لمجرد هذا الوهم يغادر الرجل امرأته وحدها في البيت ويقضي ليلته عند أحد أصحابه . فيتماطى معه المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل فلا يقدر على الرجوع الا اذا حمل بين اثنين كالجنازة . ثم هو لا يفرق بين أن تكون زوجته حبلى أو غير حبلى . فتراه

يكلمها وهي في تلك الحالة بعين الكلام الذي كان يكلمها به من قبل . وربما دمق عليها كالضاغب فناها بمرعبة . أو أسمعها الضبعطى والضبنطى والضبغطرى وايه ودخدخ وهجاجيك وهذاذيك . أو كان عليها دبوقاء أو لزاقا أو طباقاء أو عباقاء أو عيايا أو عباماء . فنهاية رفقه بها وشفقته عليها انما هو أن يشتري لها جارية أو يستخدم وصيفة . وليس المقصود بذلك مجرد تخفيف الشغل عنها وانما المقصود جعل الامة أو الخادمة رقيبة عليها حتى لا تخونه في عرضه . ولا اقول في ماله لانه لا يخرج من البيت الا بعد ان يقفل صناديقه . مع ان الجارية لا تكون الا ذات ضلع مع سيدتها عليه وان شتمتها بين يديه واهانتها . لانها لا يهمها كون سيدتها تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة . بل يهمها ان تنال عندها الطيب من المأكول والمشروب . فاذا كانت زلة سيدتها كما يقال تحت يدها ادلت عليها بتلك الزلة وتجرات على ان تطلب منها ما تشاء . لا بل تتمنى ان سيدتها تكثر من العشاق ما استطاعت . لانها تؤمل منهم الصلة والاحسان . ومعلوم انه كلما كثرت العشاق كثرت الصلات

وبعد فان من طبع النساء في كل زمان ومكان الارتياح الى شواغل الهوى وبواعث العشق . وأن يرين اهل الدنيا كلها مسترسلين اليها ومنهمكين فيها . فالجارية التي تكون عند سيدة حرة على فرض صحة ذلك لا تلبث ان تغاضب سيدتها حتى تغري زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند أخرى غير حرة . غير ان الرجال مغفلون . نعم هم مغفلون . فأما تبجحهم بكونهم يشترون لازواجهم حلياً في ربيع يسرهم فذلك عائد الى خيرهم . لانهم لا يلبثون ان يسلبونهن اياها في خريف عسرهم وافلاسهم . فأية امرأة ترضى لنفسها بأن تقعد في بيتها كالفرس المسرج المعدة للركوب وهي محرومة من معاشرة الناس . قال فقلت والله ما قلت كلاماً أحسن من هذا . وهذه آثار النجابة بدت تسطع من طباعك فحياك الله وبياك . قالت

وما بياك قلت ليس بشيء . قالت ولكنها عندي حسنة للازدواج . قلت كأنك تقولين انه من قبيلي تزويج لفظة بأخرى فيشم منه رائحة الزواج . قالت نعم الزواج سار حتى في الالفاظ . قلت ولكن بقي لي عليك اعتراض وهو انك عرضت في اول خطبتك هذه البليغة التي أفادتني اكثر من خطب صاحب المعبر بأني أصلح شعرك وثيابك امام الناس . او بأنه يلزمني أن افعل ذلك وهو مما فات فكري . قالت انك لما تفعله ولكن ستفعله ان شاء الله عن قريب . فاني أراك تقدر النساء ولا تبخسهن حقهن واني واحدة من عباد الله هؤلاء .

الفصل الثاني عشر

في سفر ومحاورة

ثم لما كان الغد ذهب الفارياق وهو موجس من تعبير الوحش . فجاءه الرئيس يقول قد عن لي ان أسافر الى أرض الشام لاجل تغيير الهواء . فان هواء ذلك القطر طيب والاحلام فيه تصح ويسهل تعبيرها . واني أراك مثلي ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعسى الله ان يوفق لنا اسبابه ونعود بخير . فاستأذن الفارياق الحاكم في ذلك فأذن له كرماً وتفضلا . فأقبل على زوجته يودعها ويقول . عهدي اليك يازوجتي بادىء بدء ان تتذكري السطح فيبعثك على حفظ العهد والوداد . وان تعنى بأمر ولدي . الذي أغادر عندك معه كبدي . واذا أتاك فاسق بنبأ فتثبتي . اي اذا قال لك غداً احد ممن حسدني عليك قد مات زوجك في البحر وأكله الحوت ولم يبق في عالم الوجود سوى اسمه فلا تركني اليه . قبل ان يرد اليك كتاب مني تعتمدين عليه . قالت ولكن كيف

تكتب لي اذا كان الخبر صحيحاً . قال فقلت يكتبه لك صاحب المعبر .
ولكني أرجو أن أصل سالما وتقر عيني برؤية أهلي وأهلك وأبلغهم سلامك.
قالت ألا تعين لي مدة لارسال الكتاب . قلت شهرين . قالت هـذا
دهر دهارير أية امرأة تصبر شهرين . قلت نحن سائرون في سفينة الريح
فان الطبيب قال لصاحب المعبر انها أوفق من سفينة النار لما في هذه من
رائحة الفحم التي تضر بالمصدورين . قالت افعل ما بدالك ولكن احذر
من أن تفيق وتهوى غيري . قلت انما أحذر من الثانية لامن الاولى . قالت
لا بل مني فاحذر . قلت انما عنيت اني أحذر من الهوى . قالت نعم اياك
واياه فانه يزيدك ضنى . قلت ليست البلاد التي نقصدها مظنة لذلك كهذه الجزيرة .
قالت النساء والرجال في جميع البلاد سواء . ولا سيما انك الآن في زي
غـريب والنساء كلهن يتهافتن على الغريب . كما ان الرجال يتهافتون على
الغريبة . قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المرأة المصونة اذا دخلت بين
جيشين تخرج كما دخلت . قالت نعم تدخل امرأة وتخرج امرأة . قلت
وأين المصونة أراك حذفتها . قالت في زمن الفطحل . قلت وما الفطحل
قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعد . قلت من أين علمت هذه اللفظة الغريبة.
قالت سمعتك مرة تقولها فحفظتها وهو دليل على التهافت على الغريب .
ثم سكتت مفكرة ثم ضحكت . فقلت لها مم تضحكين أمن الفطحل .
قالت لا وانمـا ذكرت حكاية عن امرأة سافر عنها زوجها فضحكت .
قلت وما هي . قالت كانت امرأة متزوجة برجل يريبها في بعض أحواله
ولم تكن على يقين مما رابها منه . واتفق انه سافر عنها فحزنت لفراقه لكنها
ظلت واجدة عليه . فجعلت مرة تدعو له وأخرى تدعو عليه . وقالت
ان كان بريئا بلغته دعواتي الصالحة والا فيلحقه غـيرها . فقلت هل في
نيتك اذاً ان تحاكيها . قالت معاذ الله أن أدعو . قلت قولي لك أو عليك
حتى يفهم المعنى . قالت عليك . قلت لله أنت ما أرى لي من يديك منجى.

فالتفتت الى الباب وقالت ما جاء أحـد . قلت دعيني بحقك من الزبوق
ومن من جاء فانا الآن على جناح السفر . قالت سر في أمن الله ولا ترتب
فان للهزل وقتا وللجد وقتا وعرض المرأة هو من الاخير . قلت وهـذا
أيضا كلام موجه كانك تقولين انه ليس من الامور المقدمة . قالت ألا كن مطمئنا
سواء كان من هذا أو ذاك فانك ستجدني كما فارقتني ان شاء الله . قال
فودعها والدمع هامل على جيـدها وبكت هي أيضا لفراقي فانها كانت
أول غيبة عنها . وكان من خلقها اذا بكت أن تبدو في طلعتها لوائح وجد
شائقة . وملاح حسن رائقة . والنساء أشوق ما يكون اذا بكين . ولكن
لا يكن كلامي هذا باعثا على ضربهن شلت يدا من مسهن عن غضب .
قال فتزايد بكائي لبكائها وأحسست ح بلوعة الفراق . ثم أقلعنا وما كادت
تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق في صدري وخطر ببالي
كل ما قالته مصبوغا بالوساوس والهواجس . قال ومن كان حلس بيته لم
يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاغمة منخريه لم يدر ما ألم الفراق . بعد ليالي
الوصل والعناق . ولا سيما اذا جرى ذلك أول مرة . فينبغي اذاً أن اصور
لخاطر صاحبنا هذا الحلسي المفغومي بعض ما يقاسيه المحب من لوعة البين .
عسى أن يرق قلبه فيدعو لجميع النائين عن أحبابهم بقرب الوصل وجمع
الشمل فاقول . ان الفراق طالت مدته أم قصرت قربت مليته أم بعدت
عبارة عن فصل أحد المتواصلين وحرمانه من أنس صاحبه . وقد تكون
لوعته أشد من لوعة الموت . لان فراق الميت مقرون بالاسف والتحسر .
وفراق الحي بهما وبالغيرة أيضاً . وهي في مقابلة اليأس المتسبب عن فراق
الميت بل هي أشد مضضا منه . هذا في حق المتزوجين المتحابين فاما في حق
الكارهين فلا أسف ولا حسرة على كلا الحالين . ثم ان المحب المفارق اذا
فارق حبيبه ورغد عيشه في غير وطنه . من طعام لذيذ ياكله او مسامرة
مطربة او سماع غناء يتلذذ بهما أو رؤية أشياء بديعة ووجوه ناضرة سنيعة

تقربها عينه . فاول مايخطر بباله انما هو حبيبه النائي فيقول في نفسه .
ألا ليته الآن حاضر عندي ليشاركني في هذا النعيم . فاني احسبه اليوم
محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد . فكيف
يتأتى لي أن ألهو وافرح وهو محزون . وكيف يمرئني الطعام ويسوغ لي
الشراب . وهو الآن لعله مقه عنهما وحشة واكتئابا . الى غير ذلك من
الخواطر المكدرة . والافكار المحسرة . فاما اذا ماسى جهدا ونكدا بعد
فراقه فانه يقول . فيبا لي ويحا ويحا وو يسا وويلا ووبها . ان عيشي
الآن نكد ذميم . وحالي موحشة وفؤادي كليم . وقد جرى بيني وبين
أليفي الاتفاق على أن نكون شركاء في السراء والضراء والنعماء والبأساء .
وأحسبه الآن متنعما منعما . مترفا مترفها . برتا برجا برعا طرحا . يسامره في
الليل كل ربيز ظريف . ويجالسه في النهار كل كيس لبيب . ألا وكاني به
أي بها تبتسم الآن ابتسامة رضى واعجاب لمن أطرأ على محاسنها وجمالها
فقال لها . ليتك كنت تتخذين عوذة لترد عنك عين الحسود . فاني
لا أسمح بهذا الوجه المنير الوضاح أن يراه كل أحد من الناس . ولا ينكر
أن يتشهى عليك من ابتلى بامرأة دميمة فان العين حق وان جمالك فريد .
فما يكون جوابها الا أن تقول له . ما أحسن عينيك فانهما تريان الشيء
كما هو . فاما عينا زوجي فان عليهما غشاوة . وان من مذهبه الفاسد
أن يقول ان العين اذا ألفت شيئا مهما كان بديعا في الحسن قل اشتياق
النفس اليه . أو كما تقول العامة ما تملكه اليد تزهد فيه النفس . غير اني أخشى
من انك اذا أكثرت من النظر الي والقرب مني لا تلبث أن تتمذهب
بمذهبه فتراني على غير ما أنا عليه الآن . فيقول لها معاذ الله هذا كلام
الجهال . فاما الصادقون مثلي في الحب . وهيهات مثلي . فانهم أبدا يتمثلون
بقول أبي نواس

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

واني أشهد الله علي وهو خير الشاهدين . وملئكته المقربين . وانبياءه ورسله المكرمين . انك اذا عاشرتني العمر كله فلن ترى عيني بشراً أحسن منك . فتقول له هذا شأن الرجال دائما من انهم يتملقون المرأة ليفتنوها ويخدعوها . فمرة يقولون لها تبارك الخلاق . ومرة أفدي الغزال الشارد . ومرة ياسعد من كنت له . أو طوبى لمن رأى طيفك في المنام . وتارة ينظرون اليها وقد غرغرت أعينهم بالدمع . وتارة يزفرون وينتحبون . كل ذلك حتى يتمكنوا منها مرة أو مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون . وبسرها بائحون . فنحن منكم على حذر . ولا يخفى علينا ما بدا من منكم وما ظهر . فيقول لها معاذ الله . حاش لله . أستغفر الله . ما شأني شأن المتملقين الملاذين . ولا طبعي طبع الفاسقين . بل ان لساني فى هواك ليقصر عن بيان ما تجنه سرائري . وما يخطر بخاطري . فياليتني أعرف لغة أعبر عنها عن فرط وجدي بك وتوقاني اليك . ولو اطلعت على ضميري لصدقت وعلمت اني لست كأحد الناس وان غرامي فوق كل غرام . فاطيلي عشرتي ولو بدون وصال ليتأكد لك صحة ما أقول . فتقول له وقد فتحت لها تها وزال ضرسها . وما الفائدة فى ذلك فان المرأة ليست نجما يرصد طلوعه وغروبه . ولا برقا يشام ليعلم هل هو خلب أو ماطر . ولا أحجية يحاول فكها وايشاؤها . وما يهمها أن تكون أجمل من سائر النساء وجها وانما يهمها أن تكون اشوق للرجال وافتن . فان التشويق يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الشمائل والمحاضرة والملاطفة والمؤانسة والغنج والدلال والافترار والحدقلة والترنجيح والغرنقة والوكوكة والتأود . فيقول لها نعم سبحان من جمع جميع هذه الاوصاف الحميدة فى ذاتك الفريدة . فكل ما فيك شائق وكل ما في مشوق . فتقول له وقد ازدهر وجهها سرورا واعجابا . قد يقال ان نبض العاشق يكون مضطربا فدعني اجس نبضك لأعلم هل ماقلته صدق او لا . فيقول لها نعم نعم

خذي يدي فجسيها واجعلي يدك الاخرى على قلبي . فتفعل ذلك فيقول دعيني اذاً افعل بك كما فعلت بي لتنكشف هذه الحقيقة لكل منا . فتجهث وتحمر عند سماعها قوله افعل بك و يضطرب نبضها ثم تسكن وتمـد له يدها . فيجسها بأحدى يديه ثم يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمر حملاقه واندلع لسانه . ثم يزفر زفرة طويلة و يقول

لك الله من قرموطة ملأت يدي لقابضها قبض على كرة الارض

لاسجمها انسان مقلتي الفدا وكل عزيز من متاع ومن عرض

فتقول له وقد دغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست فى يده وقلبه فقط بل هى فى سائر اعضائه . فينبغي على هذا ان نجس كل عضو فينا لنعلم اينا اكثر حركة وانتفاضا ونفضا ونبضا وازاونيضا وازوحا وحبضا . اذ لايصح الحكم على شيء الا بعد الاستقراء والاستقصاء . فيقول لها وقد طرب وجدا وحبورا نعم نعم نعم القول ما قلت . غير انه لما انه كان الانسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ فى غيره مالا يلاحظه فى نفسه . كان لا بد من ان يكون هذا الاستقراء بالتخالف اي — فتبتدره قائلة قد فهمت ما عنيت وهو معلوم بالبديهة ومستغن عن التفسير وهذا هو الذي قصدت . فهات يدك وخذ يدي . حتى اذا جالت الايدي بالجث والجس . والمث والمس . والنجث والنجش . والبحث والمعش والضبث والمش . والطمث والملش . والفحث والفتش . والقبث والمتش . والمرث والمرش . والمغث والمعش . والنبث والنبش . والنقث والنكش . والحث والنتش . قالت وقد قوي حبضها ألا هيت لك . ألا هيت لك . فان قولك على اي الحالين صدق . فيقول لها لبيك وسعديك لقد طالما شبحت يدي بالدعاء لان اسمع هذه الدعوة المنعشة وهذه النغمة المطربة — اعلى هذا كان الفراق . ام من اجل هذا حسنت لي السفر بان قلت لي ذات ليلة انى ارى بك يارجـل فتورا . فلو سافرت الى ارض

طيبة الهوا. لعاد اليك نشاطك القديم فعدنا الى ذلك النعيم . أفكانت هذه حيلة منك على تغييبي ليخلو لك الميدان فتمرحي فيه كيفما شئت وتتعاطي علم جس النبض وحركات الاعضاء . ألم يكن لي نبض كسائر الناس فتتعلمي به هذا العلم الجليل . أم تزعمين انه ضعيف لا يصلح لأن يتعلم عليه. على انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بسببك . وعهدي به من قبل ليلة عرسنا له ضربان وانتفاض وانغاض . أفهكذا يفعل المتفارقون . و بمثل هذا يخون المترافقون . أيحل لك من الله أن تتنعمي الآن وأنا في حالة البؤس والشقاء . بطراً تجسين العروق وانني عرق المجسة ان بي عرواء . ألم يكفِ ما كنت اقاسيه معك في البيت حين كنت أغدو منه كادحا . وأرجع اليه رازحا . وكانت همومك كلها علي . ولومك كله متوجها الي . فكنت انصب لراحتك . وآرق اجحاحتك (١) . والغب انشبعي . واجهد لترتعي . وأبرد لتدفأي . وأقلق لتهدأي . وأتهجد لتتهجدي . وانحل لتمغدي . فقد تبين الآن أينا ذو أمانة . ومداهنة وخيانة . واذ كنت أقول لك ان الامانة في النساء أقل منها في الرجال . فان الرجل أبدا مشغول البال . مضعضع الاحوال . يلهيه عن اللذات كده ونجله . و يصرفه عن هواه رشده وعقله . والمرأة لاهم لها الا تشويق الرجال . وفتنتهم بها في كل حال . كنت تقولين لابل المرأة أكثر حشمة وحياء . وأقل نهمة ورئاء . وأميل طبعاً الى التعفف وأبعد خلعاً عن التكلف . فان جمعنا الدهر يوما وأفضنا في حديث الوفاء . والمودة والصفاء . حججتك بما لا تقدرين معه على الجواب . وأظهرت فضل الرجل على كل ذات نقاب . الخائنات الحانثات . المائنات الغادرات فان أبيت الا الجحد والمكابرة . فالهراوة لدي حاضرة . واليد للطم واللكم مبادرة . فاذا أمسكت بناصيتي أو جيبي . وأذعت بين الجيران عيبي .

---

(١) اجحت المرأة حملت فاقربت وعظم بطنها

جعلت لك من الشجاب صليبا . أو من الذئط نصيبا (١) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الغيظ كل هياج . وود لو يطير الى بيته مع العجاج . فينقلب فرحه ترحا وصفاؤه تكديرا . قال غير ان للحزن في مبادئه فائدة . وهي ذود شوارد الامال المغررة والاماني المحالة الى مراح البصيرة والرشد . بحيث يسكن البال . عن الحوم على موارد المحال . و يستتر الخال . على فطم النفس عن الاحتيال . والى هذا أشرت بقولي

وربحزن يصون القلب عن سفه كما يصون إناء واهيا صدأه
وما انفضى منلذاذات الهوى عجلا سيان غايته عندي ومبتدأه

قال وأروق الافكار وأبدعها ما يخطر فى ثلاثة أحوال . الاول في مبادي الحزن . والثاني في الفراش قبيل النوم . والثالث فى بيت الخلاء . فان هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل موادمتكاثفة تتنفس عنها الامعاء والاعفاج . كان هذا التحليل والتنفس أسفل مؤثرا في تحليل ما تعقد في طبقات الدماغ العليا في وقت واحد ومكان واحد . فيكون بعض المواد ذاهباً سفلا وبعض الصور صعدا . كالبخار الذي يصعد من الارض فيعقد سحابا ماطرا . فقد عرفت مما مر انه يتحصل من الحزن من الفوائد ما لا يتحصل من الفرح . لان الفرح يبعث على الطيش والذهول وتشتت الخواطر في اهواء النفس وأوطارها المنتشرة . فهو عبارة عن تعدد اهواء وتفريق خواطر . والحزن عبارة عن ضمها ولمها . ولهذا كان جل العلماء من الصعاليك المبتئسين . وقل من نبغ فى المعارف من الاغنياء والمترفين . الا أن يكون قد غرس فى طباعهم نوع من الزهدوالعزوف المقترن بالحزن. قال وأحسن ما سنح لي من الخواطر انما كان عن بواعث أشجان وخوالج أحزان . اما من وحشة فراق أو من خيبة وحرمان . أو من

---

(١) يقال ذأط وذاط وزعط وظأت ودغت وذأت وذعت وزعت وزرت وسأت بمعنى خنق

حسد على علم وبراعة أما على ثروة ومال فلا . اللهـم الا اذا كان لمصلحة كانشاء مدارس ومؤاساة محتاج . واني لاعجب من هؤلاء الرهبان فانهم معها هم فيه من الوحشة والحرمان فما أحد منهم نبغ فى علم أو مأثرة . ولو كنت راهبا لملأت الدير نظما ونثرا والفت على العدس وحده خمسين مقامة. ليت شعري كيف يمكن لبشر اذا خلا في صومعته ورأى تحتها الغياض المدهامة والبحر الساجي والجواري المنشآت . وعن يمينه وشماله الجبـال الشامخة المكللة بالثلج وفوقه الرقيع الصافي وامامه القـرى والمنازل . أن يقضي نهاره كله وهو يرمش و يرضك (١) ويتثـاءب ويتمطى ويملد معدته من دون تأليف ونظم . ولا سيما ان من حسن سا كنات تلك الديار ما يشرح الصدر ويروح عن البال . فاذا كانت هذه المناظر البهيجة كلها لاتهيج هؤلاء النساك على تأليف كتاب فأي شيء بعدها يهيجها .

هذا وان كثيراً من المسجونين قد ألفوا وهم في الضنك تآليف بديعة . يعجز عنها سكان القصور الوسيعة . فأما ماقيل عن عبد الله بن المعتز من انه كان ينظر الى اواني داره ويشبه بها فليس كل عبد كعبد الله . فانا نرى الناس الآن كلما زاد ثراهم قل حجاهم . والحاصل ان وحشة الفراق تبعث الخاطر على ابتكار المعاني الدقيقة . وكذلك الصد والهجران والاعراض والمطل والعتاب والشفون والدلال والتمنع والتعزز من طرف المحبوب . ولكن ليس محصول هذا الحاصل اغراء الحبيب بهجر محبه حملا له على النظم . أو تعمد الفراق بعثاً له على وصف مايجده من الشوق واللوعة . فان أحسنه ما جاءت به المقادير دون تعرض له . وها أنا أبريء نفسي عند العاشقين والمتزوجين وأقول . انه اذا جرى بينكم وحشة أوجبت الفراق. أو فراق أوجب الوحشة . او صد او هجر او لجاج. او جدال او اعتلاج.

---

(١) أرضك عينيه غمضهما وفتحهما

او تقافس اوتقاقس (١) او صراع بالشغربية والشغزبية والقرطبي والالهاد والدهشرة والظهارية والمبأشة والبأش والهرضة والنتض والمراسغة والتنسف والتهرق والاعتقال فما يكون علي في ذلك من عتاب ولا ملام .

انتهى كلام الفارياق وقد أحسن فيه . الا انه لم يحك عن نفسه انه كان عند الحزن جزعاً خرعاً كثير الوساوس والهواجس قليل الحيلة والتدبير غير ثابت الرأي ولا مضب على ما في نفسه . فانه لم تكد أرض الجزيرة تغيب عنه حتى طفق يشكو من النساء ومن بطرهن عند غياب بعولتهن عنهن . فسمعه الخرجي وزوجته فقالا له ما بالك تشكو لا خوف عليك من تعبير الوحش مدة السفر كلها . واذا بلغت أرضكم ان شاء الله فلا أحلم الا الاحلام البينة . قال ما شكواي من الوحش ولا الجن بل من الانس . فاني سمعت اليوم كذا وأوجست كذا ولعلى أرجع وأجد كذا اولا اجد كذا او لا أرجع ولا أجد البتة . فلما سمعت زوجته بذلك ثارت زبانية سفر من أنفها فقالت له . هل بلغ من طيشك ان تسيء الظن في النساء المتزوجات . قال قد ظن فيهن ذلك من قبلي الحليم الرزين . قالت ليست هذه الخلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجي ما يخامره ريب في . قال ان السيد مشغول بالاحلام بحيث لم يبق في رأسه موضع لغيرها . أليس ان عالمكم بيرون يقول أخون ما تكون المرأة ما اذا غاب عنها زوجها . قالت انه شاعر وان كلام الشعراء لا يؤخذ به في الحكم على النساء الا اذا كان نسيباً وغزلا . ثم بينماهم كذلك اذا بالريح هاجت الامواج فاضطربت السفينة ومادت اي ميد . فلزم كل مكانه مدة اربعة ايام حتى ذهل كل من ركابها عما وراءه وقدامه . وبعد سفر اثني عشر يوماً بلغوا مدينة بيروت وهم جياع تعبون شاحبون مبتئسون . والهالج يترقب اول فرصة من الدهر لهبوط الاحلام . فلما دخلوا البلد كان اول ما طرق مسامعهم من كلام

---

(١) تقافسا بشعورهما تواثبا وفقس فلانا جذبه بشعره سفلا وهما يتقاقسان

أهلها الركاك قول المخبران اهل الجبل قد خلعوا ربقة الطاعة لوالي مصر وتجندوا عليه . فكان اهل المدينة في شغب واضطراب . وكان دوار البحر والفراق . لم يزل يميد برأس الفارياق . فصعد الى جهة الجبل ليرى أهله فلقى بظاهر المدينة عسكر الاهلين مخيما . فهول عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار نصف قلبه من صدره ولم يزد قلب المهول شيئاً . لكن بعض الناس يرتاح للاذى وان لم يحصل له به فائدة . ثم لطف الله به وأنقذه من الهوم فبلغ منزل أهله . فلما علم قدومه عند أهل القرية أقبلوا يسلمون عليه مثنى وثلاث ورباع . فكان ينظر اليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بعاداتهم . فان النساء كن يأتين ويقعدن على الارض . فمنهن من كانت تقعد بين يديه القرفصاء او الهبنقة او الاربعاء او الفرشحة او البرثطة او البرقطة او الفرشطة او القعفزى . او ثبجاً او احتفازاً او امتعاساً او استيفازاً او اقعاء كقعدة القرد وهي مشمرة قميصها فتشف سراويلاتها عن وماحها . وهى عادة ألفنها ولا يرين فيها عيباً . وأكثرهن تبدي ثدييها سواء كانت كاعباً اوهضلاء او طرطبة . ويومئذ أفرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك يافارياق نحيلا . ومن قائلة وقد صرت ضئيلا . وأخرى ما لسحنتك قد كلحت . وغيرها ولطلعتك قد قبحت . ولاسنانك قد قلحت . وجبهتك لتحت . وأرنبتك فطحت . وأساريرك أزحت . وبشرتك قسحت . وشفتك تفرحت . وعنقك شمحت . وعينك لجحت . وقامتك تفنحت . وشعرانك تصوحت . وعجيزتك رسحت . وذقنك طحت . ولهجتك قحقحت . قال فتشاءمت من هذه القوافي وقلت لم يبق بعد تعدد هذا الحت الا أن يقلن وتلك قد نكحت . ثم قالت واحدة منهن ايه وهذه هنة قد زادت فيك . فقالت أخرى أوه وهذا شيء نقص منك . ثم جعلن يقلبنه ويمرخنه كما يقلب الشاري السلعة . وكلهن يقلن بنغمة واحدة يافارياق يافارياق أين الطنبور وأوقات السرور . أين أبياتك فى العقوص والطنطور . أنسيت

يوم كذا وليلة كذا . قال فكنت مسرورا بمؤانستهن وسلامة ضمائرهن
عن المنكر كما هو خلق نساء تلك البلاد ، فانهن لا يأبين من لمس الرجال
والدنو منهم ومماسة الركب دون الركب . الا انه كثرت مسائلهن علي .
وطال قعودهن بين يدي . وأنا محتاج الى الراحة والانفراد . ومع ذلك
فمجلس النساء مؤنس على كل حال ولا سيما لمن مضى عليه في البحر اثنا
عشر يوما من دون رؤيتهن . فو نتفن بعد هذا العهد الطويل لحيته
وشواربه بالمسائل لما لحقه من ذلك أذى .

قال وأعجب من ذلك اني كنت أرى الامراء يتمددون على الحصير
وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد . وربما اجتزأوا بالبيض والارز
واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نقل .
وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعالهم بالقرب منه فتبقى
بمرأى منهم . وترى بعض خدمهم يعوم على رؤوسهم أي بازائها لا فوقها
وفي حزامه الملعقة . وآخر في جيبه الطاس من فضة اشارة الى غنى الامير
والى كونه كاحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب . وهو قاعد مطرق
لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة له تطربه . وقد يقضي
ساعات من النهار هكذا بل يوما وأياما ولا يرى من امرأة أصلا . حتى
تعمش عيناه ويظلم فكره وتلقس نفسه وتحرض معدته . فأين هذا من
مجالس الافرنج التي تزين بالمتكئات النفيسة وتفرش بالزرابي الفاخرة وتوطأ
بالنعال . ولا تزال الحسان مقبلات عليها مدبرات . فمن هيفاء تشرفها
بوطأة . ومن غيداء بطفرة . ومن زهراء بزفنة . ومن وطباء بحركة . ومن
دهساء باضطجاعة . فمن يصبر على هذه الحال . فيا أمير النادي . وواحد
الاحاد . وراكب الجواد . ورامي الجريد على العباد . قل لخادمك حامل
الطاس ينح نعليك من امامك . بل البسهما وتعال معي الى بلاد الافرنج
لتنظر الامراء منهم محاصرين لأزواجهم واولادهم سائرين بهم الى المنارة

والحدائق ومواضع اللهو واللعب والطرب . ولا حرج على أزواجهم أن يبتسمن أو علن أعناقهن أو يتفرسن أو يوكوكن أو يحدقلن أو يحرجلن أو يفرجلن أو يهرجلن او يهركلن أ يتبازين أو يكبين . ولا على أولادهم أن يطفروا ويمرحوا . حتى اذا كحلوا أعينهم برؤية الكحل باتوا ليلتهم تلك على الوثير من الفرش مع وثائرهم . ليت شعرى لم لاتضم اليك مع جملة هؤلاء الحفان والوصفاء والبساتقة والنساتمة والهبانقة والمهنة والمناصف والنصف والحفد والمقاتوة والخدم والحشم الذين حولك ثلاثة نفر من العازفين بالات الطرب . ليجلوعن خاطرك صدأ هم الوحدة والاعتزال فى كل يوم عند الاصيل أو فى العشاء . وأذن لي فى استعطافك لأن تأذن لجيرانك فى ان يأتواهم ايضاً ويطربوا لطربك . فيدعوا لك بتأييدولتك . وتخليد غبطتك . ودوام بقائك . وسمو ارتقائك . وفى ان اسألك لم لاتعين فى العام عيدا لمولدك او لمولد السيدة او الاولاد المحروسين . فيكون يوم فرح وحبور لك ولجميع من ينتمي اليك بحيث تصطنع فيـه مأدبة وتدعو اليها دعوة جفلى لا نقرى . اي خير فى رمي الجريد واصابتك به كتف خويدمك العبد الحقير او ضرسه حتى تعطله عن الاكل وات لاه عن احسن الرمى واصوبه واصرده وامرقه . وانت آمن هناك من ان يقال لك برحى برحى بل يقال لك مرحى مرحى . هذا ما عدا ايلام ابطئ الفاخر العاطر برمي الجريد . وما الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفى حزامه الملعقة او على راسه الخوان او على صدره القمقمة والباطية او بيده العس والقعب او على عاتقه المائدة او على عنقه القدر . وانت لا تأكل مع السيدة واولادها ولا تأخذ ولدك وتضعه على ركبتك . ولا تحمله على ظهرك ولا تتطأطأ له ليثب فوق راسك . ولا تحتجره ولا تحتضنه ولا تتوركه ولا تعانقه ولا تحيل له خدك ليبوسك . ولا تمكنه من ان يعبث بشاربيك او يعض اصبعك او انفك ليضحك قليلا فأضحك انا كثيرا . ولا تطعمه بيدك

ليعرف انك محسن اليه . ولا تأكل شيئاً مما يلوكه . ولا تركبه على جحش وتقود به الجحش ولا تغني له فى الليل ليرقد على نغمتك فيقوم فى الصباح يغني لك غناء اطرب من غناء القفس ومعبد وابي البداح وسواط والعثمث وخليلان وعمرو بن بانة والزنام ومندود بن عبد الواسط الرباني وزنزل وعرفان والجرادتين وابنة عفزر وسلامة وشمول وابن جامع السهمي ودبيس ورقيق وابن محرز والمشدود وهاشم بن سايان ودحمان الاشقر وطويس وابن شريح والدلال بن عبد النعيم وابن طنبور اليمني وحكم الوادى وابراهيم الموصلي واشجى من

الزم ومن صوت كل دعبب غريض : الزم المغنيات المجيدات والغريض المغنى المجيد ومثله الدعبب

ولا تبابئه ولا تغازله : باباه قال له بأبي أنت

ولا تناغيه ولا تباغمه: باغمه حادثه بصوت رخيم

ولا تنادغه ولا ترأمه . نادغه غازله ورئمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته

ولا تنغره ولا ترخمه : نغر الصبي دغدغه كنغره ورخمت المرأة ولدها لاعبته

ولا تهيم له ولا ترعمه : رعمه مسح رعامه اي مخاطه غير ان صاحب القاموس خصه بالمرأه بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام الرعموم للمرأة الناعمة فالعفو مرجو منهما على كل حال

ولا ترزم لرزمته : أرزمت الناقة حنت على ولدها والرزمة صوت الصبي

ولا تتجنث عليه : تجنث عليه رئمه وأحبه وتلفف على الشيء يواريه

ولا تقرمه ولا تسمته : التقريم تعليم الاكل والتسميت الدعاء للعاطس (١)

---

(١) فى تعريف التقريم ابهام علي فان التعليم هنا يحتمل ان يكون من العلامة فيكون الاكل بمعنى الطعام ويكون المراد به ما اراده بقوله فى ر س م الرسم خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام وفى ر ش م رشم الطعام ختمه والا فهو فى محله

ولا تفدي له ولا تصهيه : أفدى فلان رقص ابنـه واصهاه دهنه بالسمن ووضعه فى الشمس

ولا تدسم له نونته : النونة النمرة فى ذقن الصبي الصغير وكذا الفحصة وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين

ولا تبدي له البجبجة : البجبجة شيء يفعل عند مناغاة الصبي

ولا الحوفزي : الحوفزى أن تلقي الصبي على اطراف رجليك فترفعه

و لاتقول له حلمة . قولهم للصبي اذا تجشا حلقة اى حلق رأسك حلقة بعد حلقة

ولا بجباح : بجباح كلمة تنبيء عن نفاد الشيء وفنائه

ولا محماح : هو كقولهم بجباح ومثله حمحام وهمهام

ولا كنخ كنخ : يقال عند زجر الصبي عن تناول شيء

ولا تعني بدنعه : دنع الصبي جهد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذل ولؤم

ولا بقفته : صوت يصوت به الصبي او يصوت به اذا فزع

ولا تكترث لبأبأته ولا لببته : بابأ الصبي قال بابا وببة حكاية صوته

ولا لتغتغته ولا لثغثغته : التغتغة حكاية صوت الضحك والثغثغة عض الصبي قبل ان يثغر

ولا لتأتأته ولا لدأدأته : التأتأة حكاية صوت وهى ايضاً مشي الطفل والدأدأة صوت تحريك الصبي فى المهد

ولا لدعبعه ولا لحتارشه : دعبع حكاية لفظ الطفل الرضيع وحتارش الصبي حركاته

ولا لادرامه : ادرم الصبي تحركت اسنانه ليستخلف اخر

ولا لفصيصه ولا لانتداغه : فص الصبي فصيصاً اذا بكى بكاء ضعيفاً وانتدغ ضحك خفياً

ولا تبالى بعقماده : المقماد خيط فيه خرزات تعلق فى عنق الصبي

ولا بقر زحلته : من خرز الصبيان

ولا بدراجته : الدراجة الحال التي يدرج عليها الصبي اذا مشى

ولا بحقابه : الحقاب خيط يشد فى حقو الصبي لدفع العين

ولا بصمتته : الصمتة ما اصمت به الصبي من طعام ونحوه ومثلها السكتة

فبحق عبوديتي لك ياسيدي ودالتي عليك الا ماوضعته يوماً على ركبتك او اركبته على ظهرك . ثم لابأس فى ان تدعه يلعب مع اولاد من هم متسمون بشرف خدمتك فانه لم يزل بعد صغيراً لايعلم هـذه الفروق . ثم لابأس ايضاً فى ان تسهر هذه الليلة فى حريمك المحترم مع بعض رجال قريتك وازواجهم ممن يتأدبون فى المحاضرة بحضرة النساء . فاني ارى صـدر السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهو حتى ينشرح بها. ولا غرو ان تستفيدا كلا كما من مسامرة رعيتكما شيئاً . فان راس الفقير ليس بأضيق ولا اصغر من راس الامير عن ان يشتمل على آراء سـديدة مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمـامة منه واغلظ قذالا . وكيف ترجو ان تكون السيدة وبناتها ذوات رشـد ودراية وهن مقصورات فى الدار العامرة . ام كيف ترضى لهـن وحاشاك الجهل والغباوة . وانتم ياسادتي الحكام والمشايخ والكبراء والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا بأهلكم وأزواجكم مع أهل جيرانكم . (ولكن المطارنة ليس لهم أزواج لتنزههم عن الزواج) وأن ترفعوا فرق المـذاهب من بينكم فذلك أدعى لكم الى الحظ والسرور . انما الدنيا النساء انما الدنيا البنون . اعلموا رحمكم الله ان الاجتماع بالنساء لا يخل بشرف المنصب . اعلموا هداكم الله ان فرق الاراء فى الاديان لا يمنع من الالفة والمخالة . اعلموا أصلحكم الله ان في حمل الانسان ولده على ظهره وتطوقه برجليه اللطيفتين للذة أعظم من لذة تطويل الجبب وتوسيع الاكمام وتكوير العمامة ومن وقوف الخدمة وأيديهم على صدورهم . اعلموا

فقهكم الله ان العرب لم تخص حركات الطفل باسماء الا وهي تريد أن تلاحظوها وتتنبهوا لها . حتى انها وضعت لحدثه حرفين غريبين في التركيب لا ثالث لهما في اللغة كلها وهما الصصص والققق . اعلموا وفقكم الله ان مستر ومسيو وهر وسنيور أنعم منكم بالا وأحسن حالا . اعلموا نصركم الله ان الفارياق رجع الآن الى بيروت واني أنا العبد الحقير كاتب سيرته مفكر في انشاء مقامة تسر العزب منكم والمتزوج معا .

(حاشية) أظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فراح كلامي معهم في الريح

(تنبيه) قد أطلت الكلام في هذا الفصل المؤذن بالفراق ليقابل فصل الزواج

الفصل الثالث عشر

في مقامة مقيمة

حدث الهارس بن هثام قال . سول لي الخناس . (أعوذ بالله من هذا الافتتاح) الذي يوسوس في صدور الناس . كل غميس وعمناس . أن تزوجت امرأة خراجة ولاجة . هياجة نباجة . مرغامة معذامة . لوامة رطامة . خبمة طلمة . خليمة جلمة . تجاوب ولا سؤال . وتبارز ولا قتال . وتقترح علي أشياء يعجز عنها الدينار . وترميني في مهالك دونها النار . فكان دأبي أن أصبر مرة عليها عذيرا . واخرى أن أشكو اليها فلا تزداد الا شرة ونفورا . ولا ينجع العتب فيها نفيرا . فقلت تالله لاجفرن عنها وأوهم ان بي جفورا . أو لاضربن في الارض لأعلم هل أرى لها نظيرا . فاخترت الرأي الثاني . بعد التعوذ بالمثاني . وخرجت من بيتي كئيبا مبتئسا .

ساخطا على جميع النساء . فبينا أنا في بعض الطريق . اذ مر بي سرب منهن يخطر بالثوب الصفيق . والحلي ذي البريق . وقد أرجت الارجاء بطيبهن العتيق . فرأيت من بينهن الهيفاء والبدين . والغراء الزهراء ضرة حور العين . ومهندة العنين . فتاقت نفسي الى وصالهن . وتبلبل بالي بجمالهن . ونسيت ما لقيت من لكاعي في البيت . وقلت ليتكن لي لو تنفع ليت . ثم أنشدت

أرى للنساء الماشيات حلاوة　　فهل هن حلوات كذا في المقاصير
ولست أرى في القتي ان مشت وان　　أقامت سوى مقت وكره وتمرير
أراها بعيني حيث كانت بعينها　　فهل ذو عمى غيري يراها من الحور

فابتدرت الي واحدة منهن لها عنق كعنق الغزال . وحاجب كالهلال . وقالت خفف عنك فما أنت وحدك في الرجال . ان زوجي قد قال .

أفكر في لئامة طبع زوجي　　فأكره كل أنثى في النساء
وأحسب انهن مغايرات　　لها فاحبهن على السواء

ثم التفتت الي أخرى وجبينها يلمع كالصباح . ولحظها يدمى كالصفاح . وقالت اسمع ما قاله زوجي في . ولانك من قارفي

تخوض زوجي فى كل الفنون وما　　تخشى خطاء ولا رداً مع الظرفا
تكون غالطة فى كل مسئلة　　وليس تغلط يوما أن تفون كفى

ثم تقدمت الي أخرى وحبب عرقها كاللالي . وحالك فرعها كالليالي . وقالت دونك ما نظمه في بعلي . وانظر هل يصدق ذلك فى مثلي .

تود زوجي شططا انني　　عبد نخيليق لمرضاتها
وان تشهت حاجة لم تنل　　أكون خلاقا لحاجاتها

ثم دنت مني اخرى وهى تهتز عجبا ودلالا . وتبسم عن شنب ما رأى الناظر له مثالا . وقالت هاك ما أنشدنيه كفيحى من أول ليله . أذن منها بالثبور والويلة .

لزوجي خلقة اضعاف مالى　　من الشفتين والفم واللهاة
فكيف يتاح لى أشباعها وهى　　تصرح كل وقت هات هات
فاما أن تضعف لى اداة　　والا　فارتكاب الترهات

ثم اقبلت على الخامسة . وهي من الخفر كالظبيه الـكانسة . وقالت انشدك ماقال في شيخى في الليلة السادسة . وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة　　فانني اقول زوجي دون ها
اذ لااری التانيث في اخلاقها　　بل الفحول في العراك دونها

ثم تقدمت السادسة . باشة آنسة . وقالت ار و هـذين البيتين . عن حليلى الذى اعتاد قول المين . وهما

تراقبني زوجى عليلا وسالمـا　　نهـارا وليـلا نائيـا وقريبـا
فصرت اذا عانت فى النوم طيف من　　احب اراها بالوصـيد رقيبـا

ثم دلفت السابعة . وكانت ذات حفيبة سابغة وطلعة رائعة . وقالت وفى معناهما قال زوجي المفترى . واجترا على بما لم يكن رجل على امراته يجترى . وذلك قوله

تغـار زوجى على حتى　　اذا راتنى مرضت تمرض
فما　راتني فى حالة　ما　　الا وكانت لهـا تمرض

ثم انبرت الثامنة . وهي على ما ظهر لى رافنة زافنة . وقالت قد سمعت زوجي يتغنى بهذين البيتين . بعد اسبوعين . وهو مطرق الى الارض كمن فقد العين . و بشر بالحين . وهما

تود　زوجى ان لى　　شانين من　مفاضحا
هن　حمـار قازحا　　وقرن　ثور　ناطحا

ثم استقبلتني التاسعة . وهى تفترعن لآلى ناصعة . وقالت ونحوهما ماقاله في ابو ولدى . وقد حفظه كثيرا فى بلدى وفى غير بلدى .

ان زارني عالم او جاهل　بدرت　　زوجى اليه وخاضت معه فى الجدل

فان تجده خبيراً بالبعال تقل   كل العلوم انطوت فى صدر ذا الرجل

ثم تصدت لى العاشرة . وهى ذات قامة معتدلة وعين جائرة . وقالت وافظع من ذلك . ما ينشده رجلى فى المنازل والمسالك . وهو قوله

ان يزرنى يوما فتى ذو صلاح   افسدته زوجى فراح خليعا
او خليع مستهتر اطمعته   وعليه غارت وحامت ولوعا

ثم دعتنى الحادية عشر . وهى متمايلة مسبكرة . وقالت ان زوجى السيء الظن . قد جازف الكلام فى بما لاح فى باله وعنّ . فقال

ترى زوجى الرجال فتتقيهم   وليس الامر عن حب الصلاح
ولكن خوف ان يغشى عليها   من القرم الشديد الى السفاح

ثم مالت الى الثانية عشر . وكانت قصيرة حادرة . تارة حارة . وقالت عقها وعقرا . عن مثل زوجى الهراء . فانه هجا النساء طرا . اذ قال

ليس العفاف من النساء سجية   لكنه سبب الى الافساد
كالضرس تقلعه ايسلم غيره   وعلى الذي باينت حزنك باد

فملت لاجرم لاقصدن منتاب هؤلاء الشعراء . ولاتخذنهم لي عشراء . فعسى ان آنس منهم رشدا . وأجد عند نارهم هدى . فان من كلامهم لحكما . ومن أمهم لأمما . وكان من عادتهم ان ينفردوا عن القوم . فى كل يوم . ويتذاكروا امور الدنيا من العصر الى المساء . ولاسيما امور النساء . فاستقصيت عن محشدهم . ودللت على مقصدهم . فاذا هم بجملتهم قاعدون على دكة عند البحر . وقد ضربوا لهم سرادقا يقيهم من الحر . فسرت اليهم . وسلمت عليهم . وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمت اليكم بالوداد . وقد بلغه من كلامكم ما وخاه اليكم عن رشاد . قالوا مرحبا بالقادم . وان يكن غير منادم . فلما أستقر بي المجلس . انبرى واحد منهم ينبس . قال لا بد لي من ان انهى ماشرعت فيه . وظهر لكم مكنونه وخافيه . نعم لمن خلق هذا الكون الا لهن . واي رجل ما ناله محالهن . وعناه وصالهن .

بمناه محالهن . فهن المتمتعات بدرز الدنيا ونعيمها . ولذاتها وطعومها .
حليها وجواهرها . وتحفها ونوادرها . يقترحن علينا الممكن والمحال .
يكلفننا امورا دونها دق اعناق الرجال . لكل عضو من اعضائهن حلي يزينه
ربما اتخذن له اثنين وثلاثة ولا تزينه . ثم ابتسم كاشرا عن نابه . واستمر
خط به . وبكل جارحة منا جراح منهن لا توسى . وحزازات لا تنسى .
نهالك فى حبهن المالك والمملوك . وسواء فى الحاجة اليهن الغني والصعلوك .
انهن يرمين الرجال فى مهالك . ومضايق ومرابك . ليكفوهن مؤونة
لاطيبين . ويغزوهن بفرص البين . فيخوضون البحار . ويقتحمون القفار .
يعرضون أنفسهم لحد السيف . ولحر الصيف . وبرد الشتاء . وذل الاختفاء
دهمات الاعداء . ودغمات الارداء ومقاسات الظما والسغب ومعاناة الشقاء
التعب ومداراة الرقيب . ومباراة المعيب . والاغضا عن الشين . والافضاء
لى الحين . وطالما قفل احدهم الى بيته فوجد فيه قمل عرضه مفتوحا .
سرامره مفضوحا . فرأى فى مرضعه ضيزنا وزبونا . وقرينا وقرونا .
كثيرا ما آب وقد شتر شدقه . او وقصت عنقه . او كثرت ساقه . او
يف حلاقه . او ضاع ماله . وسأت حاله . فاول ماتبتدره به من الكلام
قولها له قبل السلام . اين الطرفة . وكم من تحلى وتحفة . ولو انك كسوتها
حلة بوران . واسكنتها قصر غمدان . واطعمتها افخر الالوان . وسقيتها
ن الرحيق من يد الولدان . وطربتها بالعيدان . ونزهتها فى رياض الجنان .
حملتها على الاكتاف . وواليت عليها الالطاف . لما رايتها عنك راضية .
لا لحاجتك قاضية . والويل لك ان ناهزت الخمسين . وعجزت عن
لتمرين . او بدا الشيب فى عارضك عند الاربعين . او اصابك مرض فى
بعض السنين . وهى عند ذلك تنفتى وتصبي . وتتصبى من يرضى ومن
يأبى . فتغادرك فى الفراش منهوكا . وتلازم الشباك وتشير منه الى من يلبيها
وشيكا . ان اغتنم من الدهر هذه الفرصة . فما من دونها غصة . اذ هو
فى الفراش لا يعقل ولا يعى . ولا يبصر من يكون معى . ثم تاتى اليه

،معول اوص يارجل فقد ازف رحيلك . وجفاك طبيبك وخليلك . وملك عائدك ومقيلك . وانت خبير ياذ الحليلة . بانه لن يعجزها فى الاجهاز عليه حيلة وانها اذا رامت ان تتخذ فى كل يوم خليلا . الفته وراء الباب عتيدا فعولا . معاودا وصولا فوسيلتها اليه غمزة بعينها . ومنيتها لديه شخبة تطفى أوام غينها بخلاف الرجل فانه لا يزال بحرفته مشغولا . مكبلا بهمه مغلولا . او يخشى انقباضا وترويلا . او صرف درهم لن يجد منه بديلا . فكيف يقال ان الرجل والمرأة فى التكفل بادل المغارم سيان . وفى التكلف لحمل المغارم عديلان . فهل فيكم من مجيب . عن هذا الامر المريب . فتصدى له الذي هجا النساء جميعا . وقال دونك الجواب سريعا . فكن له سميعا وللحق مطيعا . اني انما هجوت النساء لا من حيث انهن اسعد منا واسلم آفات . او اقدر على اللذات . وافوز بالمسرات بل من حيث انهن خلقن لنا فتنة وضلالا . وعذابا ونكالا . فما قلته فيهن فقد قلته عن حسد . وما اقوله الان فهو عن تحر ورشد . ان المرأة مادامت في بيت ابويها عانسا . لا تزال محظورة لاترى لها اليفا ولا مؤانسا . واخوها اذ ذاك يرتع ويلعب . ويلهو ويطرب . ويسافر ويتغرب . يألف من يألف ويصحب من يصحب . وكلما زاد مرحا . زاد ابوها ابتهاجا به وفرحا . فاذا تزوجت صارت تحت حظر بعلها . وصار هو مالك ناصيتها وولي فعلها . فلا تكاد تخرج من بيتها الا باذنه . ولا تأتي امرا الا اذا استوثقت فيه من امنه فان قال لها لك أن تفعليه . كان كلمتن عليها بتراث أبيه . وان قال لن تفعلي رجعت وعبرتها كالولي . وبنار حسرتها تصطلى . ثم ان عليها أن تتملقه اذا سخط مخافة بطشه . وان تقوم بخدمة رحله وحفشه . وتطبخ له كل يوم ما يقترح عليها . وتجدد له من قديم متاعه ما يلقيه اليها . وتحفظ نضده . وتقوم اوده . وتربى ولده . فكم ليلة تبيت تداريه فيها وهو يملأ المكان غطيطا ، وجخيفا ونحيطا ، وهى التى ترضعه وتفطمه وترشحه

وتسرهده . وترعاه وتعهده . وتوقظه وترقده . وتلعبه وتلهيه . وتعلله وتراضيه . وتوانسه وتسليه . وتجالسه وتمنيه . وتنظفه وتمشطه . وتمرضه وتحوطه . وتمشيه وتحمله . وتستدرجه وتنقله . وتغسله وتلبسه . وتعطره وتطوسه .

وتدفئه وتلبئه : ألبأه اطعمه اللبا لاول اللبن

ومدأدئه وتهدئه : المداداة التحريك والتسكين والاهداء التسكين

وتزقزقه وتباغمه : الزقزقة الترقيص كالزهزقة والمباغمة تقدم ذكرها

وتربته وتهمهمه : التربيت ضرب اليد على جنب الصبي قليلا لينام والهمهمة تنويم المرأة الطفل بصوتها

وتهدهده وترعمه : هدهد الصبي حركه لينام والترعيم تقدم ذكره

وتداعبه وتطايبه وتدندن له وتمارله . قاربه ناغاه بكلام حسن

وتهدنه وتصربه : هدن الصبي ارضاه والصرب عقد بطن الصبي ليسمن

وتدغره وتضببه : الدغر رفع المرأة لهاة الصبي بأصبعها وضبب الصبي اطعمه الضبيبة . وهي سمن ورب يجعل له في عكة

وتذربه وتذربه : التذريب حمل المرأة طفلها حتى يقضي حاجته

وتمرمه وتجوربه : التمريم تقدم شرحه وجوربه ألبسه الجورب

وتجلسه وتنسسه : نسس الصبي قال له إس إس ليبول أو يتغوط . قلت والقياس أن يقال ايسه

وتعوذه وتنجسه : التنجيس تقدم ذكره في الفصل السادس عشر من الكتاب الاول

وتمعطه وترسعه : رسع الصبي شد في يده أو رجله خرزا لدفع العين وتزينه وتزهنعه

هذا ولو لم يكن للمرأة من غصة في الاجل غير الحبل لكفى . وذلك

لمقاساتها بعده اذا كان من بعلها . مالا يقدره غير مثلها . ولافتضاحها به من غيره على فرض عدم شعورها بضيره . فقد قالت العلماء ان وضع المرأة جنينها من غير حليلها غير ذى الم . لكنما يعقبه بعض السدم . ثم ان المراة ممنية ما عدا ذلك باحوال عسيرة . واخطار كثيرة . وذلك كاحمالها وحسها وعيفتها وافلها وتوجيبها وكاحشاشها ودحاقها . واسقاطها وازلاقها . قبل الوضع وبعده (١) . وكنفاسها مدة . هي برزخ بين الموت والحيوة وعده . وكالقرء الذي ياتيها في كل شهر . وغير مرة يعنيها بالبهر . لانه اذا تاخر عن وقته اضنى ظهرها . وان قل أو كثر أضنك صدرها . وأذهب صبرها . وكوحمها وتفرثها وتأنفها شهوات في مدة الحمل كثيرة . لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريرة . وهي ح جائشة النفس ضيقة بها . وجاشيتها ولقستها . واهية القوى . واهنة الشوى . وغير ذلك من العلل والاحوال . التي سلمت منها الرجال . ومن نظر بعين الرشد والانصاف . لم يتمحل للخلاف .

قال الفارس فكأن الخصم انكسرت شوكته . وفترت سورته . فعارض بالمواربة . ثم خشي المشاغبة . فقام أحدهم وقال حسبنا يا قوم ما سمعنا . ودعوا الفصل اذا ما رجعنا . ثم انفضوا والادلة متتابعة . والعقدة غير منحلة . فقلت عسى أن أصادف من عنده بذلك الخبر اليقين . واكفى مؤونة السؤال والتخمين . فقد رأيت الاثنين كفرسي رهان . وفارسي علم وبيان . بيد اني أخالهما قد نطقا عن الهوى . ولم يتحريا الصدق الذي

---

(١) الاحمال أن ينزل لبن المرأة من غير حبل (والحس) وجع يأخذ النفساء بعد الولادة (والعيفة) هي أن تلد المرأة فيحصر لبنها في ثديها فترضعها جارتها المرة والمرتين (والافل) ذهاب لبن المرضع (والتوجيب) انعقاد اللبا في الضرع (والاحشاش) يبس الولد في البطن (والدحاق) أن تخرج رحم الناقة بعد ولادها (والتفرث) غثيان الحبلى

ينبغي لمن حـدث وروى . واذا بالفارياق يهرول في بعض الاسواق . وبيده زنبيل يودعه من المـأكول ما حسن لعينه وراق . فامسكت من فرحي بالزنبيل . وقلت الدليل الدليل . قال هو جوع برقوع . يرقوع بركوع . لا ينبغي أن يقام عليه دليل ولا برهان . ولا بينة ولا شاهدان. وان القاضي نفسه لأجوع الناس الى اللمجة . وأسبقهم الى الغمجة .وان شئت فمل الى الغنجة . فقلت انما الدليل على تلك . ولك الامان على ما في زنبيلك من الملك. قال ما خطبك . ومم كربك . أفي حديث النساء كنت تخوض مع الخائضين . وتحرض مع الحارضين . قلت بلى لامر ما جدع قصير أنفه. وللمقدور غادر الاليف إلفه . ثم أخبرته بما جرى لي في البيت ومع النساء وعند الشعراء . وقلت أفدني الجواب بغير مراء . فاطرق ساعة . وقال هاكه على قدر الاستطاعة . فان الجوع قد أبدى في خراعه . ولم يغادر بي للشعر خواطر صداعة . وهو

تكافأ الزوجان في اللذات	واستويا في أرب الحيـاة
قومي اقعدي مثل لهات هات	وطاوعي ند لآت ات
والمرء في الصبي على العزات	اقدر أو أجـرا من الفتـاة
لانهـا كثـيرة العـلات	غـير الفروء ساء من شكاة
حتى اذا ما قيـل كهل عات	دار لهـا الدور الى ميقات
غايتـه الستون للشطات	وبعـدها عـد من الرفات
نعم يسوء المـرء بين النات	ضعف له اذ ذاك في الاداة
لكن لها من أعظم الغصات	المجرضات جـرض المات
ان تبعها يأتي من اللدات	وهي تريده فتى الارات
كل له سهم من الهنات	مؤرب حتى الى الممات

ثم عدا بزنبيله . وجعل يتحوفه ويعيث في قليله . قال فصدعني بالحق أي صدع . وعلمت انه غير ذي ضلع . فلت الى مراودة زوجتي . وتسكين

هوجي ونوجتي . فاتيت منزلي . فوجدتها دائبة في عملي . فاكببت على عناقها معانقة المشتاق . وانباتها بما قاله الشاعران والفارياق . فقالت جزاه الله عني خيرا . ولا اراه في غربته ضيرا . ثم أقمنا على الوفاق . وتعاهدنا على حفظ الوفاق .

الفصل الرابع عشر

في جوع ديقوع دهقوع

لما رأى الخرجي ان سكناه في بيروت لا تصلح لجسمه ولا لرأسه عزم على الشخوص منها الى الجبل . فالقى في روعه أن يسكن في دير للروم ، فسار بزوجته وبالفارياق فاقاموا في قرية تحت الدير يومين . وكان يأنس بالفارياق بعض الحسان بها و يواكلنه . فلما علمت احداهن انه صاعد في الغد الى الدير طفقت تبكي . فكانما ظنت انه نوى الرهبانية . فظهر له انها خالفت عادة النساء لانهن يحببن الرهبان أكثر من العامة . فان فتنة النساك العباد تتوقف على روم وكيد أبلغ وهو مما يلذ للنساء أو بالعكس . حتى اذا رأينهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن جميع ضروب الحب فلا يفوتهن منه شيء . والحاصل ان الفارياق بكي على فراقه هذه ثاني مرة في عمره حتى صار يحسب في عداد المحبوبين . وانه ذهب في الغد الى الدير واتخذ له فيه صومعة بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة باعرباي (الذين ليس لابوابهم اغلاق . قلت وهو بناء غريب) وكان ذلك الدير مثابا لجميع أهل القرى المحيطة به . فانهم كانوا يودعون فيه أمتعتهم خوفا من هجوم العساكر المصرية عليهم . لأن الدير حرم آمن ،

وكانوا اذا جاؤا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن جملتها صومعة الفارياق ، فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها تفسير حلم او غيره تلقفوها وقرأوها ، فنهم من كان يفهم منها قدر ما يدور به لسانه ، وآخر قدر ما يدور به راسه ، واخر قدر ما يدور به جسمه كله فيوليه ظهره ويخرج ، ومنهم قدر ما تدور به يده فيرفعها ليبطش بالكاتب والمكتوب معا ، ومنهم من كان يسخر منها ويقول انما هي أضغاث أحلام ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت الحرب ولم يجد منهم من استحسنها ، وكان يدخل أيضا مع هؤلاء الدامقين دامقات فيهن من يجب تلقيها بأهلا وسهلا ومرحبا ، وفيهن من تجدر بواحد من ذلك فقط ، وفيهن من تجدر باثنين متواترة ، وفيهن من لا تصلح لشيء ، وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا حمل بعضه على بعض ، الا الجوع الذي تسبب عن تعطيل الطرق فانه كان لا يطاق ، مع ان الفارياق كان قد خرج من عناء سفر البحر الذي منشاء بالصيام اياما متوالية ، فكان لا بد له من اللمج ، فمن ثم كان يذهب الى القرية وينادي يامن عندها دجاجة للبيع فتبيعني اياها ، فكان بعض النساء يجبنه هذه الدجاجة السارحة مع الدجاج في الحقل اريد بيعها ، فان اردتها فاسع اليها واقبضها بيدك ، فكان يسعى وراء الدجاج ويطفر معها على الجدران ، فان ساعده الحظ على كسر ساق احداها أو اعيائها اقبض عليها ، وكان عند جريه وراءها يجري معه خاطره فيقول في نفسه ، انا اجري الآن وراء دجاجة فهل زوجتي تجرى في الجزيرة وراء ديش ، وينبغي لي أن اقف قليلا عند هذا الجري واقول ، قد ذكرت سابقا ان الفارياق كان ذا هوج ونزق وجزع ، فكان من طبعه اذا غاب عن أهله ان لا يزال يقابل حاله بحالهم بالمقابلة الاطرادية وبالمقابلة الامنية ، مثال الاولى قوله أنا أجري وراء دجاجة فهل زوجتي تجري وراء ديش ، وقوله مثلا وهو لابس هل هي في هذا الوقت عريانة ، وفي حالة كونه قائما هل هي الآن

مضطجعة ، وقس على ذلك ، ومثال الثانية انا أجري الآن وراء دجاجة فهل يجري وراءها ديش ، على ان خبز الدير والقرى ح كان مخلوطا بالزؤان ، فكان الفارياق اذا اكل منه خيل له انه لم يزل في السفينة عرضة للتنانين ، ويتاكد عنده ذلك بدخول أحد الرهبان عليه وهو على تلك الحالة ، فلما ضاق بها ذرعا نظم ابياتا وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان يظن ان عنده غناء ، وهي

ليت شعري ماذا يفيد البيان   مع خواء البطون والتبيان
وفنون البديع من غير أكل   تستشيط اللهى بها واللسان
هاك الف استعارة برغيف   وبخس بخس تفتازان
ايها المعربون هبوا فما من   ضرب زيد عمرا برص الخوان
اين ابن الكباب والرز والبر   غل تصغو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطبيخ وجاءت   نوبة الجوع امها لبنان
يالها من معرة نبعث الدينار ما ان يعبأ به انسان
ليس بيع ولا شراء بأرض   قد قضى عيشها وعاش الزوان
طال مكثي في الدير حتى كاني   راهب لا ترضى به الرهبان
اذ رأوني وحولي الكتب والاقـلام مما نهى عنه المطران
أنا في وحشة من الانس وحدي   لا تراني فلانة وفلان
عيشة لو أريتها في منام   ما شجتنى من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بأرغفة لا زوان فيها ومعها هذان البيتان

وصلتنى الابيات يا فرقيان   أفما نحن فى الدنيا رهبان
ما عندنا طعام كما تشتهي   ولا نبيذ ولا نسوان

فهرول اليه الفارياق ليعاتبه على تغيير اسمه . فرأى في الدير احدى نساء الامراء كانت قد جاءت الى الدير استئمانا من العساكر . فلما رآه قال له قد شفع الخبز ياسيدي في وزن البيتين ولكن لم غيرت اسمي . ثم تذكر

السيدة فقال وقلت أيضاً انكم رهبان وما عنـدكم نسوان . وها أنا أرى عندكم سيدة زهراء قد ملأت الطنفسة شحما ولحما . قال انما غيرت اسمك الأجل القافية وهو جائز للشعراء . واما قولي ما عندنا نسوان أي ليس لنا زواج ولكن لا ننكر أن عندنا نساء غـيرنا يزرننا أحيانا للبركة . قال من أيكم يحصل ذلك . فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته الى الاركيلة المعروفة فلبث عندها شفعت في تغيير اسمه أيضا وآب الى صومعته راضيا فوجـد رئيس المعبر قد تعكبش في رأسه غصن من أغصان الحلم الاول فزاده خبالا . فكان يقول اذا سمع صوت الطبول من خيـام العسكر واذا ابصر بريق سلاحهم . ألا تسمعون طبل الشيطان . يضرب به بعض الرهبان . الا تبصرون قرون الشيطان . كيف تتقدمنها النيران . اذ تحتك بها النسوان . والسيدة زوجته غـير مكترثة بصراخه ولا بتخييم العسكر . قرب الدير لان حب الغصن لم يدع في قلبها موضعا لغـيره . ثم من الله تعالى باصلاح الحال فسارت العساكر من البلاد وأمنت الطرق والمسالك وسكن صاحب المعبر . فرأى أن يذهب الى مدينة دمشق ويمر ببعلبك ليرى قلعتها العجيبة . فاكتروا لهم خيلا وبغالا وعزموا على السفر .



الفصل الخامس عشر

في السفر من الدير

ركب كل من الفارياق والغصن بغلا وكل من السيدة وزوجها فرسا. وانضم اليهم ركب وساروا يقصدون دمشق . حتى اذا كانوا في بعض الطريق أجفل بغل الفارياق لوهم خطر له فقمص به وشمص . فألقاه عن ظهره فوقع على وركه على صخر فقام يجمع مع الخامعين . فجزع عليه صاحب المعبر اشفاقا من تعطيل مصلحة التعبير. وشمتت به زوجته اذ كانت تحسبه رقيبا عليها وعلى غصنها . وكذا مساءة الرجل قد تكون مسرة المرأة . وهنا ينبغي أن تضيف الى معلوماتك الواسعة هذه القضية . وهي انه لاشيء من أنواع السفر أشق من الركوب على هذه البغال العاتية فانها بلا سرج ولا لجم ولا ركب . وقد جعل لها هؤلاء المكارية الحمقى بدل اللجم حبالا تتصل بسلاسل من حديد جافية . يمسك الراكب بيده سلسلة فاذا شرد البغل وهنت يد الممسك بها عن كبحه . والعادة انه متى شرد بغل شرد سائر البغال . ثم أجفل بغل الغصن فمال عن ظهره وتعلقت رجله بحبل فتدلى رأسه يخبط على الارض . فذهب ما عند السيدة من قليل الصبر عنه . ولم يقدر أحد على رد البغل . فكنت ترى عينها في جهة وقلبها في جهة أخرى . وكبر منها ما كبر. وصغر ما صغر. وجف ما جف ، وقف ما قف ، وابتل ما ابتل . وامحل ما امحل ، واقشعر ما اقشعر ، وازبأر ما ازبأر ، وتنغض ما تنغض ، وانتفض ما انتفض ، وتنضنض ما تنضنض ، وتلمظ ما تلمظ ، وتلظلظ ما تلظلظ ، وضجم ما ضجم ، وشخم ما شخم ، وغدت تتململ وتتلوى ، وتتقلب وتتحوى ،

ودخل في رأسها أول مرة في عمرها منية أن تكون رجلا لتجيره ، ثم هون الله الصعب ووقف البغل فاستوى عليه الغصن وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والفارياق على رمق ، فذهب وتفيا في ظل شجرة فهوم به النسيم فنام فقام منهوكا ، ثم ركبوا وبلغوا دمشق وهو مريض فاكترى غرفة في خان وبقى أياما لايقدر على الخروج ، فلما نقه توجه الى منزل أهل زوجته وعرفهم بحاله ففرحوا به ، ثم عاودته الحمى ثم أدق فرأى أن يذهب الى الحمام يغتسل فلما رجع رجعت اليه ، واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فأغمي عليه فيه فوقع وقد دخل رأسه في شق المرحاض فجعل يصرخ ويقول ألا إن رأسي فى الشق ، ألا ان الشق فى رأسى ، فبادروا اليه فرأوه على تلك الحالة ، فنهم من ضحك منه ومنهم من رق له ، ثم عوفي قليلا فبدا له ولصاحبه السفر ، ولكن لابد لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة أن أرهقه وأعسره حتى يصف لنا محاسن نسائها اذ هو لايحسن شيئا غيره ، فاما الكلام على خواص نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها وعلى الامور السياسية فليس من شأنه

قال دخلت دمشق وبي حمى صحبتني من بعلبك . وما كدت أنفد حتى سافرت منها فلا أستطيع وصف نسائها الا وصفا ستيما . فان رضيتم به أقول : اني لما دخلتها نزلت فى خان يسمى خان فارس ، فعين لي صاحب الخان عجوزا لخدمتي فلحظت من طبها وشمظها أي خلطها الكلام اللين بالشديد ان للعجائز يدا طويلة فى المعاملات النسائية . أعنى انهن يدخلن الديار بحيلة انهن يبعن للنساء ثيابا ليكتسين بها . فيخرجن من عندهن وقد تعاهدن على تعريتهن رأسا . فهن السبب الاقرب والذريعة الوثقى فى الجمع بين العاشق والمعشوق . فما نساء المسلمين فقد ظهر لي فى بادىء الرأي انهن أجمل من نساء النصارى . كما ان الرجال من المسلمين أجمل من النصارى وأفصح لهجة وكذا هم فى سائر البلاد الاسلامية . ولون

النساء عموما البياض المشرب بالحمرة . والغالب عليهن الطول والشطاط . غير ان هذا الازار الابيض الذي يتزرن به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كحبر نساء مصر . وكلاهما مخف لمحاسن القد ولعلهن يلبسن ذلك عمدا لتأمن الرجال فتنهن . فلهن الشكر عليه . ولكن ما هذه المغازله والاتلاع . وما هذا التبهكن والتبدح . أفليس للعلب عينان يبصر بهما ما وراء ذلك الازار . أيخفي الشمس غيم وهي لولاه لم يمكن لعين أن تراها فاما زيهن فى الديار فأشوق وأفتن ما يكون . قال وقد ظهر لي أيضاً وانا موعوك بالحمى بعد أن خرجت من الخان وشممت رائحة الزائرات من النصارى انهن مؤانسات حلوات الحديث والشمائل مناطيق . حتى اعتقدت ان شفاي يكون بذلك . ولو لا اني خشيت من التبخيل بالاستغناء عن الطبيب ولا سيما ان أبي كان قد توفى بدمشق فالنى فى روعى اني ألحق به لما احتجت الى علاج آس . وحين كنت أسارق النظر اليهن وأنا على الوسادة كنت المح فى صدورهن حين يتنفسن شيئا يربو ويشبو . ثم رأيت بعض أعيان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه فى الكلام وهم من الهيبة والوقار بمكان . فلا أدري ما الذي حسن للمطران جرمانوس فرحات حتى قال فى ديوانه

فكأني حلب برقة طبعهـا   وكان طبعك بالغلاظة جلق

ولهذا القائل الاحمق أن يقول الحلبي شلبي . والشامى شومى . مع ان أهل الشام أرق طبعا من أهل حلب وأزكى أخلاقا وأطلق لسانا ويدا ومحيا وأوفر سخاء وكرما . والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبي شرفها بقدمه وكانت مثوى لبعض الصحابة وأصبحت وصيداً للكعبة وما زالت من ذلك العهد منزلا للحاج . فان النصارى فيها يتبوأون داخلها الديار الرحيبة والمنازل الفسيحة . بخلاف النصارى فى حلب فانهم لا يمكنون من السكنى الا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا للبيع والشراء .

هـذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التي يكثر وقوعها بحلب . وعن هذه الحبة المشئومة المتسببة عن مائها . حتى انها كثيرا ما تشوه وجه من يصاب بها . فهل مراد المطران أن يقول ان نصارى حلب وحدهم أرق طبعا . أم يصح أن نبخس الناس حقوقهم لأجل السجع والتجنيس . فيقال مثلا الجاثليق هنـدليق . والمطران قطران . والقسيس لهيس . والراهب ناهب . والسوقي بوقي والخرجي درجي . فاما اللغـة فليس لعمري من مناسبة بين فصاحة أهل دمشق وركاكة أهل حلب . لأن حلب لما كانت متاخمة لبلاد الترك دخل فى كلام أهلها كثير من الالفاظ العجمية . كقولهم اجق بيكفي يخرجون الجيم فى اجق مخرج الجيم التركية. ويتقلنه أي يستعمله . وخوش خيو وما أشبه ذلك . ما عـدا لـكنتهم ولخلختهم فى نطق الالفاظ العربية .

ثم ان الفارياق سافر هو وصحبه الى بيروت ومنها الى يافا . فدعاهما وربان السفينة نائب قنصل الانكليز بها (هو غير الخواجا أسعد الخياط اللبيب البارع) ليشربوا عنده الماء بالسكر المعروف بالشربات . مما اشتهر أيضا بهذا الاسم عند المؤلفين من الافرنج واستعملوه فى كتبهم لافى دبارهم فساروا معه فأحضر لكل منهم كاسا تليق به بحسب ضخامة جثته . فلما فرغت الدعوة أقلعوا الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة وأقاموا فى معزلها. فبعث الفارياق الى زوجته يخبرها بوصوله ويستدعيها للاعتزال معه . فقالت أنا لا أحب الاعتزال ولا الكسل . ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفارياق من ألم السفر استروح منها رائحة النساء .

الفصل السادس عشر

في النشوة

هى رائحة ام دفار . استوى فيها ما دب وطار .
وسلك فى البحار . وتفصيلها فى العنوان
فهل أنت ذو استذكار .



الفصل السابع عشر

في الحض على التعري

ثم دخلا البلد ورجع الفارياق الى التعبير واصلاح البخر . وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم تنصر وانه شاعر مفلق ذو شهرة بين علماء فارس . فسار ومعه الفارياق ليسلما عليه في المنزل واذا به جمشوش حتروش حزقة الحي . فلما دخل البلد اقام في المعبر فرأى الرئيس بادىء بدىء أن يحلق لحيته . فجيء بالحلاق واعمل فيها الموسى فلما انتهى الى شاربيه سترهما الشاعر بيديه . فاقبل اليه صاحب المعبر وبيده كتاب ليحجه منه على لزوم حلق الشوارب . فدار بينهما البحث والجدال حتى رضي الرئيس بصف الشعائر . فلما كان ذات يوم من الايام المشئومة ذهب الفارياق الى المعبر فوجد الرئيس قد تعرى من ثيابه بالكلية . وجعل يطوف في الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتداء به ويقول . يا أيها الناس ما جعلت الثياب الا لستر العورة . ولا عورة لمن كان طاهرا بريئا من الذنوب والمعاصي . فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبراءة لم يكن له حاجة بالثياب . فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعري قالت له ان النساء لا عصمة لهن الا في الليل فلا بد لهن من الستر نهارا . فرآه العجمي على تلك الحاله فسأل الفارياق قائلا ما بال صاحبنا قد غير اليوم زيه الاسود وتردى بهذا الزي الاحمر . قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الاحمر . ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم . فخافت الزوجة أن يتلاقيا فى مأزق وينشب ما بينهما الجدال أو الجلاد فرغبت الى الفارياق أن يضم اليه العجمى .

وكان الغصن قد قدم اليها فى أثناء ذلك من الديار الشامية وهو مترجم عن جـني شهي . وجذع قوي . فبرأته عنـدها مقاما كريما . وحاولت أن يحلو لها معه المعبر خلوا مستديما . ولو بدوام لم بعلمها . وفهد أهلها . فاقام الغصن فى أرغـد عيش وأهنأ حال . وظلت هى معه أشغل من ذات النحيين فى أصنى بال . وظل زوجها يحض على التعري . وانه من شعار المزكى المتبري . ولبث العجمي فى منزل الفارياق . وانما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت عليه . فلما كان ذات ليلة وقد رأى عند زوجة الفارياق نساء حسانا انحلت عقدة لسانه ونطق بكلام دل على انه لم ينبصر عن هدى وانما اضطره الى ذلك ابو عمرة . ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم الغرام فى قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفارياقيـة . فأحس به زوجها فبادره بحبل وهو لايستطيع دفاعا عن نفسه . فلما كان الغد شاور زوجته فى أمره . فقالت أظن ان هذا العجمى انما جن لعدم الزواج وكذا سائر المجانين . ألا ترى انه لما رأى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم . قال فقلت ما أرى الحق معك هذه المرة . فان صاحبنا الخرجي جن من بعد الزواج . قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلا بالاحلام . ولما تزوج لم يود الزواج حقه فاقتص الحق منه فليعتبر به غيره . قلت من أين علمت هذا . قالت ان المتزوج لا ينبغى له أن يكون فضوليا يتعرض لغير ما هو فيه . قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق . قالت لا تعطيل فاني لا أمنعهم عن العمل بل عن فضول الكلام . واللهج بالاحلام . فان التحل لعلم خرق العادات . أجهد من التحمل لعمل عادات الخرق . ألا ولو كان الامر الي لداويت المجانين كلهم بالنساء ومن النساء وعن النساء . قلت أكل حروف الجر للنساء . قالت نعم كل الجـر في النساء . قلت قد حزفت الحروف . قالت بل هي باقية . قلت دعيني من المطارحة وافتيني في امر هذا المجنون. قالت رده الى المعبر واني اكره طول مكثه عندنا مخافة أن أحبل فيأتي الولد على شكله . قلت ما مـدخل الجنون في الجنين . قالت أو ليس الاولاد

ونجعل الروح له مجنا ... تقيه من كل معن معنا
ولا نبالي ان رأينا قرنا ... قد طن في أصداغنا ورنا
فقد رأيت العقل يضني الطنا ... ويحيم الحر الذي تمنى
ولن ينال الحظ مطمئنا ... الا الذي باح بما أكنا
مه أيها الشيخ الذي أسنا ... ما أنت والغناء والاغنا
تدخل في مضايق وتعنى ... وما تبالي لو لقيت وهنا
ماذا لقيت من نذير جنا ... ومن طواف ههنا وهنا
وافيتنا في شهر نحس أخنى ... على المحبين فملنا إنا
لم تخل دار بت فيها معنا ... من حادث عارة سوء شنا
يشكوك كل ذي عيل منا ... أوردهم من كل رزء فنا
من حابين أبانوا الهنا ... ومن مصاب بالحمام أطنى
ومن عليل دنف قد أنا ... حتى رثى الضد له وعنا
قدك اتئد أوقدت فينا الحزنا ... وقد شحنت المصر هما شحنا
فاظعن هداك الله وارحل عنا ... من قبل أن تقطع عنه الطحنا
وتنضب الماء وتفني اليمنا ... عن بلد من قبل كان أمنا
واختر بغير ذا المكان كنا ... تأوى اليه مستريحا طمنا
فما عليك ان أصبت غبنا ... ثم ودعا أو لقيت زبنا
أو كنت تأتي هذرا وأفنا ... وتنظر القبيح منك حسنا
بحيث لا تبصر يوما قرنا ... وكاشحا أخنى عليك ضغنا
كما أصبت ههنا خبنا ... أصد أمنك الضرس ثم السنا
لو استطاع لفراك سجنا ... تصبح فيه للرزايا سجنا
شيطانة عليك قد تجنى ... يقول من تبغك قد أسنا
جعلت في دار الصلاة قرنا ... دخانه عم وأعمى الرعنا
وقال قوم تفله أصنى ... ولحنه يبلغ ضرا منا

يأتون بيضا صباحا والدوهم قباح . فلو لم يكن لعين الام من فاعلية عند توحمها لما كان ذلك . قلت هذا رأي يؤدي الى الكفر والمحال . اما الكفر فلانك تزعمين ان للمراة مشاركة في خلق الانسان . واما المحال فلأن المرأة لو كان لها فاعلية في ذلك لاشبهت الاولاد آباءهم أو جاؤا كلهم صباحا . قالت أما جواب الكفر فلا ينكر أن يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية في المرأة وهو مسبب الاسباب . بمعنى ان القوة الوهمية التى أودعها فيها الخالق القدير تكون مؤثرة فى كونية الولد . واما جواب المحال فلأن المرأة ابدا تشتهي أن يأتي ولدها على غير هيئة ابيه . وما تراه منهم مشبها أباه فالغالب انه البكر . قلت كثر الله من أمثالك ما كأنك قرأت الكلام الا على الاشعري . قالت نعم الكلام هنا فى الاشعري لافي الجيش ولا الخميص . قلت المجنون المجنون . ودعيني من المجون . فقد كدت تلحفيني به بكلامك هذا المقصود . قالت متى كنت تكره القصد . وهو لك غاية القصد . أما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر ودعه هناك من غير أن تخبر به أحدا . قال فانطلقت به وأدخلته فى احدى الحجر وقفلت عليه الباب . فلما جاع طفق يعالج الباب ليخرج فسمعه الخادم فأخرجه . فتوصلت زوجة صاحب المعبر فى أن رجعته من حيث جاء وعزمت على السفر بزوجها الى بلادها . وناب عنه آخر من بلاده فى المصالح التعبيرية ولكن لم تطل مدته لأسباب يأتي بيانها . وقبل ايرادها ينبغى أن نختم هذا الفصل بما نظمه الفارياق حين كان رئيس المعبر يحض على التعري وهو

ألا تريد صاح أن نجنا ونخلع اليوم الثياب عنا
ولا ننام ليلنا ان جنا ولا نسيء بالنساء الظنا
ولا نرى متى يجيء حنا وان يغب نقل مريض منا
وان أتانا فاسق وزنا نركبه الخيل فلا يعنى

قليبغ في دار سواها خدنا　　وما علينا أن سخا أو ضنا
أوان بكى من شومه أو غنى　　أو أخلص الدعا لنا أو لعنا
أو خار من جوع وذل وهنا　　أو قال صرنا بعد ما قد كنا
انك يامغـرور لم تعشقنا　　ولم تعربنـا ولم تشقنـا
فلا جزاك الله خـيرا عنا

الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرغ الفارياق من تعبير الاحلام كلف أن يترجم كتابا للجنة في بلاد الانكليز. فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها . واتفق وقتئذ أن سافر المطـران اثناسيوس الحلبي التتونجي مؤلف (كتاب الحكاكة في الركاكة) الى تلك البلاد في بعض مصالح ترتمية . فتعرف باللجنة المذكورة وأفادهم أن لغة الفارياق فاسدة رأسا . وذلك لخلوها مما اشترطه على المترجمين والمعربين في كتابه المذكور. وان النصارى يحبون الكلام المسلط المعسطل . وانه قد ربا فى هذه الصنعة مذ عهـد طويل وربى فيها كثيرين فى مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لأسفار الكنيسة منهجا　　يخالف أسفار الورى ويغاير
وان انى اللفظ الركيك تـبركا　　ويمنا لقوم عنهم العار ظاهر
وان غناء اللحن فى القول عندهم　　لكا للحن فى الايقاع والاصل ظاهر
وان نسبة المولى الى الله منكر　　ومن ولوا الادبار كل يحـاذر

وان تكاة جمع متكيء اتى — وان مصونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشهر — وفى ملك لا فى ملاك كبائر
وان عبيداً لا عبادا مضافة — الى الله أولى ما لذا الحكم ناكر
وان عذابا كالركاكات جمعه — وان لم يرادف باقى الشيء سائر
وما واعظيها قيل بل موعظينها — ومن قال اء وا دون ودوا مكابر
ومن رد قل ان سئت صوغ اسم فاعل — من دكذا قال النصارى الاواخر
ويظهر يلغيه بيان نظيره — وصرنا بنينا بالتذخر كاثر
وجمع مصف للاله مسبح — وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب — ونعت المثنى باللذي متواتر
واثباب ياء الامر من ناقص كما — حكاه له قسس الشويري المعاصر
واثبات نون الرفع في الفعل بعد كي — وأن مستفيض هكذا نص زاخر
ومن بعد يعطى نصب نائب فاعل — وجوبا وحذف الفاء في الشرط دائر

وطلب من اللجنة المذكورة أن يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذى مر ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والا فلا . فلما رأوه ذا لحية ولا سيما انه متحل بحلاء مطران والمطران عندهم لا يكون الا عالما فاضلا اعتمدوا فيه الفضل والملء وفوضوا اليه العمل . ولهذا السبب خاصة بطل المعير ولم يبق للفارياق الا مرتبه من وظيفة اصلاح البخر . وهنا ينبغي أن يلاحظ ان الانكليز أشد الناس حرصا على الالقاب . فاذا زارهم أحد من البلاد الاجنبية متصفا بلقب أمير أو شيخ أو مطران حظي عندهم الحظوة التامة . ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية . أما لقب المطران فهو عندهم من الالقاب التي تغني صاحبها عن توصية وتنويه . اذ ترجمة هذه اللفظة تجري لديهم مجرى قولهم رئيس أساقفة . ومن حصل على هذه الدرجة منهم حصل على دخل أربعة الاف ذهب من الليرة . فأما طول اللحية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والنباهة كما يتبين من حكاية المأمون مع الفقيه علويه . ولكن عادة العجم غير عادة العرب .

ثم ان الفارياق لما آن وقت بطالته من اصلاح البخر وهو ثلاثة أشهر الصيف في كل سنة عزم على أن يسافر الى تونس . فركب في سفينة رئيسها من أهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والخرجيين مرة . ومرة بينهم وبين الفلاسفة . وبعد سفر اثنى عشر يوما كلها خطر وعناء بلغوا حلق الواد فكان بعض الملاحين يقول في أثناء الطريق انه انما وقع لهم ذلك بخلاف العادة لكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الربانيين . فانهم لايسافرون فيه أصلا إما احتراما له أو تشاؤما منه . لكن الفارياق كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعه . وان نية سفره سواء كانت قريبة أو غير قريبة لايبلغ اليها الا فى مدة اثنى عشر يوما . وانما كتم ذلك عنهم. قال أما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت . غير انها طيبة الهواء والمأكول والمشروب كثيرة الفواكه . وأهلها طيبون خيرون يكرمون الضيف ويحبون الغريب . وفيها من المغنين والعازفين بآلات الطرب كثير ومعظمهم من اليهود . ونساؤهم حسان سمان بيض دعج برغم النصارى القائلين ان الله لعنهم ومسخهم بعد صلبهم سيدنا عيسى عليه السلام ونزع منهم كل حسن باطني وظاهري . غير اني أظن ان العيسيين اذا نظروا يهودية جزلة بضة ربحلة يدعون صاحب هذا المذهب و يفندونه . وانما يقول ذلك منهم من كان لزق النصرانيات ولم ير غيرهن . ومعلوم ان النفس ترغب في الحاضر الموجود عن الغائب المفقود . أو لعلهم يريدون ان المسخ انما نزل بالرجال دون النساء فليسألوا . وان كثيرا من هؤلاء الغير الممسوحات غير بعيدات عن الغصن والهصر . ومن عادتهن أن يمشين غير متبرقعات مكشوفات السوق . ثم لما أزف رحيل الفارياق من المدينة قال له بعض معارفه من أهلها لو مدحت واليها المعظم فانه أكرم من أعطى وانعم . وأكثر الناس ارتياحا الى الجود والمعروف . قال قد نويت الآن السفر فلم يعد ممكنا لي غيره . ثم رجع الى الجزيرة وكان من جملة الركاب الذين

رجعوا معه رجلان نمساويان أحدهما ابن أحد التجار الاغنياء والآخر من قواد عسكر البابا . وكان هذا قد أخذ من الفارياق واحدة من هذه النبخات الدقاق فردها عليه بعد يومين . فلما استقر الفارياق بمنزله خطر بباله أن ينظم قصيدة في مدح جناب المولى المشار اليه . فأنشأ قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه هنالك من المحاسن ولكن من دون تعرض لذكر محاسن نساء اليهود . فلم يشعر بعد أيام الا والمولى المشار اليه بعث له بهدية من ألماس تضن بها الملوك على ندمائهم . ومعها كتاب من ناموسه المعظم ووزيره المفخم مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحب الذي رعى المودة شأنه . والكمال سجية قام بها عمله ولسانه .
« الاديب الاريب . الآخذ من كل فن أوفر نصيب . حسن الاخلاق .
« والحائز في مضمار البلاغة قصب السباق . البارع الفارياق . لا زالت
« محاسنه نيرة الاشراق . وبلاغته كواكب آفاق . أما بعد فان ولي نعمتنا
« ومولانا وسيدنا المشير أحمد باشا باي أمير الايالة التونسية . لا زالت
« بوجوده محمية . بلغ لرفيع جنابه من آدابكم . قصيدة تحلى بها شعركم .
« واتضح بها فخركم . ويدوم بها ذكركم . فلله در منشيها . ومبدعها
« ومرشيها . حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها . وألقت لديه مقاليدها
« ونواصيها . والمولى أيده الله حسن لديه موقع خطابكم . وأثنى على
« بلاغتكم وآدابكم . ووجه لكم من حضرته العلية حلة تتذكر بها وداده .
« وايالته وبلاده . فاقبلها من إفضاله . ومن نزر نواله . والله يحرسكم بعين
« عنايته . ويسبل عليكم ستر عاقبته . وكتبه الفقير الى ربه تعالى مصطفى
« خزنه دار الدولة التونسية في الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام
« سنة ١٢٥٧ » .

وفي أثناء ذلك قدم المطران التتونجي الى الجزيرة فبلغ الفارياق قدومه ولم يكن عرف ما افتأت عليه به عند الانكليز فذهب ليسلم عليه وأدبه

الى وليمة اعدها له . واقام المطران في بعض المنازل يشتغل بترجمة ذلك الكتاب الذي زاحم الفارياق عليه . وظل الفارياق ينتابه حينا بعد حين وهو غير موجس منه شيئا . فلما كان بعد أيام ثارت في الجو حاصب ومتشغزبة ومنسبة منشبة ونكباء وهبوبة وحرجوج وخجوجاة ودروج وسهوج وشجوجاة وبارح وسناخة وخنذيذ وصرصر ومشتكرة واعاصير ومعتكرة وهبارية وروامس وزوابع وزعزعان وهيرع وجفجف ورفزاف ومسفسفة ومسنفة وعواصف وخرقا وزحلق وزهلق وسهوق وحاشكة وساهكة ورعبليل وطيسل وعياهل وسهام وسفون وورها وميلاه وسافياء. ثم جاء على عقبها روائح هنبية صماحية زنخية سنخية إفاخية عبادية خجرية ذفرية عدارية أمدرية خنازية طفاسية حطاطية عفاطية عفطاقية شياطية ناضفية زهمفية خبراقية صلية خيعامية صنمية قنميء عجانية لخنية نجوية مختلطة بطمطانية وخلخانية ورتية ولغلغانية وقلقلانية وكسكسية وكشكشية . واذا بالمطران المزبور قد غاص في بلوعة فوهاء في تعريب ذلك الكتاب . ولما كان جاهلا بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لابد من تبليغ هذه الروائح الخبيثة منزل الفارياق . فان مدير المطبعة كان من اصحابه فكلفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط في الترجمة . وح عرف سبب قدوم المطران ومكايده . فصر بعض هبات كريهة من تلك الروائح وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر الجواب .

ثم اتفق بعد مدة أن قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامي باشا المفخم المشهور بالمناقب الحميده . وكان للفارياق دالة عليه فسار اليه ليهنئه بقدومه فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة الاعتزال فاخبر زوجته بذلك . فقالت له كم مرة اقول لا خير فى الاعتزال . قال لا بأس به اذا كان مع امير فان شرف الاسم يكفى . قالت لا يغني الاسم عن الفعل شيئا . قال فقلت

بل اجتزأ به كثير . قالت أمع جار له . قلت لا أدري . قالت لوكان الاسم يغني لكانت المرأة تكتب على موضع من جسمها لفظة امير . قلت اعوض ما يمضي . قالت والا فأمض على العوض . قلت ما أعجل النساء . قالت وما أحبهن للابطاء . قلت قد كنت أود لو ان الله خلقني امرأة أو انه يصيرني امرأة فاما الآن فلا أريد اذ لاصبر للنساء كالرجال . ومن يعش في هذه الدنيا فلا بد وأن يكون صبورا قالت لو لم تكن النساء أصبر من الرجال ما كن يعمرن في الارض أكثر منهم على ما يلحقنهن من أوجاع الحبل والولادة . قلت ليس هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لاتطول حياته على الارض بخلاف الطالح . قالت هل في الرجال صلاح وما من فساد الا والرجال مخترعوه . هل تفسد الاناث في الاناث ما تفسده الذكور في الذكور . وهل يفسد النساء غير الرجال . ومن ذا الذي يتصباهن ويتالفهن ويتنفشهن ويغازلهن ويغويهن بالمال والوداد والوفاء غيرهم . حتى اذا استوثق أحدكم بأحدنا فاحرز سرها ذهب في الحال وباح به . وربما سكر مع بعض معارفه أو تساكر فافتخر امامهم بافشاء ما يجب كتمانه وبهتك ما يلزم صونه . ألا وان الرجل منكم ليعتمد على ما خصه الله به من القوة والبأس فيعتمد أن له الفضل على المرأة في كل شيء . ولو كان الفخر بالقوة لكان الفيل أفضل من الانسان . نعم انا لايسرنا أن نرى الرجل شيظما أيدا ولكن لايليق به والحالة هذه أن يأتي امرأته الضعيفة المسكينة فيعاملها بالخيعرة والدغمرة والدنقرة والزنترة والزخرة والزمجرة والزنهرة والشنزرة والشنصرة والشنظرة والشمصرة والعجهرة والغذمرة والغشمرة والغيثرة والخرربة والخطلبة والخظلبة والدحقبة والدعربة والدنحبة والزغدبة والسقلبة والشغزبة والشهجبة والصرخبة والصعنبة والطغربة والعثلبة والعصلبة والغسلبة والمحطبة والقرطبة والنيربة . ثم اذا ذهب الى أخرى أوهمها انه أسيرها وعانيها وقنها ورقيقها وقينها وقنورها وماهنها

وقتجلها ومملوكها وذليل حبها ودنف غرامها وعميد عشقها وصريع هيامها وميت هواها وشهيد حبها . وان الله تعالى لم يخلقه في الدنيا الا لمرضاتها. قال فقلت اذا كان الرجل مخطئا في ذلك فالمرأة غير بريئة أيضاً لتصديقها إياه وانقيادها له . قالت انما تصدقه من صفاء سريرتها وسلامة صدرها . فان الصادق لا يرتاب في كلام غيره وان الكريم ينخدع . ولو ان الناس سمعوا مثلا بأن امرأة متزوجة تحب غير زوجها لأنكروا عليها ذلك كل الانكار . واستفظعوه غاية الاستفظاع . فتطبل به الطبول وتزمر الزمور وتكتب الكتب . ولا يبقى في البلد أحد الا ويروي عنها حكاية أو ترهة . فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير زوجته فانهم يحملون فعله على وجه مرضي ويعتذرون عنه بقولهم ان امرأته غير زافنة . أو انها جخنة منفاص . أو ميراص أو منشاص . أو حذنفرة أو غبوق . أو زخاخة خفوق . أو فتماء غقوق . أو رتقاء غفوق . أو نجاخة فشوش . أو منخار حضون . أو جحواء أخجى . أو جخراء رهوى . أو مجخرة ضحياء . أو ضهواء ضهياء . أو هرعة رفغاء . أو سلقلق أو متكاء . أو قشور أو مصواء . أو ناسعة شقاء . أو مهلوسة أو لصاء . أو لثية أو لخجم . أو خيفق ذات عفلق أو قلدم . أو حمق وعفل أو ذقناء . أو ميقاب أو لحواء . أو لقوة أو ختواء . أو قنشورة أو دناء . أو قرثع أو سلتا . أو خرور أو قماء . أو عائط أو شرماء . أو عنبلة أو لخواء . أو مجيأة أو رمضة وغير ذلك من العيوب لا يرون فى فعله هذا سماجة . مع ان للمرأة أسبابا تحملها على الشطح أكثر من أسباب الرجل . قلت تفضلي بذكرها كى اجانبها . قالت اولها ما اذا لم يقم الرجل بوفاء حق زوجته . وهو حق الزواج الذي من أجله تترك اباها وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها . قلت اللهم لطفك وعصمتك ثم ماذا . قالت ومنها اهماله امورها وقلة اهتمامه بما فيه راحتها وانشراح صدرها وتطييب خاطرها .

وتلهيتها وتسليتها وترويتها وتحليتها وتدفئتها ونظريتها وتاسيتها وتقويتها وتعشيتها وتغديتها وتعزيتها وتعنيتها وتمليتها وتهنئتها وتوقيتها . قلت نعم وتعريتها وتعذيتها وتمريتها وتدويتها وتنضيتها وتمسيتها وتنجيتها . قالت نعم كل هذا واكثر حالة كونها اسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة لاموره . وهو يطوف في البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق الى سوق . حتى اذا جاء منزله انطرح كالمغشي عليه وقال ان الشغل جهده والجهد شغله وانه عرض له كذا وجرى عليه كذا . مع انه هو الذي تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا . ومنها رقة فؤاد المراة والشفقة التي فطرها عليها الباري تعالى . فلا يمكن لها أن تقابل رجلا عن مودته لها الا بالوداد أو عن تملقه اليها الا بالميل اليه والاقبال عليه . وناهيك ما في الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة . قلت وأعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معاني الكيس . قال في القاموس الكيس خلاف الحمق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة . و بين المسر والسرور والبسط والشرح والبضع والبضاعة والشعور والمشاعرة واللمج والقمط . وخصوصا بين أبي أدراس وأبي ادريس دامت الفتها في اللفظ والمعنى . فقهقهت وقالت شرف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين . قلت ولكن قد يلازم ذلك أحيانا ما يسوء أو ما لا يليق . نحو أرفانة بمعنى جامع ورمى بالسلح . وجنح رمى ببوله ومسح جاريته . ومعط جامع ونتف الشعر وحبق . وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه بضعة . ومتخ جامع وبسلحه رمى . وملخ جامع وجذب الشيء قبضاً أو عضاً وتردد في الباطل . وملق جامع وضربه بالعصا . وجظ جامع وطرد وصرع وبالغصة كظه . وخج جامع وبسلحه رمى . ونحب جامع وفلانا لطمه . ومتر جامع وبسلحه رمى . وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط وأصاب جلده . وعصد جامع ولوى فلانا

أكرهه على الامر. وضفن جامع وبغائطه رمى . ومحن جامع وضرب . ومشن جامع وخدش . وأسوى أحدث وخزى وفي المرأة أوعب . وكذا حشأ وحطأ وحلأ وخجأ ورطأ وزكأ ولتأ وغير ذلك مما لا يحصى . قالت كل صعب في جنب ذاك يهون . ولا بد لجاني العسل من أن تأبره النحل . ثم اني فهمت من فحوى كلامك ان هذه الافعال في لغتنا الشريفة أكثر من أن تعد . وان أكثر المعاني قد وضع له فيها ألفاظ كثيرة تسميها العلماء اردافية على ما ذكرت لي سابقا . قلت لم اقل لك هذا وانما قلت مترادفة . وان هذا الفعل بخصوصه له أكثر من مائتي لفظة . فكل لفظ دل على دفع أو نهز أو ضغط أو ادخال دل عليه أيضا . قالت فهل تستطيع أن تذكر لي حرفا يدل بالخصوص على الامتناع عن النساء عفة وتقوى . قلت لم يمر بي حرف بهذا المعنى والا لحفظته فاني مولع بحفظ الحروف النسائية والظاهر ان العرب لم تكن تعرف ذلك . غير ان تبتل وبكم يدلان عليه في أحد معانيهما . قالت في أحد لا يغني شيئا . ثم استمرت تقول

ومنها وهو مستفيض عند أكثر النساء ان المرأة اذا أحست باعراض زوجها عنها أو بفدوره أو بالجفوة لها مع تحببها اليه وإقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا هلوبا بعيجا عروبا متبعلة رعبليبا آسة باهشة متبشبشة متهشهشة ذات رشرشة ومشمشة ونشنشة ووشوشة مدربخة واركة منصعة واكعة مصموصا حارقة ان لم أقل علوقا وغير عازمة مالت الى غيره لتعيره وترده الى قديم محبتها . فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امرأته الا اذا رأى الناس يحبونها . فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبته هو . وهذا يسمى عندنا دغدغة وزغزغة وسفسغة . فاما عيوب الرجل فهي لعمري أكثر من عيوب المرأة ولو لم يكن به غير الزمالقية لكفى . وهل والحالة هذه يجب حل عقدهما أو يجوز أو يمتنع أقوال . فالنصارى على منعه، مع انهم يقولون ان المقصود من الزواج بالذات الانتاج وحفظ النسل . والطبائعيون والفلاسفة على وجوبه اخذا بهذا القول عينه ومراعاة لاداء

حق المرأة الواجب على الرجل وهو أمر طبيعي لابد منه ولا محيص عنه وبقي الجواز فى عهدة غريمي الزواج . ان شاءا بَقيا على ماهما عليه والا افترقا وهو الاصلح . ولعمري ان المرأة التي ترتضي بأن تقيم مع زوجها من دون قضاء حقها لجديرة بأن يعيد لها عيد فى رأس كل سنة . أليس ان استاذك صاحب القاموس الذي تستشهد بكلامه فى كل كلامه نسواني قد قال الرجل م والكثير الجماع . فاذا كان الزوج غير رجل فانى يحل له أن يحوز عنده امرأة لايؤدي لها حقها . أيحل لرجل أن يقتني دابة اذا لم يقدر على علفها . أستغفر الله من هذا التشبيه . أو لصاحب أرض أن يغادر أرضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية . أفلا يجب ح على الحاكم الشرعي أن يشتريها منه ويولي عليها من يتعهدها و يستغلها . واذا كان الانتاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمرأة بل جل أركانه مختص بها ومتوقف عليها فلم لايكون الطلاق مشتركا بينهما أيضا اذا اقتضت الاسباب ذلك . اذ الطلاق عندي من غير سبب ان هو الا بطر وسفه. وأقبح من ذلك ان رؤساء النصارى يأذنون فى مثل هذه الحال فى فراق الزوجين . ولكن لايأذنون لهما فى الزواج وان يكن داء الرجل عضالا لايرجى له علاج فى مدة انفصاله عن زوجته . فأي حكمة فى ذلك وأي ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات . فلعلما يأتي من بنيها من يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهباً أو مطرانا . وعسى أن يأتي من بناتها من تتحمس بالوساوس والهواجس والاحلام فتصير راهبة

هـذا وقد ورد فى التوراة حكاية عن الباري تعالى انه قال تكاثروا واملأوا الارض على مبالغة فيه . فان ملء الارض بشرا يوجب خرابها لاعمرانها . وقال مار بولس ان المراة تخلص نفسها بتربيتها البنين الصالحين . فهل تعليق الزوج والزوجة عن الزواج مطابق لنص هـذين الحكمين . انظر الى أهل هذه الجزيرة فانك تجد أكثر الرجال منفصلين عن أزواجهم

وعائشين بالسفاح . وقسيسوهم مصرون على ان ذلك أوفق من الزواج الشرعي . مع ان القسيسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم غير متزوجين ايصبح ترئيس رؤساء على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزه. فقلت لله درك من اين لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك الامرد والمحلوق اللحية عند قدومنا هـذه الجزيرة . قالت رب شرارة اضرمت اتونا . اني كنت اعرف من نفسي اني لا ألبث أن أنبغ في هـذا . وذلك لـكثرة ما كنت أرى وأسمع عن المتزوجين من الخـلاف والمعاسرة . والشكو والمنـافرة . لاسيما وقد رايت الآن بلداً غير بلدي وناساً غـير ناسي . واختبرت عادات جديدة وأحوالا غريبة . فتوهجت تلك الشرارة التي كانت مودعة في خاطري تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها بكباء الاحوال المتغايرة والشؤن المتباينة . ولا سيما في ليلة الرقص التي لا تنسى . ومذ ح خطر ببالي ان املي عليك كتاباً في حقوق الرجال والنساء ولا بد من الشروع فيه . قال سأفعل ذلك ان شاء الله ولكن الامير ينتظر قدومي عليه في المنزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشاء الكتاب . قالت قد تشفيت الآن قليلا بما قلته فاذهب اليه وأرجو أن لا تعاودني هذه الاهتقاعة الا وأنت هنا . فاستغاث واستوزع . واستعاذ واسترجع ثم ذهب الى الامير المشار اليه . وبعد أن قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوفا باكرام الامير وانعامه .

الفصل التاسع عشر

في عجائب شتى

يلعبيس حدنبدى . علمص خزعبله . فلق فليق عبرة . أدب بطيط فتكر . عجب فنك ضحك بهر . هتر هكر اد بجر . زول عيثى بجل طم أفت غرو فري . ان الانسان لايعرف نفسه . هذه سيدتي الرسحا المسحاة الرقعا الرفغا الرصعا المردا المصلا المزوا العصلا الجخرا الزلا العموا النقوا الثطا الضهيا الجخوا الجبا المزلاج الكروا العصوب المنداص الفلحسة تتخذ المرافد والحشايا وكبة قطن تنفج به قميصها عن ثدييها لتوهم النـاس انها دهساء وطباء . ولكن من أين جاءتك ياسيدتي هذه الحلية المباركة وهذا اللحم القدي . ونحن نرى ذراعيك كاليراعة أو كعود الشكاعي . وعنقك كالعصا و يديك كالمشط ووجهك كالصابونة التي غسل بها القصار ثياب القديدين والفدادين والداج والداجة . وترائبك كالمفص وكتفيك مؤللتين مهلهلتين مرققتين مدققتين محددتين مقـددتين مسربطتين مسمرطتين . فكيف غلطت فيك الطبيعة وسمنتك في هذين الموضعين الكريمين وعميت عن الباقي . وهذه سيدتي البلقوطة الدعشوقة الزلنقطة الجحنبرة الزبازاه الجعبرة الحرنفقة الدنامة الرفيان العشبة الحدحة الزحنة الضرزة الزونة البهترة الجباعة العمهزية القهمزية البهصلة الدرامة المفنزعة القرنبضة القنل القنثل القعنبة القنبعة القزمة العذعملة الحبنطاة الدودرى القرزحة الكمتة العلى الجلنز الزعنقة القنبضة المرزحـلة الحزقة اذا مشت تطفر وتثب وتهطع وتتالع وتعسج وتهبع وتتطالل وتشرئب وتصلهب ونشـمعل وتترقص وتزمهل . وتحسب ان الناظرين لا يشبرونها بأعينهم . ولا يغزونها ولا يذرعونها

بخواطرهم . ولا يدرون أي فراش يليق بها . وهذه سيدتي السوداء المسخمة المدلهمة المطرخمة القاحمة الفاحمة القاحمة الدهماء المدهامة الحتماء المبرطمة الدلماء المدلامة السحماء الدجناء الدخناء الخفـدلس تطلي وجهها بالحمرة والغمرة والغمنة والحور والزينة . ثم تصعر خدها للناس وتنظر اليهم شزرا . وتتيه عليهم دلالا وكبرا فاذا حاولوا أن يروا موضعا آخر من جسمها أدارت ذلك الموضع المطلي المحمر . المنقش المزور . وجملته شافعا في سائر أعضائها وأوهمتهم ان المغطي منها أشد بياضا من المكشوف وان لونها في الليـل يكون أزهى منه في النهار . ولا سيما عند الخلوة فانه يزداد بهاء وجلوة . وربما حكت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت في الغـداة لم يكن لها وقت لاصلاح شأنها . فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهي لاتدري كيف خرجت . وهذه سيدتي العجوز المتهدمة . القحلة الشهربة . الطهمل اللحبة . العفشليل الصهصليق . الجلفزير الشفشليق . الخنظير الشمشليق . الدردبيس الطرطبيس . الشلمق ا 'حرط . الشملق الجخرط . الحربش اللطلط . الهيعرون الكحكح . الهرشفة الجلبح . ذات القنثلة والنمثلة . والنعثلة والنغظلة (١) . لم يزل حشورة عزهاة تتفتى وتتصبى وتحزق ثوبها من عند خصرها . وتهلس اذا جلس اليها فتى في وكرها . وهذه سيدتي الجميـلة البضة الغـراء . السنيعة الغضة الفراء . الصبيحة الزهراء . العبهر الغيداء . الخضلة الدعجاء . الخريدة الموقونة العجراء الرشوف الشنباء . الخنبة الذلفاء . السلمة الكاعب . المصقوله الترائب . الحـلوة الابتسام . الرخيمة الكلام . التي تسكر بمغازلتها . وتفتن بمباعلتها . وتصبي فؤاد من لم يصب عمره . وتتبله وتتيمه . وتعبده وتهيمه . وان أخذ منها حذره . واستحضر رشده وصبره . ودينه وحجره . تراها تمشي والخفر قد نكس رأسها وغض طرفها فاذهلها عن أن تحس خطوها . وتبـدي زهوها .

---

(١) أسماء العجوز أكثر من ان تعد

وليس بها من التغنج والتضرج والتبرج والتغوج والتحلج والتديج والتخفج والتدعلج والتدحرج والتبغنج والترجرج والتزجج والتسرج والتموج والتنفج . مع انها لو دخلت على حضرة الملك نقام لها احتفالا . وناولها الميحار والمحصرة اجلالا . وأنشدها

فديتك من مملكة علينا يحق لتحتها تحت الخلافة
خذي تاجي بأدنى لثمة من ملاغم فيك أو أدنى ارتشافه

أو على حضرة ناموسه المفخم . ووزيره المكرم . لدهش عن شغله اكبارا لها واعظاما . وألقى اليها الخاتم استسلاما . وأنشدها

اليك الفصل في كل الامور على أسري أمير أو وزير
فما الدستور الا دس تور اليك فهل سبيل للشغور

ولو دخلت مجلس قاضي القضاة . لأهدى اليها الكنز والدر وما ملكت يداه وأنشد

لها علي في الهوى حظان لا للذكر
فان لي سؤلين منها اذا وذا له وطري

ولو دخلت على طبيب يعالج تيتاء لوصف له مس رانفتها وشم سالفتها وأنشد

دهن السقنقور والترياق للعلل رضاب فيك وللمنين ذي الفجل
حتى اذا لم يدع في الريق من وسل أرشفته الخمر نعم الخمر من بدل

ولو خطرت على منجم لرمى الاسطرلاب من يده حيرة وذهولا وبلبلة وغفولا . وأنشد

لسنا نرى الا جمالك في الضحى فهو المنير بجنح ليل أظلما
قد بلبل الفلكي منك مفلك فعليك تقويم الذي ما قوما

أو على فيلسوف لذهبت معه حكمته سدى . ولم يجد للصبر عنها رشدا . وأنشد

من حكاك الجسمين تقتدح النار كذا مذهب الذي قد تفلسف

وهي دعوى فان جسمي ادا احتك بهـذى أسال ماء فأنزف
أو على مهندس لاشكلت عليه الاشكال . وتبلبل منه البال . وأنشد

يفدي المكعب مسك كل مكعب   ومحـدب ومقعر في العـالم
ياليت ذا الشكل الهلالي الذي   فيك استقر على عمودي القائم

أو على منطقي لخرج عن القياس . وخبط فى الالتباس . وأنشد

على اللذيذين مني سافها وضعت   ياحسن ذلك موضوعا ومحمولا
أصبحت تاليها أبغي مقدمها   اذ كان كل سرور فيه مأمولا

أو على نحوي لما ميز الفاعل من المفعول . ورأى ان معرفة دلك من الفضول . وأنشد

رويدك انني ما جئت نـكرا   لديك وليس لي دنب فيذكر
برئت من النحاة وحق ربي   لقولهم بتغليب المـذكر

أو على عروضي لتقطع فؤاده . وكثر زحافه وأسناده . وأنشد

هنـدتني ياذات كل مـلاحة   وتركت قلبي بالغـرام يعلل
أرعى النجوم الليل فيك وانني   مستفعل مستفعل مستفعل

أو على شاعر لدلع لسانه تلزحا . ثم تلمظ وتمطق ثم عض بنانه قسحا . وأنشد

كم تاه صب بفرط العجب والتيه   لكن حياؤك تأليهي وتوليهي
أن يولني منك تجنيسي مجانسة   أحمدت توريتي واخترت توجيهي

ألا ولو انها مسحت على عنق كل مني ومنك أيها القاري لاغناهما عن الخضض . ومصح ما بهما من الورم والنفاخ والنفطة والغدد والعقد والقمد والقفد والختر والمجر والعاذور والبجر والجدر والقبر والكمر والثعر والرور والحبر والقصر والنعفة والسلع . والنكف والقبب والغلب والذربة والترود والعصل والمعط والقسط والتشنج والتحجن والتعضف والتغضن والتصعفر والتقبض والقفص والردن والتشنن والـكنع والتكربش والتكرش والتكمش والاشخاص والقره والقله والثأي والحما والحروة والتنبج والذباح

والرثية والضوأة والزرة والخضمة والشاكة والادلال والاجل والحدل والصمغة والقروح والخراج والدمل والعنبة والبثور والثاليل والخنازير والالتواء والهنع والحبون والندب والعثم والوكس والحيط والاجور والدم والعرب والعاذر والأثر والطليا والعلب والعصب والقوباء والجرو والدغام والخدش والجلف والحشفة والحفت والقطوف والزرف والكدم والنسوف والغلصمة والحولق والحلاق والفرك والكتاف والهيض والخناق .

وهذه سيدتي الزعردة العنجرد الداعوس الالقة السلقة الملقاع الخفنس الحنفس العنفص البلقع السلفع الهروم المهضهضة الشنظيان البنظيان البهرج الطليف المسجل الظلف الفانكة المنملة المتياح المرعاج المعنة الخطالة الخالجة الرادة الزلرة المحنات الهلوك المتهالكة المتهتكة المستهترة الباغزة الحواسة العواسة الدردم الدردب المتوهجة المتلعجة اللفوت العجينة المقفاطة الجلوط الخروط الخلطة الخليع الجلعة الخريع الجالقة الشنقة الشنيعة المفاص المعقاص الجنبثة البطريرة البطرير الدمراء القاشرة الجلبانة العنقفيز السحلوت السلخوت الهمرى النعارة الهيمرة الهيرعة الهورورة الراغية السعوة الساعية الخيتروع الخيتعور العسوس الضنوط الماجن الحجأة الملألئة الشروب القعرة المستعربة المستضربة المستنخبة القفخة الوزاح المدربخة المردة الضامد لمستمعدة العخذاء الثامدة المستدرة المستذرة المستدورة المستطيرة المستظئرة الشفرة العمرة المرور الهوسة المبلاس المنعظة الكرعة الواكعة التبعى المحتلمة العمعة الهكعة الهقعة المتهقعة الضبعة الظالع الوتغة الهبنغ المستولغة المراغة الصارف الحلقية المستحلقة المستودقة الحارقة الشبمة المتفككة المداركة المفلكة المستجعلة المستوبلة المبذم المدقم المبلم المهدم العطمة الهدمة العظمة المستحرمة الغيلم المتوسنة المستأتية الحانية المتسداة التي قد علم كل واحد من أهل البلد حين تخطر في أسواقه وشوارعه وأزقته ودروبه وردوبه انها تدعوهم بعينيها وبجميع جوارحها الى التمشير الى العراب الى الاشغار

الى الاقلعفاف الى الاشمعطاط الى الاشمئماذ الى الا فضاء الى الاقتعاء الى الكفاح الى العراض الى التلفيع الى الدهفشة الى النشنشة الى الهكاع الى السباع الى التشيط الى الحصحصة الى الاسواء الى الايعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الاجفان الى الافطاء الى الانقاش الى القزب الى الرك الى الباك الى المهك الى الهك والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهق الى الزجل الى الاما هة الى الزءب الى الحوق الى الدعم الى الرطم الى الكوس الى الاقحاط الى الومس الى الدعظ الى الدعمظة الى السفم الى الاكسال الى الاطهار الى الغفق الى الخمق الى الوجس الى الاهار الى الظلم الى التداؤم الى التسنى الى التقحم الى التجبية الى الابراك الى التدبيخ الى الانسداج الى الاسراح الى الانشداح الى التنوخ الى الندربخة الى الدهشرة الى المشق الى السلق الى الصلق الى السلقاة الى المزد الى الحرش الى الشقية الى المحارقة الى الكشر الى النخب الى التفنشخ الى الظهاهرية الى الترفغ الى التفشغ الى الفشاع الى المزمعة الى المرفطة الى القرفصة الى الكابوس الى الخط الى لي العرفجة الى التكوذ الى الشفر الى التشفير الى التدليص الى التفخيذ الى الحبيض الى الحسف الى التلجيف الى دحدح الى أرار الى أزاز الى باط باط تقعد في مجلس رئيسه بنات النمرى وتطفق تعيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن ويتحلين ثم يخرجن ويمشين الخيلاء . ولكن أنسيت ياسيدتى يوم قلت لشيخك ما أحد يعشق الا ويتغير لونه عند ذكر معشوقه . فقال لك ليس ذلك بمطرد . فكابرت واصررت على قولك فكابر هو أيضا وأصر على انكاره . فقلت له حتى تحججه لو أنك ذكرت لي اسم — ثم انتبهت وسكت . فقال لك وقد فطن فرن دماغه اسم من . فضحكت وقلت لا أدرى . ويوم خرج بك ليفرج عنك الهم فى يوم راح فخرجت وقد كشفت نصف صدرك ولمعت الترائب والمناهر واللعوة وهو لا يدري لغفلته .

فلما التفت اليك ووجدك على هـذه الحالة قلت ان الريح فعلت ذلك .
ويوم كان يماشيك فقلت وأنت ذاهلة لعلبة الهوى أفدى بروحي وجه
من أهوى . فلمـا سألك قلت ما هو الا أنت وما أنت، الا هو . ويوم
أرسلت خادمك . ويوم بعثت خادمتك . وغدة كتبت رقعة دعوت فيها
من شاقك . وضحوة تأخرت . وعشية تعطرت . وساعـة اعتذرت .
وفينة فرمت . وليلة أوهمت وجمجمت . وفنة همت وهمهمت وهينمت .
وتوة تزبرجت وتعلست .وتفئة أرتمت . وفيئة زممت وسلمت . وحينة
استحرمت حتى دعمت . ألم تكن هذه القوافي كلها مكافئة لنظر جارتك
من الشباك .

وهـذا المطران اثناسيوس التتونجى قد صار الان مترجماً معرباً كاتباً
منشئاً . وهو أضيق أستا من أن ينمل . ولم يبال ان جر عليه بتعريبه
است الكلبة . وقد حسب مضايق الحرف كلها سواء . وتعنى وتعمل .
ولهوج ولهوق . وطرمذ وطرطر . وتفيش وتحرش . وقرمش وفشفش .
وهريج وهلج . وسفسف وهمرج . واخترص ونمم . وتوره وضهيا .
وانهاء وانياء . وتكسس وتزبب . وتنفج ولبلب . وخرشب وخشرب .
وتحزلق وتابب . وتصوك وتزيع . وتدخ وتزيخ . ومردل وأمجس .
ومرطل وغطرس . وتفيهق وتشدق . وعفن وبشك . وخرق وحرق .
وربك ولبك . وعصد ولفت . وهو أعظم في نفسه من المتشمة (١)
أليس في الكون من مراة وزجنجل وسجنجل وعناس ومنطار ووذيلة
ولحة ومارية وزلقة ومذية أو زجاجة أوصفيحة فتنظر سـيداتي هؤلاء
فيها وجوههن وما هن عليه من الاحوال . أليس في الشرق من سيبويه
فيصفع . أما في الغرب من ابن مالك فيقدع . الا اخفش فيغار على هذه

(١) المتشمة امراة وشمت استها ليكون أحسن لها وفي المثل هو أعظم
في نفسه من المتشمة .

اللغة . ويرض راس هذه الوزغة . كيف يظن الانسان انه عالم ولم يتعلم . وأديب ولم يتأدب . وفقيه ولم يتفقه . نعم انه لايرى جهله في مراءة كما يرى وجهه ولكن أليست الكتب هي مراءة العمل . فمتى قرأ كتب العلماء ولم يفهمها عرف حد ما وصل اليه من العلم . غير ان المطران اثناسيوس التتونجي مطران طربلس الشام المقيم في جميع البلدان الا فيها لم يطالع شيئاً من مؤلفات العلماء . فغاية ما علمه من النحو باب الفاعل والمفعول . ومن البيان نوع التجريد . ومن الفقه باب النجاسات . ومن العروض الوتد المتحرك . ومن البديع ردالعجز على الصدر . هذا حد ما عرفه وتبجح به في مدرسة عين تراز حين كان قيم تلامذتها . فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندره ثم فراره من لندره الى مالطة . ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلاق . وتشهيره هناك وتجريسه في الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطي هذه الحرفة التي الفها مذسنين كثيرة . وتسببه في زمن موسم لندرة في أن جمع جماعة مغنين ومغنيات من بيت أشق باش بحلب . وأغواؤه اياهم على أن يقصدوا الموسم طمعاً في الربح . ودخوله معهم ومع شركائهم أولا في شروط المصروف والتجهيز . ثم استرجاعه المبلغ الذي كان أداه اليهم واشتراطه عليهم اشراكهم اياه فى الفائدة من دون أن يشاركهم في التعب . وذلك في مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذي كان سببا في تحسير رئيسي هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه في هذا الكتاب . وربما قال قائل هنا انك أيها المؤلف قد عبت على الناس جهلهم أنفسهم . وقد أراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فأوردت فيه كلاما لا يليق بالنساء . فقد تجاوزت ابن أبي عتيق وابن حجاج . قلت الحامل على ذلك أمران . احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة .

والثاني اني قصدت تشويق القارئين ممن ملأوا حيطان ديارهم من قصب التبغ الى شراء كتاب في اللغة . فياقارئاً وياسامعاً . وياراقئاً وياعامساً . قل للمتعنت ان من كان في فيه مرارة لم يستطيب الحلاوة . وبعد فاني أترامى على أقدام سيدتي المدقم وسيدتي الدعشوقة وسيدتي الدلمحسة وسيدتي المسخمة . واطلب منهن العفو عن طغيان القلم اذ لا يمكن لي أن أبيت هذه الليلة وهن علي غضاب .



الفصل العشرون

في سرقه مطرانيه

لما رجع الفارياق من عند الامير المشار اليه أخبر زوجته بما أحسن به اليه وبأنه وعده بوظيفة حسنة في مصر . فقالت أنا أسبقك اذاً وأنت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى أهلي فدعني أسافر اليهم . قال لا بأس فلما أزف الفراق أخذ يودعها ويقول . اذكري يازوجتي ان لك في الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك . فقالت من لي بهذا . قال فقلت أي هذا تعنين . قالت انما أعنيك . قلت بل المتبادر غيري . قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم أنتم العرب . وما زال دابكم نبش ما في صدور النساء من الاسرار . وفقس ما في يوافيخهن من الافكار . ومواخذتهن بالدث والوهم . ومعاملتهن بالحدس والقسم . ومعالجتهن بالهجس والزعم . والرنبخ والرجم . والتذفح واللغم . والرسيس والوغم . بدل العمس والعسم . والحلهرة والرأم . والحزم والوزم . والحمش والفغم .

والضم والدعم (١) ولو ان الله تعالى يؤاخذ العباد باللغو مثلكم لما بقي على وجه الارض من بشر . قلت أكثر هذه المشاحنات ناشيء عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها . قالت ليتها كانت ضيقة . قلت وهذا أيضاً من ذاك . قالت وكذا ذاك فى هذا. قلت وكذلك عليه . قالت وتحته أيضاً فالاولى اذاً السكوت . قلت ليس عند ذلك . فالت أنتم الرجال كلكم منخاريون فطافطيون رفثيون . قلت من أين علمت ذلك . فالت قد رجعنا الى الوهم والقسم . قلت بل فلنعد الى الوداع . قالت نعم اني أسافر وليس لي من آسف عليه . قلت هل أنا فى جملة غير الماسوف عليهم . قال ماأنت كاحد الناس . قلت وهذا أيضاً كلام مبهم الست برجل . قالت فى احد المعنيين . فلت هل بقى لك على شيء . قالت جمعه . قلت أعدك حساب ذلك فى دفتر . قالت نعم قد غرنا تلحزكم فى الشعر ياشعراء فزعمنا كم قوالين فعالين . فاذابكم لا تحسنون الا الوصف . قلت ومن يحسن الفعل . قالت من لا يحسن الوصف . قلت وأين حق الادب . قالت فى مجالس العلماء لافى مجالس النساء . قلت ذلك يفضى الى الانبتات . قالت وهذا الى الانبتات . قلت كيف يمكن الفراق اذاً . قالت ان شئت الوزم الان والا فدعه الى أن تأتي مصر . قلت كيف يتأتى وزم أعوام . فى ساعات أوايام . واشفق

---

(١) (لدث) الرجم من الخبر (والقسم) أن يقع في قلبك الشيء فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حيمة (والرضخ) خبر تسمعه ولا تستيقنه (وتذقح) له تجرم وتجني عليه ما لم يذنبه (والوغم واللغم) بمعنى وهو الاخبار بالشيء لا عن يقين (والرسيس) خبر لم يصح والعمس أن ترى أنك لا تعرف الأمر وأنت تعرفه ونحوه الجلهزه (والعسم) انطباق الاجفان بعضها على بعض (والوزم) قضاء الدين والجمش المغازلة والملاعبة (والفغم) التقبيل (والدعم) ما بعده

ان احين وعلي ذبابة . قالت اذا كنت لم تخش من الدين . فما اخالك تخشى من الحين . قلت لقد أذكرت ناسياً وطالما حسبت الناس كلهم مثلي . قالت وأنت انسيت ذاكرة لكوني لم ارلي مثلا . قلت اذكري السطح واصفحي . قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح . قلت اني أردت السطح القديم . قالت انما أريد الحديث . قلت يقال فى الامثال لا بركة الا فى القديم . قالت يقال فى الامثال لكل جديد لذة . قلت كيف الفراق وفى قلبك ضغن . قالت ياحبذا الضغن . قلت اذا كان بمعنى الشوق الي . قالت نعم هي من الالفاظ الغريبة التى تعلمتها منك كالعقيون والقطحل والحبرة . قلت لعلك أنست من المقيون العقيان ومن القطحل الفحل ومن الحبرة الحبرة . قالت لا تأس الحبرة بالحبرة . قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النهمة من النعومة . قالت وقالوا أيضاً التسديد من السداد . قلت لم يرد فى النهي عن ذاك امر . قالت هو مقيس على نقيضه. قلت هذا بذر فى أرض سباخ . قالت وذلك قراح بلا حرث . قلت الكلام على البذر . قالت لا يمرؤ الطعام مادام فى الحلق ولا يسوغ الماء الا اذا مر على الزلقوم . ثم توادعا بعد مباراة الذمم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كثيباً مستوحشاً . لانها كانت كثيراً ما تدله على الرشاد وتنهج له الرأي السديد . ثم لم يشعر بعد أيام الا وروائح المطران قد انتشرت وهي أشد أذى من الاولى . فبعث منها قدراً آخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم . ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شكا كم كل ذي خيشوم . فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق . فبدا لهم أن يسدوا مسام المطران عن اخراج ذلك الخبث وأن يحضروا اليهم الفارياق لاعادة ترجمة الكتاب الذي تقدم ذكره .

هذا وقد كان الفارياق الف في أحوال أهل الجزيرة كتابا وعاب عليهم فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلادد

وذلك كتغطيسهم أجراس الكنائس في ماء المعمودية . واطلاق أسماء القديسين عليها . وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما أشبه هذا . وكان قد أعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه . فاتفق أن زاره المطران يوما فرأى الكتاب على كرسي وقد عرف خط مؤلفه . فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التي اشتملت على ذكر تلك العادات . ثم بعث بها الى رئيس مصلح البخر وكتب عليها باللغة الطليانية . انظر أيها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أولا . الا ان الرئيس المذكور لما كان لايعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين فى خدمة الدولة . كان لا بد من اعادة الاوراق الى المؤلف . وكان المطران قد فر من الجريرة قبل اعادتها وطهر الحومن روائحه . ولو بقى بعد ذلك لموقب على هذه السرقة معاقبة تليق بأمثاله . ووقتئذ عزم الفارياق على السفر لقضاء تلك المصلحة أعني ترجمة الكتاب وأرسل الى زوجته يعلمها بما أستقر عليه الراي . واشار عليها بالرجوع اذا كان يرجو أنه يبقى فى بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب . غير انه جرت العادة في بلاد الافرنج بان مدرسي اللغات فى مدارسهم الجامعة لايكونون الا منهم وان كانوا جاهلين . وبعد أن رجعت الفارياقية تأهب الفارياق للسفر وهاهو الآن يوعي القاموس والاشموني فى صندوقه . وها أنا منطلق لقضاء حاجة لابد منها . فاسمحوا لي أن أستريح قليلا .



الكتاب الرابع

الفصل الاول

في اطلاق بحر

من لم يسافر فى البحار ويقاس فيه الانواء والامواج فلا يقدر ترفه المعيشة فى البر حق قدرها . فينبغي لك أيها القارىء البري أن تتصور فى بالك كلما أعوزك الماء القراح واللحم الغضيض والفاكهة الطريئة والبقول المخضلة والخبز اللين ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله . وان سفينتهم لا تزال تميد بهم وتتقلب وتعدو وتهبط . فدون كل لقمة يسترطونها غصة . وفى كل رقدة يرقدونها مغصة . وانه متى وضع بين يديك لون واحد من الطعام فلا تفكر الا فيه . وأعتمد ان غيرك يغتذي بمثله فى تلك الساعة بل باقل منه . فبذلك يحصل لك التأسي والتسلي . فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامراء وصروح الوزراء وفكرت فيما يأكلون ويشربون فانك لاريب تتعب نفسك وتعنيها لغير فائدة . ولكن أتحسب ان المعتقة التي يشربها الامير ألذ من الماء الذي تشربه أنت حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد . مضطلعا بادارة مصلحة لك تكفيك وأهلك المؤونة . وحالة كون زوجتك تجلس قبالتك أو عن يمينك وشمالك . وولدك الصغير على ركبتك . تارة يغني لك وتارة يناولك بيده اللطيفة ما سألت عنه أمه . واذا خرجت شيعاك الى الباب واذا قدمت صعدا معك وأجلساك على أنظف متكأ فى الدار . فاما أنت ياسيدي الغني فالاولى لك أن تسافر

من مدينتك العامرة حتى ترى بعينيك مالم تره في بلدك . وتسمع باذنيك مالم تسمعه . وتختبر أحوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدري اخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم . ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا . ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم ولا تحرص بحقك على تعلم كلام الخفى منهم أولا . أو تستحلى الاسماء من أجل المسميات . فان كل لغة في الكون فيها الطيب والخبيث . اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات الانسان وأفعاله وأفكاره . ومعلوم أن في هـذه ما يحمد وما يذم . فأجلك عن أن تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم الا أسما بعض الاعضاء وعبارات أخرى سخيفة . لا بل ينبغي لك حين تدخـل بلادهم سالما أن تقصد قبل كل شيء المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمخاطب . أي الاماكن التي يخطب فيها العلماء في كل الفنون والعلوم . فمنها ماهو معد للخطابة فقط ومنها مايشتمل على جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم . واذا رجعت بحمده تعالى الى بلدك فاجتهد في أن تؤلف رحلة تشهرها بين أهل بلادك لينتفعوا بها ولكن من دون قصد التكسب ببيعها . وياليتك تشارك بعض اصحابك من الاغنياء في انشاء مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال والنساء والاولاد ولكل صنف من الناس على حدته . حتى يعرفوا مالهم وما عليهم من الحقوق سوآ كانت تلك الكتب عربية أو معربة . ولكن احذر من أن تخلط في نقلك عن العجم الطيب بالخبيث والصحيح بالمعتل . فان المدن الغناء تكثر فيها الرذائل كما تكثر الفضائل . نعم أن من هؤلاء الناس لمن يابى أن يرى أحداً وهو على الطعام . واذا اضطر الى رؤيته وهو على تلك الحال فلا يدعوه للوس شيء مما بين يديه . لكن منهم من يدعوك الى صرحه فى الريف فتقيم فيه الاسبوع والاسبوعين وأنت الآمر الناهي . وان منهم لمن يبخل عليك برد التحية . واذا دخلت دار صديق منهم

وكان فى المجلس جماعة من اصدقائهم يعرفوك من قبل فما أحدمنهم يتحلحل لك فى القيام ولا يعبأ بك ولا يلتفت اليك . لكن منهم اذا عرفك اهتم بامرك فى حضورك وغيابك على حد سوى . واذا ائتمنته على سر كتمه لك طول حياته . وان منهم لمن ينبزك بالالقاب أول ما يقع نظره على شاربيك ولحيتك أو على عمامتك أو يجذبك من ذيلك من وراء . ولكن منهم من يتهافت على معرفة الغريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان اليه ويرى اجارته وحمايته فرضاً عليه متحتما ، وان منهم لمن يسخر منك اذا رآك تلحن فى لغته ، ولكن منهم من يحرص على أن يعلمك أياها مجاناً اما بنفسه أو بواسطة زوجته وبناته ، وعلى أن يعيرك مايفيدك من كتب وغيرها ويرشدك الى مافيه صلاح أمرك وتوفيقك وان منهم لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكلح فى وجهك وينظر اليك شزراء لكن منهم من ينزلك فى بلده منزلة ضيف يجب اكرامه واحترامه والذب عنه بحيث لاتفصل عنه وفى قلبك أدنى ألم من أهله ، وان منهم لمن يسخرك أن تترجم له أو تعلمه ثم لايصول لك احسنت يامترجم أو يامعلم ، لكن منهم من لايستحل أن يكلمك من دون أن يؤدى اليك اجرة فتح فمك وضم شفتيك ، وأن منهم لمن اذا اضطر الى أن يدعوك الى طعامه ثم راك قد سعلت سعلة أو مخطت مخطة أو فنحرت فنخرة قال لزوجته الا أن ضيفنا مريض فلا ينبغي أن تكثري له من الطعام ، فتقوم عن المائدة متضوراً ويمنن هو عليك بين معارفه بأنه صنع لك وليمة فى عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخاً ، لكن منهم من اذا عرف انك مقيم فى احدى قرى بلاده حيث لابيع ولا شراء ولا شي ينال من البقول والأثمار بعث اليك من مباقله وحدائقه ما اسد فاك عن الشكوى ، كما كان مستر دراموند يبعث الى الفارياق حين قدر الله عليه بالسكني فى بعض تلك القرى فكانت شكواه منها تسمع مع دوى الريح ،

ليت شعري اليس وجود مئة كتاب بدارك فى الاقل خيراً من وجود كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا اركيلة . مع أن ثمن المئة كتاب لا يوازي ثمن ثلث قطع من الكهرباء. اليس وجود مطبعة في بلادك اولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفراء السمورية وهذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر . فان الانسان اذا نظر الى الحلى لا يستفيد منه شيئاً لا لبدنه ولا لرأسه . وغاية فرحه به انما هو الشهر الذي اشتراه فيه فاذا مضت عليه أشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه مايسره من وجوده سوى بيعه . فاما الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون زادت قيمته وكثرت منافعه . أو ليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية وآداب الناس زينة لك بين اخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر . اليس تعليم أهلك وذويك شيئاً من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة من كتب الطب يكسبك عند الله أجراً ويؤمنك من مضار كثيرة تتطرق اليهم لجهلهم بها . فان قلت أنه ليس عندنا كتب في العربية تصلح للنساء . قلت هب ماقلته حقاً ولكن اليس عند الافرنج كتب مختصة بالنساء والاولاد يؤلفها الرجال الفاضلون المهذبون . فلم تشتري من الافرنج الخز والمتاع ولا تشتري منهم العلم والحكمة والآداب . ثم انك مهما بالغت في أن تبرقع زوجتك عن رؤية الدنيا فلن تستطيع أن تخفيها عن قلبها . فان المرأة حيثما كانت وكيفما كانت هى بنت الدنيا وأمها وأختها وضرتها . لاتقل لى أن المرأة اذا كانت شريرة لايصلحها الكتاب بل يزيدها شرة . واذا كانت صالحة فما بها من حاجة اليه فاني أقول أن المرأة كانت أولا بنتاً قبل ان صارت امرأة . وان الرجل كان من قبل ولداً . ولا ينكر أحد أن التعليم على صغر . كالنقر في الحجر . وانك اذا ربيت ولدك في العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون على ماربيتهم عليه . وتكون قد أديت ما فرضه الله عليك من تأديبهم . فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رخي مطمئن . فلم يبق لك الا أن تقول

أن أبي لم يعلمني وكذا جدي لم يعلم أبي وأبي بهما أقتدي . فاقول لك أن الدنيا في عهد المرحومين جدك وأبيك لم تكن كما هي الآن . اذ لم يكن في عصرهما سفن النار ودروب الحديد التي تقرب البعيد . وتجدد العهيد . وتصل المقطوع . وتبذل الممنوع . ولم يكن يلزم الانسان في ذلك الوقت أن يتعلم لغات كثيرة . فكان كل من يقول خوش كلدي صفا كلدي يقال فيه أنه يصلح لأن يكون ترجماناً في باب همايون . وكل من كان يكتب خطا دون خطي هذا الذي سودت به هذا الكتاب . لا الذي تقراه الآن فاني بري ء من هذه الحروف . كان يقال عنه أنه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشيء ديوان . فاما الآن فهيهات . هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس . وبعضهم يقول الى أرض لا ينبت فيها القمح ولا البقول . ولا يوجد فيها من المأكول الا اللحم والقلقاس . وبعضهم يقول أني أخاف عليك أن تفقد فيها رئتك لعدم الهواء . وبعضهم يقول امعاك لعدم الاكل . وبعضهم صدرك أو عضواً آخر غيره . فلما سار اليها وجد الشمس شمساً والهواء هواء . والماء ماء والرجال رجال والنساء نساء . والديار ماهولة والمدن معمورة . والارض محروثة أريضة . كثيرة الصوى والاعلام . خضلة الغياض والربض والاجام . ناضرة المروج . زاهية الحقول . غضة البقول . فلو أنه سمع لاولئك الناس لفاته رؤية ذلك أجمع . فان خشيت أن تفوتك هناك لذة الاركيلة ولذة تكبيس الرجلين قبل الرقاد . فاعلم أن ماترى هناك من العجائب ينسيك هذا النعيم . ويلهيك عما الفته في ممالك الكريم . كيف ترضى لنفسك أن تفارق هذه الدنيا ولم ترها وأنت قادر على ذلك ، وقد قال أبو الطيب المتنبي

ولم أر في عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمام

ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تتشوق الى علم ما يفكر فيه

غيرك . فلعل تحت قبعته أفكارا ومعانى لم تخطر بما تحت طربوشك . بحيث انك اذا استوعبتها تود لوانك عاصرت صاحبها وتشرفت بمعرفته وصنعت له مادبة فاخرة زينتها بصحاف الرز والبرغل . وكيف تبلغ من عمرك ثلاثين سنة ولم تؤلف شيأً يفيد اهل بلادك . فما ارى بين يديك الادفاتر بيع وشراء وفناديق دخل وخرج . ورسائل فاسدة المعانى ركيكة الالفاظ تنظر فيها فى كل صباح ومساء . فاما اذا قصدت السفر لمجرد التفاخر فقط بأن تقول مثلا فى محلس زارك فيه اصحابك الكرماء . واقرانك العظماء . قد رأيت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة الواسعة و ديارها الرحيبة ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها المطهمة ونساها الرائعة وعساكرها الجرارة . واكلت فيها فى اليوم الاول كذا وشربت فى اليوم الثاني كذا . ثم ذهبنا بعدذلك الى بعض الملاهي ثم الى احدى الملهيات . وبت معها على فراش وطيء . وكان قبالة السرير مرآة كبيرة فى طول الفراش وعرضه فكنت ارى نفسى فيها كما كنت فى الفراش . ثم قمت في الصباح وجاءتنا خادمة صبيحة بصبوح أوفطور . ثم عدت الى محلي فوجدت فيه فلانا ينتظرني وكان ذلك نحو الساعة الحادية عشرة اي قبل الظهر بساعة . فتوجهنا معاً الى البستان المسمي بالبستان السلطانى . وبينما نحن نمشي فيه وننظر الى الشجر الباسقة والزهور المدبجة اذا بالفتاة التي بت عندها تماشي رجلا يغازلها . ولما رأتني تبسمت وسلمت علي . وكان سلامها لم يسؤ الرجل فانه نزع لى قبعته فعجبت جداً من عدم غيرته اذلو كانت الفتاة عندي لحجبتها عن النور . وذلك كله يسمى في العربية هذراً وهراء وهفتا وهرجا وهلجا وسمطا وهيشا ووتغا وخطلا واخلاء ونخي وطفانين وهذيانا وثرثرة وفرفرة وحذرمة وهبرمة وهثرمة وخزربة وخطلبة وغيذرة وشمرجة ونفرجة وهمرجة ونغنغة وفقفقة ولملمة ووقوقة وهتمنة وفي المتعارف عند العامة فشارا وعلكا . اذلا فائدة فيه لاحد

من الناس . بخلاف ما اذا قلت لهم ان الفيساني من الرجال هناك اذا حضر مجلساً فيه نساء لا يغمز احداهن بعينه ولا يتبظرم ولا يبتهر (١) . ولا يقول لها انه يزور النساء المحصنات بعلم بعولتهن وبغير علمهم ويأكل عندهن ويشرب . ثم يخلو بهن في مضاجعهن ويرجع الى منزله مسروراً . وكاي من مرة وضع يده في جيبه فوجد فيه كيساً ملآن من الدنانير اوكاغد حوالة على بعض الصيارفة . وانه اذا مر في الاسواق تتهافت على رؤيته البنات من الرواشن والشبابيك والكوى والسماء والاجلاء . فمنهن من تشير اليه بيدها أو برأسها . ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها . ومنهن من ترميه بوردة . واخرى بباقة من المنثور او برقعة فيها شعر . او انه يقول بحضرتهن قد انحلت تكتي اوحكني رفغي لكون حشو سراويلي غليظا . اويحك استه اويرطل عياره . او يتمطى ويتمتى ويتمطط ويتمدد ويتمطل ويتمتأ ويتمتت ويتمأي ويتنطط ويتمعط ويتمغط ويتبسط ويتبأط . بل انما يكلمهن متأدباً محتشما غاض الطرف خافض الصوت . ويسأل كبيرتهن عما طالعت يومها ذلك من الأخبار والحكايات والنوادر الادبية ، وانه شرع في تأليف كتاب مفيد يشتمل على ذكر آثار الاقدمين واخبارهم ، ثم يلقي على صغيرتهن احجية أدبية ليلهيها بها وبمثل ذلك يدخل مكرماً ويخرج محموداً ، وبخلاف ما اذا قلت لهم أيضاً أن التاجر المثرى هناك لايتختم بخواتم الماس والزمرد ، ولا يتحلى بسلاسل الذهب ، ولا يقتني النادر من الاثاث والماعون والفرش . بل انما ينفق أمواله في سبيل البر واغاثة الملهوفين وامداد الارامل واليتامى ، وفي انشاء المدارس والمستشفيات ، وفي تصليح الطرق وتحسين المدينة وازالة الاوساخ والعفونات منها ، وفي أن يربي ولده بالادب والعلم

---

(١) نبظرم اذا كان أحمق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به في وجوه الناس وابتهر ادعى كذباً وقال فجرت ولم يفجر ،

والفضائل ، فترى منهم من سنه أثنتا عشرة سنة يكلمك بما يكلمك به من سنه منا أثنتا عشرة سنة بعد العشرين ، وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فهلت أن لكل انسان عندهم ممن لا يعد من الاغنياء والفقراء خزانة كتب نفيسة فى كل فن وعلم ، وما من بيت الا وفيه اضباره من صحف . وان الرجل منهم أخبر بالبلاد الاجنبية من أهلها . وان اكثر فلاحيهم يقراون ويكتبون ويطالعون الوقائع اليومية ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين الرجل وامرأته . وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة عشر مليوناً في العالم . وما يدفع عليها لخزنة الدولة على طبع اجازتها يبلغ أكثر من خمسين الف ليرة . وانها لو عربت نسخة واحدة منها لجاءت أكثر من مائتي صفحه وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحا على المائدة مع زوجته واولاده يقبل كلا منهم ويسألهم عن صحتهم . ويفيدهم بعض نصائح وتنبيهات تكون لهم اماماً في ذلك اليوم . وانهم يكلمونه وهم مبتهجون فرحون ويرون حضوره فيهم سلواناً . وانهم لايخالفون له أمراً ولا يستثقلون منه تكليفاً . وهم مع ذلك يدلون عليه بالنبوة ويهابونه للابوة . فهذا وأمثاله اصلحك الله ينبغي أن تشنف به مسامع اصحابك الكرام . عسى أن ينشطوا الى انشاء مدرسة أو ترجمة كتاب أو لارسال ولدهم الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحمودة والمناقب الكريمة . واياك ياسيدي من أن تميل قبل هذا كله الى أن تأخذ عن بعضهم الخصال الذميمة كالطيش والنزق والبخل والفسق والكبر ومد الرجلين في وجه جليسك .

فقد ذكرت لك آنفا ان البلاد التي تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل أيضا . وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب . غير انه ينبغي لكل منا أن لا يزال يجد ويسعى في طريق الكمال وفي تهذيب أخلاقه وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة . وكما ان لذة الحواس

لا يشعر بها الانسان الا في مقدم جسمه دون مؤخره كذلك ينبغي لكل ذي جسم من الحيوان الناطق أن يعتمد على التقدم في المعارف والدراية . والمحامد الى الغاية . وكنت أود لو أن أحداً من أهل بلادنا نعل فضيلة أو مأثرة عن هؤلاء الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار والروايات ووددي لو نستحيل أصناف الماس والزمرد والياقوت والدهنج والشمع والدر والعقيان والكهرباء والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها معدودة من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع .

الفصل الثاني

في وداع

لما حان سفر الفارياق أخذ يودع زوجته بعد أوعى الفاموس والاشموني في صندوقه ويقول اذكري يا زوجتي انا عشنا معا برهة طويلة من الدهر قالت ما أذكر الا هذا . قال فهلت أذكر ناكر أم شاكر . قالت نصف من هذا ونصف من داك . قلت يرجعنا النحت الى الاول قالت أو يرجع الاول الى النحت . قلت أي أول أضمرت . قالت ما لك ولتأويل المضمر . قلت حسبي أن تبيني لي حقيقة ذلك . قالت اذا فكرت في انك لي ولغيري كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين . قلت انك كنت نهيتني عن المعاملة بالقسم وها أنت الآن تأتينه . قالت بل هو يأتيني . قلت أما في فيك لفظة لا . قالت ان لفظها كانت نعم . قلت ان لا من المرأة الى . قالت وان نعم نعم . قلت أجعلت هذا دأبك . قالت ودأبت في هذا الجعل . قلت هذا لا يليق بذات ولد . قالت ولا تلد من لا تليق . قلت من مادة واحدة .

قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة أحوجت الى اختلاف الصور . قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الأشكال . قالت لااشكال في كيفية الاشكال فان واحداً منها يغني عن الجميع . وانما الكلام على ترسم الكية . قلت ما الحد . قالت في الجد الهزل وفي الهزل الجد . قلت ارأيتك لواقمت نائباً عني في ذاك مدة غيابي . فضحكت وقالت على ما أحب انا ام على ما تحب انت . قلت بل على ما تحبين انت . قالت لا يرضى الرجل بذلك الااذا كان غير ذي غيرة ولا يكون غير ذي غيرة الااذا كره امرأته وكلف بغيرها فانت اذاً كلف بغيري . قلت ما انا بالكلف ولا بالطرف . لكن الرجل اذا كان شديد الحب لامرأته ود لوانه يرضيها في كل شيء . على ان الغيرة لا تكون دائماً عن المحبة كما نصوا عليه . فان بعض النساء يغرن على ازواجهن عن كراهية لهم واعنات . مثال ذلك اذا منعت المرأة زوجها عن الخروج الى بستان أوملهى أو حمام مع عدة رجال متزوجين . وهي تعلم انهم في هذه المواضع لا يمكنهم الاجتماع بالنساء فهي انما تفعل ذلك تحكما عليه ومنعاً لهمن ذكر النساء مع أصحابه والتلذذ بما لا يضيرها . وكذا اذا حظرته عن النظر من شباكه الى شارع أو روضة حيث يكثر تردد النساء . وكذا الحكم على الرجل لوفعل ذلك بامرأته ، فهذا عند الناس يعد غيرة لكنه في الواقع بغضة . أو ربما كان آخر الغيرة اول البغض كما ان افراط الضحك هو اول البكاء . وكيف كان فان الرجل لايمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح لها التلذذ بما شاءت و بمن أحبت . قالت ايفعل ذلك احد فى الدنيا . قلت نعم يفعله كثير بلاد فى غير بعيدة عنا . قالت بابي هم و لكن ما شان النساء ايفعلن ذلك أيضاً لأزواجهن . قلت لا بد حتى يعتدل الميزان . قالت اما أنا فلاارضى بهذا الاعتدال فالميل عندي احسن ، قلت وكذاهوعندي فى بعض الاحوال ،

قالت ولاحوال البعض ، قلت فلنعد الى السفر اني اسافر اليوم ، قالت نعم الى بلاد فيها البيض الحسان ، قلت اتعنيهم أم تعنيهن ، قالت اعنى نوعا ويعنيني آخر ، قلت ولم يعنيك وانتن المطلوبات فى كل حال ولذلك يقال للمرأة غانية ، قال فى القاموس الغانية للمرأة التى تطلب ولا تطلب — قالت ما احسن كلامــه هنا لولا انه قال قبل ذلك العواني النساء لأنهن يظلمن فلا ينتصرن . غير ان هذه النقطة شفعت في تلك . قلت حبكن التنقيط دأب قديم . قالت مثل دأب الرجال فى التحريف . وكيف كان فان مطلوبيتنا هي اصل العناء . فان المطلوبة لا تكون الا ذات العرض والاحصان . فويل لها ان خانت محصنها . وويل لها ان حرمت طالبها وباتت تلك الليلة مشغولة البال بحرمانه وخيبته وبكونها صارت سبباً في ارقه وجزعه وحسرته . والطالبة تعود غير مطلوبة . قلت ليست اخلاق الرجال في ذلك سواء . قالت انما اعني الرجال الذين يطلبون ويكلفون بمن يطلبونه لا أولئك الطرفين الشنقين المسافحين الذين دابهم التذوق والتنقل من مطلوب الى آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سواهم . ولكن هيهات هل في الرجال من يتيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم . لعمري لوكانت النساء تطلب الرجال طلب الرجال للنساء لما رأيت فيهم غير مفتون . قلت هل فى النساء من تتيم على الوداد ولا تجنح عنه كل يوم الف مرة . هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفاء وعلى النساء بالخديعة . قالت من كتب هذه الكتب أليس الرجال هم الذين لفقوها . قلت لكن من بعد التحرى والتجربة . قالت من يات الحكم وحده يفلج . قلت بل اوردوا على ذلك شواهد ركنهم بما ورد عن سيدنا سليمان برهاناً ودليلا. فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحاً فاما بين النساء فلم اجد صالحة . قالت ان سيدنا سليمان وان يكن قد اوتي من الحكمة مالم يؤته غيره غيران افراطه فى النساء شوش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة ،

الا ترى ان بائع المسك لطول ائتلا فه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة ، واما ايراد الادلة من الرجال على النساء دون ايراد ادلة النساء على الرجال فمحض ظلم و بطر . قلت نعم كان الاولى مناصفة هذا الايراد ولكن سبحان الله انتن تتهمن الرجال في كل شيء ثم تتهافتن عليهم . قالت لولا اضطرار الاحوال . لما شغلن بذلك الابوال . قال فضحكت وقلت أي جمع هذا . قالت قسته على غيره . قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه . قالت لا فرق . قلت بل كله فرق فان اللغة لا تؤخذ بالقياس . ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر . ولا بين تذكير حقيقة التأنيث وتأنيث ما هو غير مقابل بمثله . قالت وهذا ايضاً من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون يأتون امراً مستقيما . قلت قد رجعت الى لومهم . قالت والله لقد حرت في الرجال . قلت والله لقد حرت في النساء . ولكن فلنعمد الى الوداع اني اعاهدك على انلا اخونك . قالت بل تخونني على عهد . قلت ما يحملك على سوء الظن بي . قالت اني ارى الرجال اذا كانوا في بلاد لم يعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش . الا ترى الى هؤلاء الغرباء الذين يأتون الى هذه الجزيرة كيف يتهتكون في العهر والفجور . فأول ما يضع أحدهم قدمه على الارض يسال عن الماخور . ولا سيما هؤلاء الشاميين ولا سيما النصارى منهم ولا سيما الذين الموا بعلم شيء من احوال الافرنج ولغاتهم فانهم يخرجون من المراكب كالزنابير اللسمة من هنا وهناك . قلت لعلهم كانوا في بلادهم كذلك . قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك . قلت أو كانوا فاسدين بالطبع . قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فاول ما يستنشقون رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم . ولذلك تراهم ابدا يتلمظون بذكر بلاد الافرنج وعاداتهم واحوالهم . مع انك اذا سألت احدا منهم عن طعامهم قال لا يستطيبه . أو عن الحانهم قال لا تطربه . أو عن كرمائهم

قال لم تادبه . أوعن حماماتهم قال لم تعجبه . أوعن هوائهم قال لم يلائمه .
أوعن مائهم قال لم يسغ له . فيكون لهجهم بذكر بلادهم وتنويههم بمحاسنها
انما سببه الفحش . وانت من يضمن لي طبعك عن الفساد وقد اسمعك
كل يوم تهيئم بذكر الرجراجة والرضراضة والبضباضة والفضفاضة والربحلة
والرعبوب والعطبول . وهي لعمري الفاظ تسيل لعاب الحصور وتشهي
الناسك . قلت ان هو الا كلام . قالت اول الحرب كلام . قلت أرين
اعدى عن هـذه الصنعة الشائقة . والحرفة العائقة . قالت ان لم تتصور
ذاتا بعينها عند الوصف فلا بأس . قلت ان لم اتصور ذاتا لم يخطر ببالي
شيء . قالت اذن هو حرام . قلت ما كفارته . قالت تصورك اياي لا
غير . قلت ولكن انت خالية عن بعض الصفات التي لا بد من ذكرها .
قالت اذا كان الرجل يحب امرأته رأى فيها الحسن كله ونظر من كل شعرة
منها امرأة جميلة . كما انه اذا احب امرأة غيرها احب لاجلها بلادها وهواءها
وماءها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم . قلت أوكذلك المرأة اذا احبت
رجلا . قالت هو في النساء اكثر لانهن أوفر حبا ووجداً . قلت ما سبب
ذلك . قالت لان الرجال يتشاغلون بما ليس يعنيهم . فترى واحـدا منهم
يطلب الولاية وآخر السيادة وآخر البحث في الاديان وفي ما غمض من
السفليات والعلويات . والنساء لا شيء يشغلهن من ذلك . قلت ليتك
تشاغلت مثلهم . قالت ليت لي قلبين في شغلنا . قلت افتنظرين في
الحسن كله كما زعمت . قالت أحسن فيك النظر . قلت فلنعد الى الوداع
لا بل فلنعد الى التشاغل . فاني اريد ان انهي هذه المسألة قبل ان افصل
من هنا والا فتكون لي شاغل الطريق وربما افسدت شغلي عند القوم
فارجع باللوم عليك وعلى سائر النساء .

قالت اعلم ان المرأة تعلم من نفسها انها زينة هذا الكون . كما ان جميع
ما فيه انما خلق لزينتها لا لزينة الرجل . لا لكونه مستغنياً عنها بذاته

او لكونها هي مفتقرة اليها لتحلو بها في عين الناظر واذن السامع . بل لعدم جدارة الرجل بها . فان الزينة نوع من الاخذ والتلقي والاستيعاب والزيادة وهي احوال انسب بالمرأة منها بالرجل . وبناء على هذا أي على أن جميع ما في الكون خلق لها بعضه بالتخصيص وبعضه بالتفضيل والايثار . كان من بعض اعتقادها ان نوع الرجل أيضاً مخلوق لها . لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من وجهين . احدهما انها لا تطيق ذلك لان سرية ذلك اليهودي (على ماذكر في الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطق اهل قرية واحدة (هي جبعة) على قلتهم ليلة واحدة . بل ما تت في الصباح وسيدها يحسبها نا ئمة . وهذه الحكاية ذكرت ردعاً للنساء . والثاني انه اذا ثبت لامرأة حق في حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقي . ولكن بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتتعرف ما عندهم . فتتلهى من واحد بتمليقة ومن آخر باطراءة ومن غيره بمغازلة ومن آخر بمطارحة وما اشبه ذلك . مما لا يمنعها من محبة زوجها والكلف به . لا بل — قال فقلت اتمى هذه اللا بلية فاني اراها ترجمة لداهية من دواهي النساء وعنواناً على مكيدة من مكايدهن. فضحكت وقالت ربما دلك على الرأي الظنون . غير اني أخشى من أن تأخذك لبيانها شفشفة ورعدة فتتأخر عن السفر . أو أن تظن ان هذا دأبي معك . معاذ الله . اني لم أخنك بضمد ولا بغيره . وانما علمت ما علمت من النساء لأن النساء لا يكتم بعضهن عن بعض شيئاً من أحوال العشق وأحوال الرجال . قلت أوجزي فقد قلقت وفرقت وعرقت . قالت اعلم ان بعض النساء لا يتحرجن من وصال غير بعولتهن لسببين . الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم . فانهم يعودونهن أولا على ما يعجزون عن ادائه آخراً . ولا يخفى ان من النساء المدقم وهي التي تلتهم كل شيء . ومنهن الشفيرة وهي القانعة من البعال بأيسره . ومنهن الضامد وهي التي

تتخذ خليلين . ومنهن المطماع وهي التي تطمع ولا تمكن . ومنهن المريم وهي التي تحب حديث الرجال و لا تفجر وهو خلمي . قال فقلت اللهم آمين . قالت واللاعة وهي التي تغازلك ولا تمكنك . والسبب الثاني لاستطلاع أحوال الرجال واختبار الابتع منهم وغير الابتع لمجرد العلم كيلا يفوتهن حال من أحوالهم . ومنهن من تعتقد أن زوجها يخونها عند كل فرصة تسنح له . لما تقرر في عقول النساء ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهن ومباغمتهن . فهي على هذا لا تجد سبيلا للشطح الا وتزف فيه . اعتقادا انها أخذت بثارها جزما أي قبل وقته الموقوت . و مع ذلك فلا يخلن عن محبة بعولتهن بل ربما كان ذلك الشطح أدعى لزيادة حبهن لهم . قلت لامتعني الله بحب ناشيء عن مدقمية ولا ضمد . ولكن كيف يكون هذا التخليط أدعى الى زيادة الحب والمرأة اذا ذاقت البكبك والعجارم و القارح والكباس لم تقتنع بعد ذلك بزوجها حالة كونه لا يحول عن الصفة التي فطر عليها . وكذا الرجل أيضاً اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعضوض والا كبس فانه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة . فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمرأة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها في أفراد قليلة من النساء . فان معظمهن على خلاف ذلك . فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفته بزوجته وضراوته عليها وحالة كون مس أحدهما الآخر لا يحدث في جسم الماس والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخية . يمكن له معها المماتنة والامعان والوقوف . بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته أو لفرط مراوحة المرأة اياه على العمل . أو لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته دائما الصفتان المذكورتان فاللذة معه جلها ناشيء عن التصور . أي عن تصور كونه غير زوجها . كما ان نغصها مع زوجها جله ناشيء عن تصور كونه غير غريب . والا فالواقع ان اللذة في الحلال أقوى . غير ان التصور له موقع يعرب من

الفعل . وبيانه لو اعتقد رجل مثلا ان امرأة غير امرأته تبيت معه ثم باتت معه امرأته بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عليه السلام. لوجد امرأته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التي تصورها في غيرها . وكذلك شأن المرأة . فبناء على ما تقدم من اعتقاد المرأة بأن جميع ما في الكون من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما . غير انه اذا كان لها خاص قريبا منها تناولت ذلك الخاص متناول العام . حتى انه كثيرا ما يخطىء فكرها واحداً منهم بخصوصه . فيتجاذبه اثنان أو ثلاثة حتى تذهل عن الشاغل والاشغل . وهو في الواقع تحوف من اللـذة كمن يريد أن يشرب من ثلاثة قلل يضعها على فيه في وقت واحد . قلت كلامك هذا ينظر الى قول الشاعر

اذا بتُّ مشغول الفؤاد بما ترى ... من الغيد عيني والجمال مفرق
اركب في وهمي محيا يشوقني ... على قامة أولى به ثم أشبق

ولكن قد نهيتني آنفاً في التغزل عن تصور ذات بخصوصها وقلت انه حرام فهلا قلت بحرمية هذا أيضاً . قالت انما حرمية ذاك لكونه ذاهبا في الكلام سدى وسرفا . على ان الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى. فاما في الفعل من قبل النساء فانه ينشأ عنه صباحة الاولاد . ولذلك ترى أنف بعضهم كانف زيد وفمه كفم عمرو وعينيه كعيني بكر . وهو أيضاً جواب لمن قال ان في رؤية الرجل نساء كثيرة مصلحة تعود على امرأته لاكتسابه منهن التمشير عنـد الاياب . بخلاف خروج المرأة فان التمشير ملازم لها . فاما هؤلاء الحمقى الزاعمون ان تصور الرجل مؤثر في توزيع الولد فيلزمهم أن لا يروا امرأة غير نسائهم . لئلا تأتي ذريتهم كلها اناثاً أو في الاقل خناثا . وذلك لمناعفة التصورين من قبل الاب والام . ألا وان امرأة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيل لجديرة بان تكون قبـلة كل مطرىء . وأن لا يفكر زوجها الا فيها . قلت مقتضى كلامك ان النساء

المقصورات عن رؤية العموم لا لذة لهن مع الخصوص . قالت أما بالنسبة الى ناظرة العموم فلا . وأما بالنسبة الى العدم فنعم . فان الماء مهما يكن سخنا يطفيء النار . قلت وبالعكس أي ان النار مهما تكن باردة تسخن الماء . قالت يصبح العكس لكن الطرد أولى . قلت الى كم قسم تقسم اللذة . قالت الى خمسة أقسام . الاول تصورها قبل الوقوع . الثاني ذكرها قبله . الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين . الرابع تصورها بعد الوقوع . الخامس ذكرها بعده . وكون لذة التصور قبل الوقوع أقوى أو بعده أقوال . فذهب بعض الى ان الاولى اقوى . لأن الفعل لما كان غير حاصل كان الفكر فيه أجول وأمعن فلا يقف على حد وزعم آخرون ان الحصول يهيء للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها في قياس ما يترقب من الاعادة والتكرير . وكما حصل الخلاف في وقتي التصور حصل أيضا فيه وفي الذكر . والعبرة بحدة التصور وذرب اللسان . فاما أصلح الازمنة لها فالصيف عند النساء والشتاء عند الرجال . فاما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم أهل التثليث . قلت ومنهم المعتزلة والمعطلون . قالت هؤلاء لاخير فيهم . وما هم جديرون بأن يعدوا مع الناس . قلت ما شأن من يتزوج اثنتين وثلاثا . قالت هو أمر مغاير للطبع . قلت كيف وقد كانت سنة الانبياء . قالت هل نحن نبحث الآن في الاديان أو نتكلم في الطبيعيات . ألا ترى ان الذكور من الحيوانات التي قدر لها أن تعيش مع اناث كثيرة قدر لها أيضا القدرة على كفايتهن كالديك والعصفور مثلا . وغيرها انما يعيش مع واحدة ويكتفي بها . ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلاث لم يكن أهلا لأن يحوزهن . وبعد فلاي سبب حظرت المرأة عن أن تتزوج ثلاثة رجال . قلت ان في كثرة النساء للرجل الواحد كثرة النسل التي يتوقف عليها عمران الدنيا . وذلك مفقود في كثرة الرجال للمرأة الواحدة . على اني قرأت في بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل

مستعملة عند بعض الهمج . قالت مه مه أهؤلاء هم الهمج وأنتم المتمدنون الكيسون . فاما دعواك بتكاثر النسل في كثرة النساء فهل سكان الارض الآن قليـلون . ألم تضق بهم البسيطة وتثقل بهم بطونها و يعرق اديمها . فما الموجب الى هذا الاكثار سوى البطر والنهم قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعد الى الوداع . اني مسافر عنك اليوم وتارك عنـدك فؤادي حتى اذازارك أحد أحس به .قالت كيف تحس و ماؤادك معك . والناس يخصون القلب بالحس والشعور . والحزن والسرور . قلت ان حسي برأسي قالت من أي جهة . قلت من الجانب الاعلى من الرأس . قالت نعم الشيء الى جنسه أميل . ولكن أين تتركه . قلت على العتبة كيلا يخطوها أحد . قالت فاذا طفر فوقها . قلت في الفراش . قالت فان يكن في غيره . قلت فيك . قالت ذلك أحسن مقراً . اني اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من أيام السطح الى الآن . ولـكن حين أحس وأشعر من هنا بانك تبدلت السطح بالشطح أقابلك بفعل مثل فعلك والبادي أظلم . قلت انك كثيرة الوساوس شديدة الغيرة . فلعل شعورك يكون عن وسواس . قالت بل الاولى ان الوسواس يكون عن الشعور . قلت دار ما بيننا الدور قالت حاول اذاً فكه . قلت هو فرض فلا بد من قضائه . قالت وقضاء لابد من فرضه . قلت أيعقد به العهد . قالت اذا عهد به العقد . قلت لا أرضى بهذه الصفة . قالت ومن لي بوصف هذا الرضى . قلت هل كان العقد في الشرط . قالت وهل كان الشرط بلا عقد . قلت مثلنا مثل ذلك المجنون . قالت لولا الجنون ما جمعنا الزواج . قلت أكثر الناس على هذا . قالت أكثر الناس مجانين . فقلت الحمد لله رب العالمين .

الفصل الثالث

في استرحامات شتى

من كان من طبعه المين والافتراء أو من كان جاهلا بالنساء ارتاب في هذا الوداع ونسبه الى ترقيش الشعراء ومبالغاتهم . ولكن اي منكر على من جعلت دابها وديدنها وشنشنتها ونشنشتها ومهوأنها وهذيرباها وأهجورتها وفعلتها ومطرتها المحاضرة والمفاكهة والمساقطة والمطارحة والمحارزة والمجارزة وسرعة الجواب . بل كثيراً ما كان يجتمع بالفارياق اثنان أو ثلاثة من أصحابه فاذا خاضوا في حديث انتدبت لهم وجازتهم فيه وعارضتهم وما تنتهم . فكل فصيح ان تعارضه لم يبن وكل بليغ ان تساجله يرتك . وقد علم بالتجربة ان جواب المرأه اسرع من جواب الرجل . وان المشتغل بالعلم يكون ابطأ جواباً من غير المشتغل به . لأنه لا يقدم على ذلك الا بعد الفكر والروية . على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المرأة المبينة من غير قرأة البيان هي دون الاصل بمراحل . فاني لم اقدر في نقل الكلام على نقل الحركات التي كانت تبدو منها . وعلى ان اصور للمطالع عيوناً تغازل وحواجب تشير . وانفا يرمع . وشفاها تزمع . وخدوداً تتورد . وجيدا يلوى . ويدا تومىء . ونفسا يربو ويخفت . وصوتا يخفض وينبر . وزد عليه مسح الماق اشارة الى الاستعبار . وتوالي الزفرات رمزا الى الحزن والانبهار . والتبلد ايذانا بالاسف . والتنقل من جنب الى جنب اعلانا بالجزع واللهف . وغير ذلك مما يزيد الكلام قوة وبلاغة . وهذه ثاني مرة ندمتني على جهلي صناعة التصوير . والمرة الأولى كانت في الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكرى الحسان على

اختلاف جمالهن . ويمكن اني اندم مرة ثالثة . وهنا ينبغي ان اقف على قدمي منتصباً واستميح الأجازة من ذوي الأمر والنهي لان اقول . انه قد جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليز بان لا يدعوا احـدا يدخل بلادهم أو يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم أو لوكلائهم المعروفين بالقناصل قدراً من الدراهم بحسب خصب ممالكهم ومحلها . وذلك يدعوى ان المسافرين اذا نزل بلادهم ساعة أوساعتين فلا بد وان يرى قصورهم الفسيحة وعساكرهم المنصورة أوخيلهم النجيبة ومراكبهم الفاخرة. فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهي . اذ ليس يدخلها احـد من دون غرامة . فان اعترض احد بقوله انا في الملهى نسمع اصوات المغنين والمغنيات وآلات الطرب . ونرى الأنوار المزدهرة والأشـكال المتنوعـة ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة . ونضحك حين يضحكن . ونطرب حين يرقصن . ونشغف حبا حين يغازلن . فاما في رؤية احدى مدنكم فانا لا نرى شيا من ذلك . بل انما ندخل لـكى يغبننا تجاركم . فتكون فائدتنا في الدخول بالنسبة الى فائدتهم في الدخل قليله . قالوا قـد يتفق وقت قدومكم بلادنا ان تكونون عساكرنا قد شرعت في العزف بآلات الطرب فهذا في مقابلة الطرب في الملهى . اما النساء فانا ناذن لكم في التمتع بكل من اعجبتكم فاجروا وراء من شئتم بحيث يكون النقد على الحافر . ومع ذلك فلا ينبغي أن تشبه مدائننا التي تشرفت بحضرتنا ببعض الملاهي ولا سيما ان هذه سنة قديمة قد مشت عليها اسلافنا طاب ثراهم . وتقادمت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكننا تغييرها . فان الملك اذا أمر بشيء صار ذلك الشيء سنة وحكما . ويشهد لذلك قول صاحب الزبور ان يد الرب على قلب الملك . بمعنى ان الملك لا يفكر في شيء الا ويد الله عاصمة له فيه . هكذا شرح هذه الاية العلماء الربانيون في بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب .

وبعد فان الملك اذا أخذ في تغيير العادات وتبديل السنن فربما أفضى ذلك الى تغييره . فيكون مثله كالديك الذي يبحث في الارض عن حبة قمح فيثير التراب على رأسه . وصغر ذلك تشبيها . فالاولى اذاً اقرار كل شيء في محله . ثم لا غرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنياً أوفقيراً . صالحاً باراً أو لصاً فاجراً . رجلا او امرأة . فكلهم ملتزمون باداء الغرامة وتحمل الغبن — ولكن ياسيدي ومولاي انا امرأة معسرة قد اضطررت الى المرور بمدينتك السعيدة . لان زوجي المسكين كان قد قدم الى بلادكم الملكية ليدبر مصلحة فقضى الله عليه تعالى بالوفاة . فتركت صبية لي في البيت يتضورون جوعا وجئت لأرى زوجي المويت حالة كونه لا يرائي ومع ذلك فاني أعدمن الحسان اللائي يحق لهن من أمثالك العناية والالطاف فكيف التزم بالغرامة فضلا عن نفقة السفر وفقد زوجي الذي كان لي سندا — ارجعي من حيث جئت فما هذا وقت الاسترحام . لان القواعد التي تقرر في دفاتر الملوك لاتقبل التبديل ولا التحريف ولا يستثنى منها شيء — وأنا أيضا يامولاي رجيل فقير قد رماني الدهر بصروفه لأمر شاءه الله . فوافيت بلادكم طمعاً فى تحصيلي وظيفة تقوم بأودي . وما أنا من ذوى التغاوي والفتن ولا من الباحثين في سياسات الملوك وايالاتهم . فقصارى منيتي تحصيل المعيشة . على اني أعرف شيئا لا يعرفه أهل بلادكم العامرة فربما كان مقامي فيها مفيدا لدولتكم السعيدة . ولو صدر الامر العالي بامتحاني واختباري فيما ادعيه لاكرمتم مثواي فضلا عن الرخصة لي في الدخول بغير غرامة — ياطائف ياعسس يازبنية ياجلواز ياشرطي ياعون ياذبي يامسحل يافارع ياقيلع ياتؤرور ياتؤرور ياتؤثور يا أترور يا ترتور أودع هذا السجن . ان هو الا جاسوس قدم يتجسس بلادنا . فتشوه عسى أن تجدوا معه أوراقا تكشف لنا عن خبره — وانا كذلك يامولاي وسيدي غليم مسيكين قد جئت لأنظر أبي اذ بلغني انه كان قادما من سفره فدخل بلادكم

فاصابه هواؤها الحميد بمرض شديدمنعه من الحركة . فلما علمت امي بمرضه وهي مريضة أيضا مما شملها من الحزن والكرب لطول غيابه بعثتني اليه لعلي أخدمه وأمرضه فيطيب خاطره برؤيتي ويخف ما به . فان رؤية الاب لابنه حال مرضه تقوم له مقام الدواء — ما نحن بمربي الاولاد ولا بلادنا مكتب لهم حتى يأتوا اليها ويخرجوا منها من دون غرامة . اذهب وكن رجلا باداتها على الفور — وأنا أيضا ياعتادي وملاذي . وثمالي ومعاذي . وملجأي وملتحدي . وسندي ومعتمدي . وركحي وركني . وعزي وأمني رجل من الشعراء الادباء كنت قد مدحت بعض امرائنا الكرام بقصيدة فاجازني عليها مئة دينار . فاشتريت بنصفها مؤونة لعيالي . ووفيت بربعها ما كنت استدنته لكسوتهم وبقي معي ربع . واذ سمعت بمحاسن مملكتكم الخصيبة البهية البهيجة وبما فيها من التحف والطرف التى لا توجد في بلادنا . رمت أن أسرح ناظري وانزه خاطري فى هذا النعيم أياما قليلة . عسى أن يخطر ببالي عند رؤيته معاني بديعة ما سبقني اليها احد فاصوغ منها بادىء بدء مديحا بليغا في جنابك الرفيع . ومقامك السنيع . وانشر الثناء عليك في جميع الاقطار . في الليل والنهار . واجيد وصف مكارمك في الاسفار — ما اكثر الشعراء الغاوين العاوين في بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم . اما ان تدفع الغرامة واما ان ترجع على عقبك واما ان نؤويك الى دار المجانين . ولكن هيهات ان تشرف مسامع المسترحم الحقير من سيده الجليل الخطير بمثل هذه الاجوبة السلبية . فان السلب من مقام الكبير منة . وانما الغالب ان يكون جوابه برغم الانف او بالفقد . او باللكم على الخرطوم . او بهتم سن . او ببقر بطن . او باطنان ساق . او بانقاض ظهر . ولهذا لما عزم الفارياق على السفر وكان ممن لا يستغني عن احد اعضائه التمس من خمسة قناصل ان يشرفوا جوازه بختومهم . فختم عليه كل من قنصل نابلي وليكورنه ومدينة اخرى في

مملكة البابا رقنصل جيوي وفرنسا . لان سفينة النار تمر على مراسي هذه المدن كلها وترسي فيها بعض ساعات . اما مدينة نابلي فهي مشهورة بكثرة ما فيها من العجلات والمراكب والحدائق والغياض . واما ليكورنه فبطيب هوائها وارتفاع بنائها وكذلك مدينة جينوى . قال وهي عنـدي أحسن منهما . وأحس ما يكون مدينة البابا اذ ليس عليها رونق الملك ولا الملكوت وما بها شيء يقر العين . فلما وصل الفارياق الى مرسيلية أخذ صندوقه الى ديوان المكس وأشير اليه أن يتبعه . ثم طلب منه المكاسون أن يفتحوه لينتشوه فظن انهم يريدون أن يفتشوا في كراريسه ليعلموا ما فيها فقال. أنا ما هجوت سلطانكم ولا مطرانكم فلم تفتشون فى كراريسي . فلم يفهمه أحد منهم وهو لم يفهم أحدا . فلما فرغوا أشاروا اليه ان اقفل صندوقك فثلج صدره ثم انبرى واحد منهم يمسح بيديه على جنبه فظن انه يتمسح به أي يتبرك لكونه وجد كراريسه بخط غريب . لكنه علم من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه ليعلموا هل كان مـدخراً شيئاً من التبغ والمسكر . ثم سافر من مرسيلية الى باريس ففتش أيضا هو وصندوقه فى ديوان مكسها فكأن مكاسي هذه المدينة كانوا يحسبون ان رفاقهم في تلك قد ناموا عن قيام الليل . فبال الشيطان في آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما في الصندوق . أو انهم يرتشون كسائر أصحاب الوظائف . فاقام فى باريس ثلاثة أيام فى دار سفارة الدولة العلية وفيها حظي بتقبيل أيدي الوزيرين المعظمين والمشيرين المفخمين رشيد باشا وسامي باشا . ثم سافر من باريس الى لندن وسيأتي الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين . ثم من لندن الى قرية فى بلاد الفلاحين وفيها ألقى العصا وعندها أقف انا أيضا .

الفصل الرابع

في شروط الرواية

لم يمض على الفارياق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التي قضاها فى تلك القرية . لان قرى بلاد الانكليزليس فيها من محل لهو واجتماع وانس وحظ البتة . وانما اللهو والحظ فى المدن الكبيرة . وفضلا عن ذلك فليس فى القرى شيء يباع للمأكول والمشروب سوى مالا احتفال به . ومن كان عنده دجاجة أو طرفة يبعث بها الى احدى المدن القريبة . فمن شاء ان ينقطع عن الدنيا او يترهب فعليه بها . اما النساء هناك ففيهن من تشفى من القمة بل تمنى بالقرم . الا ان الغريب محروم منهن . اذ كل ذات ظلف ملازمة لفحلها فليس من سائب مبهل الا العجائز . ثم بعد مضى شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشؤمة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر القسوسة وعلم الكلام . فان جل قسيسى الانكليز يمضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة . وفى هاتين المدينتين ايضاً سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم . ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور . فاكترى الفارياق فيها مسكنين فى دار كما هي العادة ومكث يترجم بقية الكتاب الذي مرت الاشارة اليه سابقا وكان فى تلك الدار جارية دعجاء كاعب وكذا سائر الوصائف غالبا . فكان الفاريق يراها كل ليلة تطلع الى غرفة أحد السكان ثم بعد هنيهة ليست بأطول من قولك عمت مساء يسمع لها نغمة ايقاعية وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل فى الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكترث بطلوعها ولا بنزولها . فاذا جاءت فى الصباح

لتصلح فراش الفارياق حملق فيها وحدق فلم يرفيها علامات تدل على انها
كانت هي صاحبة النغمة . فيظن أن ذلك كان وهما منه نشأ عن اللهج
بالايغاف . فاذا جاء الليل عادت النغمة وعاد اليقين . فاذا كان الصباح
عادت الحملقة وعاد التصاون وعاد الشك والحيرة وهلم جرا . حتى كاد ذلك
يشوش عقل الفارياق و يفسد عليه الترجمة التي طالما كان يخشى عليها الخلل
والفساد من قضية ما نسائية . وهنا ينبغي أن اقرفص واقول . أن هذه
المزية السنورية أي الاكل خفوة وان يكن وجودها ملحوظا فى النساء
على الاعم الا انها فى نساء الانكليز على الاخص . فان المتصفة منهن بما
اتصفت به السيدة المدقم فى فصل حدنبدي تتظاهر فى النهار بصفات الورع
والتقوى والنفورية والقذورية وتنظر الى تبعها نظر المتجاهل . وتوهم الناقد
انها متبتلة معتزلة للرجال . وربما حفظت احاديث دينية وروايات نسكية
تلقيها على الناس فيعظمونها و يعتقدون فيها الصلاح . واذا دخلت بيتها
وجدت على مائدتها التوراة والانجيل وكتبا اخرى فى العبادة والزهد .
وربما وسخت الظاهر من ورقها لتوهم انها كثيرة الدراسة لها . ولا يمكن
للرجل أن يذكر بين يديها اسم عضو من اعضائه . فتكون لذة هؤلاء على
مقتضى قاعدة الفارياقية غير تامة. وذلك لخلوها عن ركن الذكر .

وعنها أيضاً ان ذكر اللذة لا بد من ان يكون مطابقاً للواقع . فان
كان الوقوع مثلا من ذي مقام ليلا ذكرت فيه لدات مقام . وان يكن من
دون صباحا ذكرت فيه لدون من النساء . وقس على ذلك سائر التباين
فى الاوقات والاشخاص . اللهم الا ان خشي فوات الفرصة . أي اذا
حصلت مثلا ليلا ولم يمكن ذكرها فى الليل فيصح الذكر فى الفجر أو
الصباح . أو ان حصلت من ذي مقام ولم يتهيأ وجود نظيره فيصح ذكرها
لدون ولا تفسد لدت الذكر بذلك . فاما على فرض كونها لم تجد احدا من
هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها . وذلك بأن تدخل رأسها فى زير

فارغ أو فى بئر او جب أو قبوة و نحو ذلك مما له صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مر لها . حتى اذا رجع الصدى قام لها مقام النديم الكليم. فاما اذا بمى الذكر فى صدرها فيخشى عليها من الصدارة والذباح .

ويشترط أيضاً عندها ان تكون الرواية مطابقة للفعل . فللنبرة نبرة . وللهمز همزة . وللحركة حركة . وللسكون سكون . وللمد مد . وللهذ هذ . وللترخيم ترخيم . وللترسل ترسل . وان يبلغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية بلغتنا هذه الشريفة . وان يكون فى العينين مغازلة . وفى اللعلم فيضان . وفى اللسان بلة . وفى اليدين تلقح . وبما تقرر علمت من أن هذه الخلة المذكورة الموجودة فى نساء الانكليز اخلال بشروط اللذة . ويمكن أن يقال ان لذة التصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام لذتين . او انهن يضعن رؤسهن فى خابية ونحوها .

وعن الفارياق ان الجمال فى النساء على اختلاف انواعه له تدلق ونداء ودعاء واشارة ورمز . فمنه مايمول لناظره لست ابالى بالمراود . ومنه مايقول لا اغتنم الآن الفرصة ـ للتاخير آفات ـ لن تراني من الكثير ملولا ـ لا يغرنك تشفون ـ هيت لك ـ من لي به الساعة ـ ما أرى كفايتي عند أحد ـ ن دواء الشق ان تحوصه ـ أين أين المشبع ـ أين أين الغر ـ أين أين نى أذلغ لا ى يذل الصعب ـ بعد جهدك لا تلام ـ لكل مجتهد نصيب ـ ن أطعم أشبع من ـ من ذاق عرف ـ من مس هرف ـ من سبق فقد .ج ـ العود أحمد ـ من عد عاد ـ من وصل وصل ـ ومنه ما يشير أن ستمما، الخيلة تلطف في الزيارة ـ كن من الجار على حذر ـ من تأنى ل ها تمنى ـ بكر بكور الغراب وغير ذلك ـ فجمال نساء الانكليز هو مما نوانه أين ابن الغز ـ اين أين المشبع ـ لدي يذل الصعب ـ فانك ترى المرأة نهن تمشي وهي صفوح منزة سامدة مساندة شاردة معبدة شامرة نافرة

جافلة جامزة آبزة نافزة ناقرة معتزة سار بة عاسجة طامحة جامحة شامخة خانفة مشمة شافنة مهطعة مرشقة متتالعة هابعة متعاطفة متطلقة مخرنطمة مسحنفرة مجلوذة مجلوظة مذلعبه مجرهدة مرمئدة مثممدة مصمعدة مسبئرة مسبكرة مسمهرة مشفترة مسجئرة مسجهرة متمهلة متمئلةه شمعلةمصمئلة مقلهفة مرلئمة . ومعان القدرة الخالقية قد خصتهن بالاء الايا سابغة ضافية على ما روت الرواة . فانهن يتحذن لها المرافد و يعظمنها بها تعظيما يوقف المستوفز بحيث يقف كالجايه الحيران . فلا يتماسك عن أن تصطك ساقاه تعجبا واعظاما لهذا التعظيم . وان تحترق أسنانه و يندلع لسانه . وتنضنض لهاته . وتلتوي عنقه . وتنتفخ أوداجه . و يحمر حملاقه . و يغان على قلبه و يطى . وتأخـذه القشعر يرة والرعدة والافكل والقرة والاضطراب والرجفان والنفشان والغشيان والعميان والفشيان والنحواء والدوار والميدان واللمم والاختلاج والترنح والارتعاج والارتعاش والارتهاش والرعس والارتعاس والتزأد و الترجيد والاصيص والبصيص والكصيص والارض والعسوم والنفيضى والقل والارزيز والزمع والزقرفه والشفشفة والصعفة والقرقفة والقفقفة . وتهيج به الاخلاط الاربعة فيطلب كل خلط عظامة وتنهال عليه الخواطر والوساوس . وتتجاذبه عوامل الاماني . وتحرضه محرضات النزة . وتطمره خوالج الشهوة . و يميل به مميل التشوق والتلهف على حد قول الشاعر

علمتك الباذل المعروف فانبعثت   اليك بي واجفات الشوق والامل

فيبقى حائرا بائرا مبهوتا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا ذاهلا . بحيث اذا رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظامة أو ما عظم بها . وكان الفارياق اذا خرج وأبصر هذه الروابي الخصيبة عاد الى مأواه وفى رأسه الف معنى يشغله . فمما أنشده فى بعض هذه الفتن

يالاعجاب وكل عجب فليقل ياللعجاب

ما ان يرى فى ذا المكان سوى المرافد من رواب
كلا ولا من غوطة من دون ذيلك الخناب
كلا ولا قرموطة تشرى سوى كعب الكعاب
من كل ذات تبهكن تدعو الحصور الى الدعاب
الشوق يقدم بي وخوف العجز من غلم ناى بى
مادا يقول الناس عمن خار عن ملء الوطاب
أم كيف تضعف معدة العربي عن قحف القعاب
من لي بصنبور فأترعه بمنزفة الحباب
من لي بعبة درفد فى ليلني من ذي القباب
من بجت ألية من ذى الالايا فى مآبي
هذا لعمرك سان ذى قطم وهذا الدأب دأبى

الفصل الخامس

في فضل النساء

وكما ان نساء تلك البلاد اختصصن بهذه المزية كذلك اختصصت رجالها بالطافهم الغريب بعد معرفتهم له . فاما قبل المعرفة فانه اذا حيى احدا منهم فما يكون جوابه الا الشزر والشصر . ولهذا لما سمع احد طلاب العربية منهم بوجود الفارياق وكان قد قرىء عليه حسبه ونشبه اتى يزوره . وطلب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرماً معززاً . وكان مقامه بعيدا عن كمبريج . فاجابه الفارياق الى ذلك لان اهل المدينة على كثرة المدارس عندهم والمعالم هم اشد الناس نفوراً من الغريب . ولا

سيما اذا كان مخالفاً لهم في الزي . فكانوا يسخرون من قبعته الحمراء حتى كانوا كثيرا ما يقنبع في غرفته ولا يخرج منها الا ليلا . وقال في ذلك

رمتني النوى في كمبريج ملازما   لبيتي نهاراً أن تراني أوباش

فتعبث بي حتى اذا الليل جنني   خرجت على أمن كاني خفاش

ولان الكلاب أيضاً كانت تشم فروته وتلازمه . فقال فيها

ولي فروة تأتي الكلاب تشمها   ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها

تهر على تمزيق جلدي وجلدها   كاني من اباثها قد صنعتها

ولان اهل الدار التي نزل فيها كانوا يشاركونه في طعامه ولا يشاركونه في لحمهم وشحمهم . فقال فيهم

ولي عيلة فى كمبريج خفيفة   تواكلني من حيث ايس عيان

فعهدي باسم الآكلات فلانة   وعهدي باسم الآكلين فلان

ولأنه لم يقدر على ان يحرد الى احدى تلك القبب . فقال فيها

وما نفع الوثير من الحشايا   وليس عليه وثر لذ نهش

وما نفع الشعار بلا شعار   وحسن الخفش ان لم يلف حفش

وما نفع الحياة بغير حي   فنعشك دونه ما عشت نعش

فسارا فى سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد الفارياق يدخل حجرته التي اعدت له حتى رقشها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل   ربا به والثدي قد رجفت

لو لم يكن غير تلك فائدة   لنا به دون اتوه (١) لكفت

ثم لما قام فى الغد رأى المنزل بعيدا عن الدار . فاستعاذ بالله واسترجع واضب على ما نفسه . لان هذه الشكوى ليس لها عند هؤلاء القوم اذن واعية . حتى انه لما شكا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد ايام قد فرط منك بالأمس كلام فقلت اني مشتاق الى امرأتي . وكان

---

(١) الاتو الاستقامة فى السير والسرعة

الأولى ان تقول الى أولادي . فقال له الفارياق ما المانع من أن يذكر الرجل امرأته كما يذكر ولده . ولولا المرأة لم يكن الولد بل لولا المرأة لم يكن شيء في الدنيا لا دين ولا غيره . قال مه مه قد افحشت . قال ارغن لما اقول . لولا بنت فرعون لم ينج موسى من الغرق . ولولا موسى لم تكن التوراة . ولولا المرأة لم يمكن ليوشع ان يدخل ارض الموعد ويستولى عليها . ولولا المرأة ما حظى ابراهيم عند ملك مصر ونال منه الصلاة والهدايا فتمهد لليهود النزول الى مصر من بعده . ولولا المرأة لم ينج داود من يد شاول حين اضمر قتله وان كان ذلك قد تم بحيلة وضع صنم في فراشه . ولولا داود لم يكن الزبور . نعم ولولا المرأة اعني زوجة نابال ما تقوى داود على أعدائه . ولولا حيلة بت شبع على داود لم يملك سليمان ابنه ولم يبن هيكل الله باورشليم . ولولا المرأة لم يولد سيدنا عيسى ولم يذع خبر انبعاثه . ولولا المرأة لم يستتب مذهب الانكليز كما هو اليوم . هذا وان المصورين عندكم يصورون الملائكة بصورة النساء . والشعراء عندكم ما زالوا يتغزلون في المرأة ولولاها لم ينبغ شاعر . قال إن اراك الا هاجياً على النساء وكان العرب كلهم على هذه الصفة . قال نعم اما راموزهم وقطاطهم وكل من ينطق بالضاض يكلف بالضاض . فاطرق ملياً ثم قال لعلكم ارشد ممن عدل الى الميم . فقد بلغني ان في بلادكم قوماً ميميين يعدلون عن سواء السبيل الى مضايق دميمة وهو اقبح ما يكون . واقبح من ذلك ان بعض المؤلفين من العرب قد الفوا في ذلك كتباً وتمحلوا لا يراد ادلة على تفضيل الحرفة الميمية . قال نعم ومن جملتها كتاب عثرت به في خزانة كتب كمبريج ورأيت مكتوباً عليه عنوانه بالانكليزية كتاب في حقوق الزواج . فكان شاريه لم يفهم مضمونه . ومن اسخف ما ورد من الأدلة على ذلك قول بعضهم

انا لست اجزم باللواط ولا الزنا   لكن اقول مقال من قد حررا

ان اللذاذة كلها في اقذر الجارين   فاختر ان عرفت الاقذرا

وسبب تاليف هذه الكتب من مثل هؤلاء العتاولة اما للعنينية فان النساء يعرضن عمن يبتلي بذلك . او للبخل لان النفقة على المرأة اكثر . أو لقصر اليد عن هصرهن أو لفساد آخر . اما سليم الطبع فلا يميل عن هذا المذهب أصلا . ثم ان الفارياق لبث عند صحابه مدة فى خلالها ادب الى مأدب فاخرة عند بعض الاعيان . ومن عادتهم فى الولائم ان تقعد النساء على المائدة مكشوفات الاذرع والصدور بحيث يمكن للناظر ان يرى لمفاهر واللبان والبادلة والبهو . واذا تطالل واشرأب وكان حسن الاهطاع رأى اللعوة أيضاً أي آية الحلم . وهي من جملة العادات التى تحمد من وجه وتذم من وجه آخر . حيث كان هذا الكشف مطردا للصبايا والعجائز بل العجائز عند الأفرنج ولاسيما الانكليز يكتشفن ويتفتين ويتعيلن اكثر من الصبايا . ثم قلت الدعوات وكثر قلق الفارياق لان من نظر الى سحنته مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى . فرأى الرجوع الى كمبريج أوفق . فسافر اليها فوجد القبب قد ربت نحو ثلاثة قراريط . وذلك اما لبعد عهده بها أو لكون زيادة قرصة البرد اوجبت ذلك . وهنا ينبغى ذكر فائدة وهي ان كمبريج واكسفورد لما كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفاً وكان جل الطلبة فيها من الأغنياء وفى كل منهما نحو الفى طالب . كانت البنات الحسان من قرى الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لترويج ماعندهن من الصبا والجمال . فترى فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر مالا تراه فى سائر المدن . غير انه لكل ساقطة لاقطة . فلهذا كانت مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد أهل البلد نظر الهرة التى يؤخذ منها جرآؤها . فمن ثم ترحل الفارياق عن هؤلاء السنانير وهرآتهم . لاسيما وقد ورد فى الامثال اذا دخلت أرض الخصيب فهرول واقام فى لندن نحو شهر .

وصف لندن أو لندرة عن الفارياق

ها هي ذات التيه والدلال . الخاطرة على الفحول من الرجال . تنظر اليهم شزرا . وتجر أذيالها وشالها جرا . كما قلت من قصيدة

قامت تجـر من الدلال ذيولا   جرا أضاف الى العميد نحولا

وهي لاترى لها من بينهم كفؤا . وتهلس منهم سخرية وهزؤا . ألا فاذكري ان بينهم الاقوى الاقدر . الاسرى الايسر . الاسرع الاعسر . الاقرش الاقشر . الاصرغ الاعصر . الاسردالادسر . الارشف الاشغر . الابرز الازبر . الذي اذا ضم زفر . واذا شم نخر . واذا هيج زأر . أو غمز بدر . واذا رأى طبلا زمر . أو ذات تدهكر دهشر . اذكري ان بينهم عربيا ذا غرام . وهيام وأوام . ومغازلة وبغام . ومداعبة وكعام . وتمشير وانكماش . واندساس في الاعشاش . علام نتملقك وأنت معرضة كبرا . ونعدك فتتخذين كلامنا هترا . ألم تعلمي انا اليك متوددون . وعلى مثالك متعودون . كم من صعب رضناه . ومتحكم أرضيناه . وأبي أملناه . وقرم أشبعناه . وجاع استوقفناه . وشاك أشكيناه . وعتب أعتبناه . وكم من متعنتة آبت وهي شاكرة . ثم انثنت زائرة . ألا لايغوينك الشطاط الى الشطط . والعين الى الشحط . والعيط الى اللغط . وصهوبة الشعر . الى انكار القدر . وتفليج الثنايا . الى ألت المزايا . وتورد الخدين . الى احتقار اللجين . وتفلك الكعب . الى التيه والعجب . وبضاضة البشرة . الى البهم والشره . ونعومة الساعدين . الى عنجرة الشفتين . وجدل الساقين . الى الاستنكاف من مض لناقد عين . وعميد غين . يكفتها

ويتطوق بهما . أو يعتم بهما على زنبها . وينزه زغبهما عن الحلت والنتف . والحص والحف . وعن مس السقف . ألا ولا يضلنك الجاهض من وراء . الى الازدراء . ولا النافج من امام . الى منع التحية والسلام . ان لدينا من المزر والفقاع . ما يروي كل مقاع . ويسكر كل ذات قناع . ومن الشواء . ما يزيل الخواء . ومن الدينار . ما ينفث في عقد الازار . فيحلها حلا . ويبلها بلا . فمن البل بلل . ومن الحل حلل . فبحق من أولاك هذه المحاسن . فتنة كل سامع ومعاين . الا ما أحسنت في عشاقك الظن وأقلات لهم من هذا التزليق والفتن . فكلهم الى وصالك حن . ومن صلفك أن . وبعد . فان هي الا مرة . فان أحمدت اللقاء فاجعليها عادة وأنت على كل حال حرة ، والا فما أكثر طرق هذه المدينة وما أطولها ، وما أوفر القادمين اليها ، وما أوسع حوانيتها وساحاتها ، وندحاتها وباحاتها وحدائقها وغياضها ، ومماشيها ورياضها ، وما أبهج ملاهيها وملاعبها ، وأجرى عجلاتها ومراكبها ، وما أرحب كنائسها وما أحفل مجالسها ، وما أعمر مساكنها ، وأمخر سفائنها ، فاجري فيها حيث تعجبك من هنا ومن هنا ، كل امرء يسعى ليدرك الهنا ،



الفصل السادس

في محاورة

وبعد ان فرغ الفارياق من عمله في هـذه المدينة الغاصة بالغواني سافر الى باريس فاقام فيها ثلاثة ايام لا تكفي لمعرفة وصفها . فلهذا نضرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا . ثم سافر منها الى مرسيلية ومنها الى الجزيرة . واتاح له الله بفضله العميم ان رأى زوجته في نفس الدار التي غادرها فيها . وقد كان يظن انها طارت مع عنقا مغرب او مع الغنجول وبني بها هذه المرة السادسة . فان المرة الثانية كانت بعد قدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامى باشا المفخم والخامسة بعد رجوعها من مصر . ثم انشد

من يرد في زوجة يـ نكح ازواجا عديدة
فليغب عنها زمانا يلقها عرسا جديدة

فقالت لكن المرأة لا ترى من زوجها بعد ايابه عرسا جديدا . قال فقلت انما هو من مخالفتهن الرجال في كل شيء . قالت نعم ولولا هذا الخلاف ماحصل الوفاق . قلت كيف يكون عن الخلاف وفاق . قالت كما ان المرأة خلقت مخالفة للرجل في الخلق كذلك كان خلاقها له في الخلق . وكل من هذين الخلافين باعث له على شدة الكلف بها والحرص عليها . الا ترى ان المرأة اذا كانت تفعل كل مايريد زوجها ان تفعله كانت كالآلة بين يديه الا يكترث بها ولا يقبل عليها . لاعتقاد انها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه زيادة على حركة يده في الآلة . بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد بامرها فانه ح يعلق بها ويداريها . قلت هذا غير ماعهد

عند الناس . قالت بل هو معهود عند النساء من القديم . ولذلك تراهن جميعهن متحليات بهذ الحلية . قلت ولكن اذا كثر الخلاف وطال . اورث التقاطع والملال . قالت ان عيني المرأة لاتبرجان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعي القطع والوصل . والا استطال احدهما على الآخر فوقع ما قلت . بل في دوام الوصل دوام الوفاق . قالت بل هو باعث على السأمة والضجر . فان الانسان مطبوع على ذلك . قلت أي سأمة من وصل الحبيب . قالت السآمة غالبة على الانسان في كل شيء بحيث يود تبديل حالته الحسنى بحالة سوأى . قلت او قد سئمت من حالتك هذه . قالت ثم حلت عن السآمة . قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين . قالت نعم ان العين تقر بشي ريثما يعن لها آخر فتطرف اليه . قلت وماشأن القلب قالت هو متقلب ومتحيز معها ، قلت فما شأن العميان ، قالت ان لهم في بصائرهم عيونا أشد حملقة من العين الباصرة ، قلت من أسرع الناس تقلب قلب ، قالت أكثرهم فكرا فان العجماوات أثبت وأصبر من الناس اذ ليس لها فكر ، قلت فاذا ينشأ عن النفع ضر ، قالت نعم كما انه ينشأ عن الضر نفع ، قلت أي نفع في المرض . قالت سكون العقل والدم والفكر عن الهوى والشهوات . قلت أى نفع في الفقر . قالت الكف عن الشراهة والسرف المهلكين فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون لقلتهما. قلت اى نفع فى الزواج بامرأة دميمة . قالت كف رجل جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك . على انها لاتعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشر اهون من بعض . قلت اى نفع فى دمامة الاولاد . قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن اللهو الى العلم واقبلوا على تحسين خلقهم ليشفع في خلقهم . قلت واي نفع من مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر الاعلى . قالت اشعاره بان الحيوانات المطلقة اقوى فيه من الحيوانيه المقيدة . ولذلك كان اول

مايشيب فيه راسه الذى هو محل الناطية . واقوى مايحس منه باللذة أسفله . قلت وما نتيجة ذلك قالت اقلاله من الفكرة . قلت وما الفائده فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم يملأ بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه. قالت هو من النوع الاول . قلت كانك تقولين ان الرجل لم يخلق الا لاجل المرأة . قالت نعم كما ان المرأة لم تخلق الا للرجل . قلت اى نفع في تحتت الاسنان . قالت الاكل على هينه فيمرؤ الطعام . قلت أى نفع فى تعميش العينين. قالت عدم رؤية الحسان ليلا فانهن اروع فيه وافتن. قلت أى نفع في العرج. قالت الراحة من الجرى وراء القرصافة الزقزاقة. قلت أى نفع في السدة . قالت الذهول عن العبقة . قلت وفى الصمم. قالت عن الرمم . قلت وفي الجهل . قالت توفر الصحة للبدن والراحة للبال . فان الجاهل لايفكر في الامور الدقيقة المتعبة . فاذا نام اهنأه النوم واذا طعم شيئاً امرأه . لا كدابك فى الهينمة اناء الليل واطراف النهار فما اسمع منك الا تعديد قوافي . وذكر نؤى واثافي . ودوارس عوافي . وظعائن خوافي . واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت الصفحة تلو الصحفة . فتاكل لقمة . وتقرأ فقرة . وتكرع من الشراب كرعة وتتلو أسطورة . ولذلك — قلت قد فهمت من هذا الاكتفاء عدم الاكتفاء . ولكن كثرة القراءة ينشأ عنها كثرة التصور الباعثة على كثرة التشوه . قالت ولكن كثرة التشوق ينشأ عنها التزويلية او الزمالقية والمقصود الجحادية اللحكية . وقد طالما احوج وجود الاولى الى البحث عن وجود الثانية . ولكن دعنا من هذه الملاحك و المغامس . كيف وجدت مدينة لندن . قلت رأيت فيها النساء اكثر من الرجال واجمل. قالت لو ذهبت اليها امرأة لرأت بعكس ذلك فان نساء الانكليز في هذه الجزيرة لسن حسانا والحسن كله في الرجال ، قلت هؤلاء نخبة البلاد انتقتهم الدولة حسانا ليخيفوا العدو فى الحرب ، قالت بل الامر بالعكس فان الجميل

لا يخيف وان يكن عـدوا وانما القبيح هو الذي يخيف ، ألا ترى انهم يقولون رجل باسل ومتبسل أى شجاع وهو في الاصل الكريه المنظر ، قلت وقد قالوا أيضا راعه بمعنى أعجبه وأخافه ، قالت المعنى واحد فانه مأخوذ من الروع أي القلب فرؤية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح

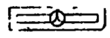
ثم قالت وكيف رأيت دكاكينها واسواقها . قلت اما الدكاكين فملآنة من الخز والحرير والتحف البديعة . قالت هل من هو فيها كما هو فيها . قلت فيها نساء بيض حسان . قالت انا أسألك عن شيء وأنت تخبرني عن غيره . قـد عرفت أنك زائغ البصر فلن أسألك بعد عن الناس وما أسأل الا عيني . هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا ترون في جنسكم حسنا . قلت هي مثل خصلتكن معاشر النساء في انكن لا ترين في جنسكن جمالا قد تكافأنا . قالت كيف تكافأنا و بيننا خلاء . قلت كل آت قريب . قالت وكل قريب آت قلت لا أرضى بهذه الكلية بل قولي بعض القريب . قالت اذا ساغ البعض لم يغص بالكل . ثم قالت اخبرني عن الاسواق . فقلت طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الأنوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامرأة أصلا . حتى كان الضباب ينجلي بها في الليل أيضاً . قالت هو من بعض المنافع الضارة . الا ليت لي جدا فانظر مرة محاسن هـذا المصر من قبل ان اقضي . قلت لا تقنطي فاني أرجو أن نسافر اليها جميعاً بعد مدة . قالت حقق الله لنا هذه الأمنية . فلما أمسى المساء وبات كل منهما ثملا بذكر لندن على ما مال اليه خاطره قامت في الغداة تقول . قد رأيت لندن فى المنام واذا برجالها اكثر من نسائها . وطرقها واسعة كما قلت كثيره الأنوار . ولكن يمكن للرجل فيها ان ينفرد بامرأة . وكانك انما تقولت هـذا لـكيلا اسيء فيك الظن . ولـكن ما كنت لاصدقك من بعد أن تحققت انك غير امين فى الروايه الاولى ثم بعد محاورة طويلة باتا تلك الليلة على اسم لندن . فاصبحت تقول . قد

حلمت اني اشتريت من احسن دكاكينها ثوب ديباج احمر احمر احمر، قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون واهل لندن لا يحبونه لا في الحرير ولا في الادميين . قالت ما سبب ذلك . قلت لان الحمرة في الناس تكون عن كثرة الدم . وكثرة الدم مظنة بكثر الاكل والشرب . وهي دليل على الرغب والنهم . وانما يحبون اليلق الامهق . وكذلك العرب يحبون هذا اللون فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها نمير الحي غير محلل

فقالت ان كان هـذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النساء عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشر والبتع والكرع. فيوهمهم ذلك عجزهم عن كفايتهن . وان يكن من النساء وقد نطقن به فما هو الا مواربة ومغالطة . فان الانسان بالطبع يحب اللون الاحمر كما يشاهد ذلك في الاطفال . وناهيك ان الدم الذي هو عنصر الحياة أحمر . قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو في ذلك اللون الذي يرغب فيه أهل لندن . قالت فهذا هو السبب اذا . الآن قد حصحص الحق وبان . أما أنا فعلى مذهبي لن أحول عنه . وللناس فيما يعشمون مذاهب. فقلت بودي لو كنت أحمر أحمر أحمر حتى تحبيني وان كنت أحمق أحمق أحمق قالت وما انتفاعك بالمحبة اذا كنت أحمق . وانما يعود النفع لي في تركك أياي مع الاحمر . قلت اتزعمين ان العلم يمنع المرأة عن اجراء ما تضمره وان الحمق يمكنها منه . قالت لا والله بل ربما كان في الحمق لها أكثر . فان الاحمق يلازم امرأته ويظل محملقاً فيها والعالم يحملق في كراريسه . وكيفما كان فلم ار اسفه ممن يحرج على امرأته ويلازمها . فان الرجل كلما أعنت المرأة ونكتك عليها بالملازمة والكنكنة زادت هي في تماديها فلا يردها شيء عما ارادته سوى حشمتها وحيائها . وأكثر الرجال حمقا وسخافة من اذا أوجس من زوجته الميل الى شخص قال لها تزهيداً

فيه . ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لايبالى بما يقول و يفعل . فاذا حضر مجلس ذوي الأدب فأول ما يفوه به قوله قد راودت فلانة وخلبتها وفتنتها . وقد عشقتني وعشقتها . كانه أي الزوج يحذرها من الاسترسال الى هواه مخافة أن تنفضح بين الناس . أو أن يقول لها ان فلانا ورع تقي يتقي مغازلة النساء اتقاء الافاعي . كانه يقول لها انك ان تعرضت له في الهوى جبهك وندهك وفضحك . فقد تقرر في عقول الرجال ان كل أمر من امور الدنيا والآخرة يشين عرض المرأة و يهتك حجابها . مع انه لا شيء يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه مسرف مشط في حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه أذى . فهي والحالة هذه تزيد حرصا على فتنته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع اسرافه في محبتها . قال فملت نعم ان كيد النساء كان عظيما .



الفصل السابع

فى الطباق والتنظير

الأنسان كما قالت الفرياقية مجبول على السآمة والملل . ومتى ظفر بالغرض . استحوذ عليه الغرض . ومادام الرجل المتزوج جلس بيته و يسمع من زوجته هات واشتري وجدد وأصلح ود لو انه يكون عزبا ولو راهباً في صومعة . فاذا تغرب عنها ورأى الرجال يمشون مع النساء سواء كن حليلات أوخليلات أنف من الصومعة . وهاج به الشوق الى ان يكون له امرأة يماشيها مثل أولئك وان كان مشيهم وقتئذ للتحاكم

والتخاصم لدى جناب القاضي . فينبغي للزوج الملازم لكنه والحالة هذه أن لا يزال متصورا انه غريب في ارض بعيدة عند اناس يخدعونه ويغبنونه ويهيجونه بمرافدهم . أو ان زوجته قد سافرت عنه الى أناس يعاقرونها المدام . ويرقدونها على فرش من ريش النعام . ويغازلونها فتغزلهم . ويباعلونها فتبعلهم . فاذا فعل ذلك هانت عليه نغمات هات واشتر . وهذا جدول عن الفارياق بين فيه الاحوال التي يقول فيها المتزوج

يا ليت ما عندي امرأة	ويا ليت عندي امرأة
اذا تزبرقت وتزبرجت وتزلقت وتبرجت وتعطرت وتبغنجت وقالت له قم بنا الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص .	اذا سار وحده الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص ورأى النساء فيها متزبرقات متزبرجات الخ .
اذا خرج معها وقد نفجت صدرها واحكمت مرفدها ثم طفقت تتبازى وتوكوك وتميس وتزوزك وتميل عنقها وراسها .	اذا سار وحده ورأى من قد نفجت صدرها واحكمت مرفدها ثم غدت تتبازى وتوكوك الخ .
اذا مشى معها فرات نقطة ماء فى الطريق فشمرت عن ساقيها لتبدو حماتاهما.	اذا مشى وحده فرأى من شمرت عن ساقيها عند رؤيتها نقطة ماء فى الطريق الخ .
اذا سار معها فى يوم ذى ريح وعمدت الى كشف الثوب عن صدرها وعجزها .	اذا سار وحده فى يوم ذي ريح وابصر من عمدت الى كشف الثوب عن صدرها .
اذا جعلت دابها ان توقع منديلها او تربط شراك نعليها ثم تكب فتبدى عجيزتها .	اذا سار وحده فراى من تكب لتربط شراك نعليها او تلتقط منديلها فتبدي عجيزتها .

اذا جعلت شيئاً في فمها تلوكه وهي
ماشية توهم من يعجبها من الفتيان
انها تشير بقبلة واذا غمزت أحدا
ورمرت ولمزت .

اذا صادفت رجـلا من معارفها في
الطريق فطفقت تعاتبة على طول
غيابه عنها ثم امسكت بيده وغمزتها
غمزا شديدا .

اذا لقيت امراة في الطريق عليها
ديباج نفيس فجعلت تسألهـا عن
سعره وعمن يبيعه .

اذا صادفت احـدا في الطريق
فاشارت اليه ان اتبعنا فاخذ يمشي
عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها
وجعلت جل الـكلام مع الزبون.

ادا رجعا الى البيت وصرحت له
او عرضت بشراء الديباج ولم يكن
عنده دراهم تكفي .

اذا قالت له وهما على المائدة
متغصصة : ما اجمل فلانا الذى ماشانا
وما الطفه وابره واتره واطره واحره
وادره .

اذا بات تلك الليله وهو تعب موجع
الرأس حتى اذا اغفى قليلا احس

اذا ابصر من تلوك شيئاً وهي ماشية
وحسب ذلك اشارة اليه بقبلة ثم
غدت تغمز وترمز وتلمز وتابز وتنفز
وتنقز .

اذا رأى امراة تعاتب رجلا على طول
غيابه عنها ثم اخذت يده وغمزتها
غمزا شديدا حتى احمر الغامز واصفر
المغموز او بالعكس .

اذا لقي امرأتين تمس احـداهما
الاخرى وتلك الملموسة تشير بيدها
اللطيفة الى مكان .

اذا وجـد رجلا بين امراتين او
امراة بين رجلين ففي الحالة الاولى
طلبا للمرازمة وفي الثانية ثقة بالكفاية
لان طعام اثنين يشبع ثلاثة .

اذا رجع الى البيت ورأى ان عنده
مالا وليس من تلبس الديباج
وتجلس الى جانبه .

اذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر
و يقول في نفسه ما اجمل فلانة
التي رايتها تمشي مع فلان وما
الطفها واترها واطرها وادرها .

اذا بات تلك الليلة وهو مستريح
ناشط ثم أحس بحركة منه قـد

بحركة منها في جنبه فقضى دينه منكارها .

يده فجات على الحائط أو على مسمار أو وتد فدميت .

اذا سكن منزلا وكان جاره الادنى منه فتى جميلا فجعل يتردد عليه بعلة الجارية

اذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة جميلة ولم يمكن له أن يمت اليها بوسيلة الجارية

اذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو ويئن فلزمت هي الشباك وهي تحكو وتحن .

اذا رأى جاره مريضا في الفراش يشكو ويئن وزوجته بجنبة تحن وتهن .

اذا جاء وقت الصيف ففتر وفدر وجفر وحصر واسترخت عروقه فآثر ان يبيت وحده .

اذا جاء وقت الشتاء فاشتد واستد وامتد واحتد ونبضت عروقه فآثر ان يبيت مع من تنفخ في وجهه

اذا عن له سفر لابد منه ولم يمكن له مصاحبة زوجته .

اذا رأى جاره قد سافر وترك زوجته خبعة طلمة راغية ثاغبة .

اذا غاب عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تغيره به وتكيده وتقهره .

اذا غاب رجل عن روجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تصبره به وتسليه وتمنيه .

اذا قرأ في الكتب ان النساء كلهن خائنات وان عقولهن في فروجهن .

اذا سمع عن امراة انها لم تخن زوجها وانها ردت في حبه هدايا عشاق كثيرين .

اذا ركبه الصفف فلم تقدر على كفاية عائلته ولم تكن امراته جميلة لتنفعه .

اذا رأى امرأة جميلة تماشي ولدا لها صغيرا بزيعاً فيقع في الارض فتنهضه بيدها فيبكي قليلا حتى يحمر خداه .

اذا جاء من محترفه وقابلته امراته

اذا رأى جاره قد آب من محترفه

بالصخب والمشارزة والنقار والضجيج والجؤار .

فسمع له ولزوجته رتلا وزجلا وهمسا وركزا ومباغمة ثم رنتا .

اذا غاب عن بيته ورجع فوجد فراشه مشوشا وشعر امراته مشعثا بعد ان كانت اصلحتهما قبل خروجه .

اذا رجع الى بيته فائزا بوطر ووجد فرشه موضونا وليس من تملاه شعجا ولحائم رأى في جملة ذخائره خصلة شعر .

اذا رآها تسار الخادم او الخادمة وتانس بهما وتستاهل معهما وتحسن اليهما .

اذا رأى امرأة لا تسار الخادم ولا الخادمة ولا تبتسم لها ولا تخلو باحد منهما .

اذا رآها تتوقف فى المشي كلما مربها جميل بدعوى ضيق نعليها او غيره .

اذا رأى امرأة تغاضى زوجها وطرفها اليه ولا يزعجها من يمر بها كائنا ما كان .

اذا اضطجعت حتى ينظرها من هو اعلى منها او اسفل واشوق ما تكون المرأه ما اذا اضطجعت على جنبها .

اذا رأى امرأة قد اضطرت الى الاضطجاع وابت ذلك حياء وحشمة سواء كان ذلك فى حضور زوجها او فى غيابه .

اذا كانت ذات هوى وضلع مع جيل بخصوص ولا تزال تلهج بذكره .

اذا كانت المرأة غير ذات ميل وحنو مع احد وعندها ان زوجها يغنيها عن غيره .

اذا غاب عن بيته ثم رجع فلم يجد امراته او اذا قرع لباب فلم تفتح له فى الحال .

اذا رأى جاره كلما رجع الى منزله وجد امراته منكبة على الشغل ولا يكاد يطرق الباب الا ويفتح له .

اذا سمعت الات الطرب تغدت تترنح وتترقص وتقول آه اوه ايه .

اذا سمع امرأه تقول وقد سمعت الات الطرب ان صوت ابنها الصغير اشجى منها .

اذا كانت تسهب مع الفتيان فى الكلام وتضحك معهم حتى تمول طيخ طيخ وعيناها اذذاك مغازلتان ووجنتاها محمرتان .

اذا رأى امرأة تكلم الحاضرين كلا بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ طيخ ولا يبدو فى سحنتها احمرار ولا اصفرار .

اذا كتبت على قميصها حروفا انكرها أو رأى فى شفتيها أثر العض والكدام .

اذا سمع ان امرأة تكتب على قميصها اسم زوجها ولم يرفى شفتيها أو خديها أثرما قط

اذا سمعها تذكر اسماء رجال فى المنام أو اذا تحالمت فذكرت ما كان يعجبه ويرضيه .

اذا بلغه ان جاره يكاعم امرأته ويشاعرها فلا تحلم له ولا يحلم لها .

اذا رآها تكره ولدها وتلهى عنه وعن امور البيت بزينتها وتبرجها .

اذا رأى امرأة تحب ولدها وتحمله ولا تلهى عنه ولا عن بيتها .

اذا قعدت بالشباك لتخيط شيئاً فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة حتى جاء عملها فاسداً فاضطرت الى فتقه واصلاحه .

اذا رأى امرأة تخيط لزوجها أو لولدها شيئاً من غير أن تتخلل الدرزات نظرات وزفرات فجاء عملها محكما من أول وهلة .

اذا وضعت القدر على النار لطبخ شيئاً ثم شرعت فى الغناء حتى تهرست فنسيت القدر والطبيخ فتشيط.

اذا رأى امرأة تضع القدر على النار ولا تلهى عنها فيأتي الطعام قديا مشهيا معينا على الباه والرقاد .

اذا تمنت أن تكون فى المواضع التى يكثر فيها تردد الرجال كفندق وخان ونحوهما .

اذا كانت تبتعد عن المثابة ولا تشتهى أن تدخل فى زحام ليقرصها واحد ويغمزها آخر .

اذا كانت تصرح أو تعرض لزوجها

اذا كانت المرأة تقول أمام زوجها

بانها تحب السمان الطوال من الرجال مثلا وهو ليس منهم .	أو غيره بانها لاتحب الطوال من الرجال حالة كون زوجها قصيراً .
اذا كانت تعيب على زوجها انه غير متصف بالملثية ولا بالقمدية .	اذا كانت امرأة مفسلة تعففاً وشكت من ملثية زوجها وقمديته .
اذا وافى منزله وقت الغداء أو العشاء ساغباً لاغباً فلم يجد شيئا يأكله لان زوجته لهيت عن الغداء بتصليح ثيابها وتغيير زيها وعن العشاء بلبسها وجلوسها بالشباك لتنظر وينظرها المارون .	اذا وافى منزله وقت الغداء أو العشاء فوجد على مائدته كل ماتشتهيه النفس فأكل وشرب وطابت نفسه ثم رأى من شباكه جارته تلبس ثيابها وتنظر الى ماورائها لتعلم هل الثوب والعجيزة هما كشن وطبقة اولا .
وما أسبه ذلك .	وما أشبه ذلك .

الفصل الثامن

﴿ في سفر معجّل وهَينوم عُقمِيّ رَهبل ﴾

وظل الفارياق معالجا للبخر وقد ضاق بهم ذرعا . اذ لم يحصل من علاجهم فائدة فاصبح يحاول التملص من هذه الحرفة ولا سيما انه كان مطبوعاً على الملل والجزع . واتفق في غضون ذلك ان سافر الى فرنسا المولى العظيم . احمد باشا باي والى ايالة تونس المفخم . وفرق على فقراء مرسيلية وباريس وغيرهما أموالا جزيلة شاع ذكرها ثم رجع الى مقامه . فرأى الفارياق ان يهنئه بقصيدة فنظم القصيدة وبعث بها على يد من

بلغها لجنابه . فلم يشعر بعد ايام الا وربان سفينة حربية يطرق بابه .
فلما دخل واستقر به المجلس قال للفاريق قد بلغت قصيدتك لجناب
سيدنا الاكرم . وقد أمرني ان احملك اليه في البارجة . فلما سمع ذلك
استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمري ما كنت أحسب ان الدهر ترك
للشعر سوقا ينفق فيه . ولكن اذا أراد الله بعبد خيراً لم يعقه عنه الشعر
ولا غيره . الا فهزقي يافارياقية المهزاق . واسلقي فما يضرني اليوم اسلاق .
ونفجي ما اسطعت أن تنفجي . وضرجي وضمجي ودبجي . هذا يوم
يعبق فيه المكتفن . ويشبق فيه من وهن . ويشمق منه ذو الدرن .
ويفاز بالغدن . هذا يوم تستحسن فيه الربوخ . ويلمح فيه من به
ملوخ . وتئم الجلهوب والسلملق . وتنجب الشريم ثم العفلق . هلمي
فاتخذي مذ اليوم ظيرا . فاني أرى في الزند ايرا . فقال الربان وقد
استعجم عليه الكلام ما هذه اللغة التي تتكلمون بها لعمر الله ما فهمت
شيئاً مما قلتم . أهذا اللسان تحمل في رأسك الى تونس . وبهذه الالفاظ
تخاطب سيدنا وأهل الفضل من رجال دولته . قال لا وانما هذه لغة
اصطلحنا عليها فلا نستعملها الا نادرا . فقال الربان ينبغي ان تتاهب
الى السفر ولك ان تستصحب أيضاً عائلتك اذا شئت . فان سيدنا أكرم
الناس لايسوءه ذلك . فتأهب الفاريق هو وعائلته وركبوا في السفينة
وبعد مسير اثنى عشر يوما والريح مخالفة كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق
الواد . فامر المولى المشار اليه بنزولهم في دار أمير البحر . وهنا ينبغي أن
نلاحظ مزية الكرم التي خص الله تعالى بها جيل العرب دون سائر
الاجيال . وذلك ان استدعاء المولى المومأ اليه لم يكن لجميع من دب
ودرج بمنزل الفارياق بل كان خاصا به وحده . الا أنه لما بلغ مسامعه
الكريمة قدوم مادحه بأهله لم يستأ من ذلك ولم يقل ما أقل أدب هذا المدعو
وما أصفق وجهه لقدومه علينا مزويا . ولم يقل لربانه قد خالفت القوانين

السياسية والاوامر الملوكية فلننزعن عن كتفيك هداب منصبك حتى تكون عبرة لمن اعتبر. بل بقي الربان متشرفا بهدابه . والفارياق متمتعا بأهدابه . وبوىء أكرم متبوأ في دار أمير البحر واجرى عليه الرزق الكريم . والخير العميم . ولو ان أحد أعيان الانكليز دعا شخصا وأتاه ذلك الشخص ومعه غير نفسه لجبهه عند اللقاء بل لم يكن ليلماه قط . لا بل نساؤهن لما كن يدعون الفارياقية كن يتلن لها انك أنت المدعوة فقط اشارة الى عدم ازوانها بخادمتها وطفلها .وليت شعري اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحضار شاعر ولغمره اياه بالمال والهدايا النفيسة فلعمرى ان مادح ملوكهم لا جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتنفيده . مع انهم اشد الخلق حرصا على ان يشكرهم الناس ويمدحوهم . ولكنهم يانفون من ان يمدحهم شاعر يريد نوالهم . فلمن هذا المال الذى يدخرونه. ولاية داهية من الدواهي يعتدونه . وهم الطاعمون الكاسون . الحاسون اللاسون . ام يخشون ان تلم بهم ضفف او قشف . ام يحسبون ان صلة الشاعر من السرف . ولهذا اى لكون الكرم مزية خاصة بالعرب لم ينبغ فى امة من الامم شعراء مجيدون مفلقون كشعرائهم على اختلاف الامكنة والازمنة. وذلك من زمن الجاهلية الى انقراض الخلفاء والدولة العربية . فان اليونانين يفتخرون بشاعر واحد وهو اوميرس والرومانيين بفرجيل والطليانيين بطاسو والنمساويين بشلر والفرنسيس براسين وموليير والانكليز بشكسبير وملطون وبيرون . فأما شعراء العرب المبرزون على جميع هؤلاء فاكثر من ان يعدوا . بل ربما كان ينبغ في عهد واحد فى زمن الخلفاء مائتا شاعر كلهم بارع فائق . وذلك لان اللهى كما قيل تفتح اللها . على انه لامناسبة بين الشعر العربي وشعرهم . لانهم لا يلتزمون فيه الروى والقافية وليس عندهم قصيدة واحدة على قافية واحدة ولا محسنات بديعية مع كثرة الضرورات التي يحشون بها كلامهم . فنظمهم فى الحقيقة اقل كلفة من نثرنا المسجع . وما احد من

شعراء الافرنج استحق ان يكون نديما للملك . فغاية مايصلون اليه من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخص لهم فى انشاد شعرهم فى بعض الملاهى . فاي هوان يلحق جناب الملك المعظم من اتخاذه الشاعر نديما وكليما . ام يقال ان شعراء الافرنج كثيرون بحيث لا يمكن للملك ان يختارا واحد منهم على غيره . اروني اين هم هؤلاء الكثيرون على خزنته السعيدة . كم فى بلاد الانكليز الان من ناثر . وكم فى بلاد فرنسا من ناظم. وهنا ينبغي ايضا ان اضيف ملاحظة اخرى فاقول . انه قلما ينبغ شاعر عربي او عجمي ويعجب الناس جميعا . فان من الشعراء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار المعنى . وبعضهم يعنى بالمعاني دون الالفاظ . وبعضهم يتحرى اللفظ الرقيق والعبارات المنسجمة . وبعضهم الغزل وغير ذلك . ولا تكاد تجتمع هذه المزايا كلها فى شاعر واحد او تجتمع عليها اخلاق الناس كلهم . فان من كان من بني نظرى ذب الرياد شحما لحما مخضعا متصندلا زبّر النساء وخلبهن وشيعهن ونسأهن وحدثهن وطلحهن وملبهن وخدنهن وعلهن ورنوهن وحرقفوصهن (١) فاقحا اياهن حيث سرن . وكارزا لهن ابان برزن . لايهمه الحماسة ولا منازلة الاقران . فعنده ان قول امرء القيس

اذاما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم تحول

أحسن من قول عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدة مخذم

ومن يكن عروا اوعزها أو حصورا أو عتولا مقطا أو متأبدا أو عنكشا عثيلا أو صيقا صمككا كيكا ليس به حمضة الى العبهرة العجذجرة . والعياذ بالله من ذلك . صرف ذهنه الى الزهديات والحكميات . انتهى

---

(١) الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزنبور أو القراد تلصق بالناس او اصغر من الجعل تنصب الاسافي وتدخل فى فروج الجوارى.

ثم ان الفارياق انتقل الى المدينة وهناك تعرف بجماعة من أهل الفضل والادب . منهم من أدبه ومنهم من أترفه . وهناك حظي بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلات الوافرة . وسأله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفرنساوية . قال لا ياسيدي ماعنيت بها . فاني ما كدت أتعلم لسان الانكليز حتى نسيت من لغتي قدر ما تعلمته منه . فقد قدر على رأسى أن يسع قدرا معلوما من العلم فتى زاد من جهة نقص من أخرى . فلما اخبر زوجته بذلك قالت له . ألم أقل لك غير مرة عد عن الغزل بالنساء وتعلم هذه اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك . ماذا تريد من الغزل وعندك زافنة . قال فقلت نعم ورافنة . ثم قالت ماذا يفيدك وصف العين بالحور . ولست منهن تقضي الدهر من وطر . اليس وراءك مني رقيب قريب . قلت بلى والله اني ماخلوت قط بامرأة فى الحلم الا ورأيتك وراءها حتى كثيراً ماشاهدتك تمزقين ثوبها وتنتفين شعرها ثم تتبوأين مكانها وترسلينها فارغة . فقالت الحمد لله على أن التى رعبي فى قلبك فى اليقظة والمنام . قلت قد بدا لى أن أنتقل من التغزل بالنساء الى هجوهن فعسى أن انتقل بذلك الى حال أحسن . قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلني فى الجملة . ولكن قف قف لا تذكر النساء لافي النسيب ولا فى الهجاء . فانك اول ماتذكر اسمهن يدور رأسك وينبض فيك العرق القديم . كلا ثم كلا . قلت ولكن فى مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امرأة . فقالت وقد اتقدت عيناها من الغيظ من هذه الفاعلة الصانعة . قلت هو اسم عربي . قالت آه هو من ضلالك القديم . ولو كان اسما عجمياً لمحت الآن واحرقت ديوانك هذا الذي هو علي اشد من الضرة لانك تصرف فيه نصف الليالى . فقلت لكن هذا النصف ليس بمانع من كله . قالت لكن ذاك الكل حق لي وضعفي مثله . قلت صدقت ما خلق الليل الا للنساء وما خلقن هن الا لليل . قالت سلمت بالاولى واسلم بالثانية . وان النساء خلقن للنهار

ايضا . قلت نعم ولكل ساعة منه وليس للرجل هم في الدنيا غير امرأته .
قالت الاولى ان تقول اهتمام . قلت في كل اهتمام هم . قالت هذا عند الرجال
من فشلهم وليس كذلك عند النساء . قلت هو من خفة عقولهن وثقل
نهمهن فان اللذة تذهلهن عن الدين والدنيا معا . قالت بل هن يجمعن بين
الثلاثة في مكان واحد وآن واحد . واما أنتم فتى كلفتم بواحدة منها اغفلتم
الاخرى . وهذه من المزايا . التي مرانا بها الباري تعالى عليكم . الا ترى
ان المرأة اذا سمعت مثلا خطيبا جميلا يخطب في الناس ويزهدهم في الدنيا
تلذذت بكلامه وشغفت حبا بجماله وبكت زهدا في العالم . قلت بودي لو
كانت النساء يخطبن على المنابر كالرجال . قالت اذا لابكينهم دما . ولكن
هيهات فان الرجال من أثرتهم استبدوا بجميع الامور المعاشية والمعادية
وبمراتب العز والجاه . وحرموا النساء من أن يشاركنهم فيها . فما كان
أبهج الكون وأعمره لو كانت النساء تتولى هذه الرتب وكما ان الدنيا مؤنثة
وكذا السماء والارض والجنة والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة
والسعادة والحظوة والغبطة والعزة والنعمة والرفاهية والابهة والعظمة
والخطابة والفصاحة والبلاغة والسماحة والشجاعة والفضيلة والمروة والحقيقة
والملة والشريعة والايالة والولاية والزعامة والرئاسة والسياسة والنقابة
والنكابة والعرافة والامارة والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة . واخص
ذلك المحبة واللذة والشهوة . فما كان أجدرها ان تشرف بالنساء . قلت قد
نسيت العفة والحصانة . قالت لم تخطر لي ببال والا لذكرتها . قلت ولكن
البعال مذكر . قالت أين أنت من المباعلة . قلت والهكهكة . قالت وما
الهكهكة . قلت مصاعف هك هك أي هنى هنى أي طحز طحز أي فعل
فعل . قالت هى أحسن مما تقدم . قلت فقولي اذا اخيرا والا فهو كفر
وخمج . قالت على النساء لاحرج فان منهن الفرج . قلت نعم الفرج اذا
أبصرن ذا فرج . قالت والارج . قلت والمرج قالت وهن أحق بذى

برج . قلت وبمن تبرج . قالت الجمع بينهما بلج . قلت والثاني عند تعذر الاول هو الافلج . قالت وبه اللسان ألهج . ثم عزما على الرجوع فسفرهم المولى المشار اليه في سفينة النار

الفصل التاسع

في الهيئة والاشكال

وبعد ان وصل الفارياق الى منزله جاءه بعض معارفه وسأله عن سفره. فاسر اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نساء اليهود في تونس ما زلن حسانا . وانه ان يكون قد انزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى فانه انما نزل بالرجال فقط . فقالت امرأته من ورآ الباب قد سمعت ما تقول بل المسخ وقع على النساء . قال حيث قد سمعت نجوانا ولا يخفى عليك مني خافية فضمي نفسك الينا لنخوض في هذا الحديث المستحب . قالت اجل انه ما يخفى عن اذني همهمة . ولا عن عيني سمسمة . ثم انها تصدرت في المجلس وقالت . قد اعجبني من زي الرجال في تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم . قال فقلت بل زي النساء اعجب واشوق . فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب ما يغطيها ومع ذلك فالسراويل تخفي خصورهم وما يليها . فاما النساء فسوقهن بادية ولا شيء يستر حمائبهن . فترى المرأة تمشي في أوان الحر وثوبها يشف عما تحته من مكبب ومقبب . ومقعب ومعوب . ومكعب ومكعثب . فقالت بودي لو كان زي النساء كهيئة اجسامهن . قلت هذا

يكون فاحشا من وجيهين . لان المتزيية به ان كانت ركراكة عندلة لفاء كانت فتنة للنساء وعطلت عباد الله عن اعمالهم . وان كانت دردحة او رسحاء كانت وباء على الناس واحجرتهم في بيوتهم تطيرا منها . قالت ماسبب كون الرجال في هذا البلد يتزيون بزى كهيئة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محظور من رؤيتهم . افكل ما تفعله الرجال يسوغ وما نفعله النساء يغص به . لعمرى ان هذا الزى احسن من زى رجال بلادنا . فانك ترى من له سراويل منهم يمشي ويفحج كالشاة للحلب . وكثيرا ما تلتف عليه من قدام ومن خلف فتعوقه عن المشي فضلا عن الجري . ولو انه كان مثلا في محترفه وقال له قائل قد زارك اليوم في منزلك فتى غساني فرهد . ولما لم يجدك لبث ينتظرك وها هو الآن هناك . وقد احتفلت به زوجتك وهشت اليه وبشت وهي التي ثبطته وأمرت الخادمة بان تمرض أو تمارض حتى تنفي عنك الشبهة . اذ لو بعثتها اليك وخلالهما المكان لرابك أمرهما واعتقدت ان زيارته لها انما كانت عن موعد وانما هي المقصود بهذه الزيارة لا التشوق الى رؤية سحنتك . وغير ذلك من الكلام الذي يفور به الدم وينتفخ منه الحملاق . فكيف يمكن له والحالة هذه أن يحفد الى منزله وبين فخذيه ما يذهب به هنا وهناك . ثم ضحكت وقالت نعم وترى منهم من له جبة يمشي ويكنس الارض باذيالها فيلصق بها كل ما في الارض من النجاسة والقذر . حتى اذا وافى بيته ملأه بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجته منها ما يرد الطرف عنها وان كانت عبقة . لأن الرائحة الخبيثة تغلب على الرائحة الطيبة كما يقال . وفضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها كثير من هذه التى تلبسها الافرنج الى خصورهم . وليس للرجل اذا لبسها من هيئة ولا شارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره . وما خلق الله الانسان على هذه الصورة الا وأراد أن تكون ظاهرة كما هى . قلت قد رأيت الافرنج في بلادهم صيفا وشتاء فاذا هم يسترون أدبارهم بهذه الجبب المزنمة . ولا

يمشي أحد منهم في الخارج ظاهر الدبر كما يمشي هؤلاء القوم القليلو الحياء في هذه الجزيرة . قالت والبطون والافخاذ . قلت ظاهرة . قالت قدشفع هذا في ذاك فاما سترهما معاً فشنيع . لعمري ان الناس لم يهتدوا الى الآن الى زي حسن يوافق هيئة الجسم ويلائم للعمل وبه شارة . فان هذه البرنيطة لاتعجبني وليست ملائمة للوجه لا في النساء ولا في الرجال . لانها أشبه بالقفة أو الزنبيل أو القرطالة أو السلة أو العيبة أو العكم أو المرجونة أو الجوالق أو الحربة أو اللبيد أو الجرجة أو الغفر أو الجف أو القفعة أو الجلة أو القشع أو المدارة أو القلع أو الكنف أو القنيع أو الحرف أو القنع أو الزكيبة أو الجواء أو القوصرة أو الفود أو التليسة أو الوفيعة أو الجلف أو الخصفة أو الدوخلة أو السفط أو الحفص أو الميضنة او الصنوت . وهذه العمائم دونها في القبح . وهذه الحبرات التي تلبسها نساء مصر لا حسن فيها فضلا عن غلائها . وأقبح من ذلك كله هذا الحزام الذي تتحزم به الرجال فانه يملأ الخصر والصدر ويمنع الطعام عن الهضم . وأقبح منه هذا الشريط الذي يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن سريانه في الارجل . وليس فى زي نساء الافرنج حسن الا كونه ملائما المرافد . وقدطالما كنت مشغولة البال بهذا وحاولت أن أخترع زيايكون فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما أمكن فلم يفتح الله علي الى الآن . وعسى أن يتجه لي ذلك عن قريب فاكون معدودة من جملة المستنبطين في هذا العصر . قلت وهل لم يخطر ببالك الاقتصاد قط في استنباطك . قالت لا فان خير المال ما أنفق على المرأة . قلت بل على هذه الحرانة وأشرت الى سهوة الكتب . قالت أو تعانق الكتاب في ليلك وتشاعره . قلت ان الرجل حين يشاعر زوجته ليلا لا تكون متزينة باللباس والحلي بل تكون عريانة عند قوم . وفرجا أو متفضلة أو هلا عند آخرين . فيصدق عليها ما قيل شعر

يتفخل الانسان جل نهاره حتى يفوز بغادة في ليله
فاذا استقرا في الفراش بدت له جهواء مثل التيس تحت ذيله

قالت بل في تبرج المرأة وزينتها نهارا لتشويق وتهييج لزوجها ليلا . قلت نعم ولجارها أيضاً . قالت بل ولنفسها كذلك . قلت ما فهمت هذا المعنى البديع هل المرأة اذا نظرت الى زينتها تكرع . قالت لا شك فان الزينة حسن وكل حسن فانما يذكر بالحسن . حتى لو نظرت جواداً مطهما أو متاعا نفيسا أو شيأً آخر من زينة السماوات والارض لكان أول ما يخطر ببالها شخصا متصفا بالجمال . قلت فهو اذاً تصور مطلق غير معين . قالت ان كان الاشوق في العيان . فهو الاسبق الى الاذهان . والا فاي كائن كان . قلت وعلى فرض حضور الزوج وشرط كونه عليه مسحة من الجمال . فهل له خطور بالبال . قالت اذا وفق الى التمليق والتعريب فقد يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة . قلت قد لمحت الى هذا المعنى سابقا وفهمته حق فهمه . ولكن اسألك سؤال متحرٍ غير ذي ضلع ولا صغا . هلا يجب على المرأة أن تقدم زوجها في الذكر والتصور من حيث ان له المزية والقفية . وحاله كونه شيخها وأباها وحليلها ونقاحها وكميعها وكفيحها وضجيعها وعقيدها وعهيدها واكيلها وشريبها وجليسها وسميرها وحليفها وعشيرها واليفها ونجيها وضمينها ووليها وكفيلها وكليمها وعنيقها ونديمها وخليطها وعميلها وشريكها وخليلها . قالت نعم ورقيبها وسبيبها وشغيبها وعقيبها وغضيبها وكايبها ولتيبها ووثيبها وفحيصها وخصيمها ولزيمها وزحيمها ونبيزها ولقيسها وفقيسها وقفيسها وجاسوسها وعاسوسها وجاروسها وناقوسها وفانوسها وكابوسها وناطورها وتاقورها . قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دل المرأة ودلالها تدللها على زوجها تريه جرأة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف . وقال أيضاً تبعلت المرأة اطاعت بعلها أو تزينت له . وفي موضع آخر تقيأت تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه (انتهى)

فهذا دليل على ان حركات المرأة كلها ينبغي أن يكون مقصوداً بها الزوج لاغير. قالت لا غرو أن يكون صاحبك قد قيد هذه الحركات بالزواج تفردا بها من عنده . أو انه تابع بعض أهل اللغة المشفشفين على ذلك . فان الرجال دابهم ان يدعوا ان المرأة لم تخلق الا لأرضاء زوجها وتعليله وتمليته . وان اللغة انما وضعوها استبداداً منهم على النساء وافتئاتا كما هو دأبهم في غير ذلك . مع ان اللغة انثى ولو كانت من وضع النساء وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بد له من ما هية انثوية لكن وضعن الفاظا تدل على من لا يفكر في غير امرأته . زعلى قصر طرف الرجل عن النظر الى سواها . وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها . وعلى الباسه اياها وضوها من ثيابها . وعلى تمشيطه شعرها واحراز مراطة منه للنظر اليها اذا غاب عنها ساعة ما . وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها . وعلى من يرى زوجته أحسن النساء . ومن يزد حبه لها بازدياد رؤيته لغيرها . أو على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى أو يغشى عليه أو يكب على وجهه أو يأخذه الدوار أو الهيضة . وعلى من يتخذ صورتها فيعم بها حيطانه وكتبه ومتاعه . فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية واخرى مكبة . وبعد فقد تركنا لكم اللغة تتصرفون فيها كيفما شئتم فلم لا تتركون لنا خوطرانا وأفكارنا وهى ليست من الحركة ولا السكون . فأما دعوالك بالمزية والمفية فاني اخبرك خبر من لا يجمجم عليك رئاء أو حياء . انه لا مزية للرجل على المرأة فى شيء . اذ ليس من قفية للرجل الا وللمرأة مثلها . فأما كفالته اياها فينبغى أن أقول لك هنا دقيقة قل من تنبه لها . وهى انه قد يجتمع مثلا شخصان فى شركة أو دعوة أو زواج ويكون قد تقرر في بال أحدهما ان له منة على صاحبه . وذاك الممنون عليه يعتقد باطناً وظاهراً انه مظلوم . مثال الزواج ما اذا كانت البنت قبل زواجها تهوى شاباً ولم يمكنها أن تتزوج به فتزوجت آخر .

فرأت من أفعاله وأطواره ما أنكرته . فيخطر ببالها ذلك الذي فاتها فتقول في نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق . فلو انى تزوجت به لكنت الآن في أهنأ عيش . و زوجها يظن اذ ذاك انه أسدى اليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد أن فاتها خليلها الاول . فكان ينبغى للرجال والنساء أن يمعنوا النظر في أحوال الزواج قبل أن يرتبقوا فيه . وعلى الرجل أن لايتزوج من كانت تهوى آخر قبله . وعلى المرأة ان لاتتزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والاملاق . أو من كان يهوى اخرى وهو عزب . ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذي قدم رأس المال من عنده والقى عبء المصلحة على رفيقه . فكل منهما يحسب انه ذومنة على شريكه . ومثال الدعوة ما اذا دعاك أحد الى الغداء في العصر وكانت عادتك أن تتغدى في الظهر . أو اذا قدم لك من الطعام ما تعافه . فقد ركز في طبع كل انسان أن يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره . أو اذا تكرم عليك وقت الغداء بقدرة وكسيرة وجريعة غير عالم ان المأدوب يكبر معدته عند الآدب وتتسع أمعاؤه . أو اذا دعاك الى منزله وكان بعيداً عن المدينة فلزمك أن تكترى مركبا بما يساوي غدائين وعشائين عنده . أو اذا كنت مثلا عند أحد أكابر الأفرنج لمصلحة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات من غير أكل فأمر خادمه بان يقدم لك لهنة من الخبز ومن هذا الجبن اللخنى . وبك اذ ذاك قرم الى أكل دماغه . فايكما والحالة هذه الممتن والممتن عليه . أو أن يكون أحد في خدمة أمير فالمخدوم يعتقد أن خادمه ممنون له لكونه يأخذ ماله . والخادم يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه يأخذ منه شبابه وصحته . أو أن يكون احد قد زار صديقاً له ليسامره وبالمزور هم وقلق . فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على صاحبه وقس على ذلك المعلم والمتعلم والمادح والممدوح والمغنى والمغنى له . فمن ثم لا ينبغى للرجل أن يحسب أن مجرد اطعامه المرأة

والباسه اياها منة منه عليها . فان حقوق المرأة أكثر ان من تذكر . قلت قد لحنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى أي الرجال أحب الى النساء . قالت ان أقل لك تعربد . قلت قولي لا بأس فانما هو بساط حديث نشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره . قالت يوم النشر اذاً . فاعلم ان الكاعب من النساء تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حساناً . والمعصر تحب الشبان بالشرط المذكور . وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها أرفق وأعشق . ولكن ذلك لا يسمي محبة لانه يؤول الى نفع نفسها . ومن شرط المحبة أن تكون مجردة عن الاستنفاع . ولكن هيهات فان كل محب اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه فعلى هذا فالمحبة عندي لفظ يرادفه الفائدة . فقول القائل انا احب فلانة حقيقة معناه انا استفيد منها . فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين ومن جاوزهما في السن قليلا بالشرط المذكور . واما النصف فتحب الثلاثة والكهل ايضا بذلك الشرط . واما العجوز فتحب الجميع . قلت ما قولك في الشوارب. قالت هي زينة الفم كما ان الحواجب هي زينة العيون. قلت وفي اللحى . قالت حلى الشيوخ . قلت وفي العارضين . قالت بخ بخ هما زينة الناظر والمنظور اليه . قلت اى حسن فيهما وخصوصا مع حلق الشاربين . قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر . او الورق للغصن . او القطيفة للثوب . او السياج للحديقة . او الهالة للقمر . وبينما هما في الكلام واذا بطارق يطرق الباب . ففتح له واذا برجل معه كتاب من اللجنة المذكورة سابقاً يتضمن استدعاء الفارياق واهله اليهم . فلما طالع زوجته بذلك كادت تطير فرحا وسرورا . وقالت ما ابرك صباح هذا اليوم وما ايمن شمسه . ثم قامت الى الصندوق فاوعت فيه لوازم السفر ما عدا القاموس . فقال لها الفارياق رويدك فان دون هذا السفر امورا كثيرة. فاقمنفزت وقالت اذكرها لى جملة حتي نى أبنفسي جلها . قال اطمئني

واصبرى فانك قد شوشت عقلى بكلامك الاخير. واعوذ بالله من ان يكون سببا في فساد ترجمة الكتاب. فتركته واشتغلت بامرها. وانا كذلك اتركه الى وسواسه في العارضين اذا ليس على ان اشاركه فيه.

الفصل العاشر

فى سفر وتفسير

من جملة مالزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط. وهو ان يغيب الفارياق عن الجزيرة عامين واذا رجع يوظف في وظيفته الاولى. فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب. وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط. فوجد كل شيء ناجزا للسفر لأن زوجته لم تكن في تلك المدة تهمل شيئا. فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بختم القناصل واداء الغرامة الختمية الحتمية. الا انه بقي غير مختوم عليه من قنصل ليكورنه. فلما بلغوا مرساها اراد الفارياق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس. فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل في الجزيرة. قال لا بل تعطي هنا ضعفين فابى وعزم على الرجوع الى السفينة. فرآه وزوجته رجل يدير زورقا فلما علم بقضيتهما قال لهما انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منكما هذا المكاس الحرامى. فركبا في زورقه وعرج بهما من مكان خفى حتى دخلا البلد. ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسيلية ثم سافرا الى باريس. وفيها اجتمع بمسيو دلامرتين

الشاعر المشهور في اللغة الفرنساوية . واقاما فيها ايما تحوفت من الكيس جانبا . (فائدة اذا كنت في بلاد فرنسا فلا تنزل خاناً للانكليز واذا كنت في بلاد هؤلاء فلا تنزل خانا لاولئك)

ثم سافرا الى لندن المحلوم بها . فلما رأت المدينة وما فيها من التحف العجيبة . والرغائب الغريبة . ومن الانوار المزدهرة . والحوانيت النضرة . قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليقظة . نعم الدار هى مقاما . وحبذا العيش فيها دواما . غير اني رايت من نسائها امرا بدعا . قال فقلت الحمد لله على انك بدأت بالنساء فهو من جد طالع الكتاب الذى يراد ترجمته . ولكن أى بدع هو . قالت كنت اسمعك تحكى عن بعض الائمة ان عقول النساء في فروجهن . وقد أرى نساء هذه الدنيا الصغرى عقولهن في ادبارهن . قلت فسرى فاني لم افهم ما اردت . قالت اذا كانت المرأة توقع نفسها بين تهاتر الصنعة والفطرة مع الاستهتار . اى انها تفخم شيئاً بالصنعة ونمو فى الخلقة غير عظيم المقدار . وتهيج الناس على اكباره والفضل كله للتجار . أي اذا كانت تقول بلسان الحال ان لدي عنصر عصار كالاعصار . لايجدى معه الاعتصار . وطبلا فيه زماره لكل زمار. وصفارة فى حالتى الشبع والصفار . ودنا مقعارا . يحتاج الى صمام اذ قد ملىء الى الاصمار . وزوراء تستدعى بالزيارة . واخرنا جريا بالدسار . وجحرا او دحلا ينجحر فيه الحاذر أى انجحار . وحشة ذات اكوار واوكار . وربما ياوي اليه من ليس له وجار . ووأبة موئبة في الليل والنهار . ونقرة ذات تنقير ونقر على ابتدار . وصرة فرث ذات صرير وصرار . وانفوعة اشتملت على صلة ولاسيما عند الاهجار . وعزلا لوانحل وكاؤها لمنت بالدمار . ووطبا لو فش لاكفهر منه الجواى اكفهرار . وكيرا يتطاير من نفخه الشرار . وهيفا اذا هبت في الصيف قال الناس الفرار الفرار . أى اذا كانت خلقت وما تاربها احد فاتخذت لها تربا وراها . ليغنى غناءها . أي اذا جعلت

دأبها كله في تسنيم المسطح . وتقبيب المفلطح . أي اذا استحمقت الناظرين اليها .. واشارت اليهم ان عنـدي قعيدة او نضيده يقعد عليها . أي اذا رمزت اليهم ان الركاز . تحت الجراز . أي اذا استحببت المصادغ ثم جعلت تمشي وتنظر الى حقيبتها وتعجب منها وتزهى بها وتنافس فيها وتحرص عليها وترتاح لها وتشوق اليها . فوجـدت أخرى تفخرها في ذلك ثم وجدت هذه أيضا من غلبتها في الاستحقاب فاجدر أن يقال ان عنولهن في الحقائب . هذا معنى ما قالته والجراز عبرت عنه بالفرع . والترب بالردف والحقيبة بالعدل . ولفظة أي في الاصل . قلت هذه عادة لهن فلا تشاحني في العادات فان لنسائنا أيضاً عادات كثيرة مكروهة في هذه البلاد . وذلك كالتكحيل والتزجيج والتخضيب والتحتئة واليرنئة والثمغ والتسيير والتوقيف والاغتماس والترقن والترثن والتقفز والتطريف والوشم والتنور والامتهاش والجمش والتحفف والنمص والحلت والاستعانة والتفريب والضياق والفرم والالهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعقص الشعر وتقليم الاظفار وتدريمها . وكشف الصدر وتحريك الخصر لمن قرصت أو قرزت أو مرصت أو مرزت أو غمزت . وألحقي به أيضاً العقر وبيضة العقر والاختفاض والاهتجان وغير ذلك . قال فلما كدت أتم كلامي هذا الوجيز حتى استنشاطت واحرنفشت . ثم قالت لقد أبسلك الى التهلكة مقولك . وفضحك عندي وعند الناس فضولك . من أين علمت انهن لا يغنجن . اذا خلجن . ولا يرقصن . اذا قرصن . ولا يستعملن الضياق والفرم . اذا كان الفلهم ذا لهم . أو اذا كان قوأبا . ذا بقبقة مقبقبا . أو اذا كان العفلق . يسمع له جلنبلق . والخنق . أحب الى الهقق . لولا انك جربت منهن ذلك . قلت هذا أمر شائع مستفيض نبه مشهور منوه به ذو دالة وبثلة وتشرير لا يخفى على أحـد . فهو كقول القائل السماء فوقنا والارض تحتنا وهو عند النحاة ليس بكلام أفتغضبين مما لا يصح أن يسمى كلاما . قالت ما لي وللكلام انما غضبي

عن الفعل . انك عندي قوال . وعند غيري فعال . ما هذه صفة المتزوجين ماهذا شأن المحصنين . ياللعجب أنت لا تستحي أن تطلب . وانا أستحي أن اطلب . ألا ليت قاضيا يقضي بين الرجل وامرأته حتى يبين للناس كافة من الظالم والمظلوم منا . قلت فقولي اذاً ليت قاضية . لأن القاضي من حيث كونه والحمد لله ذكراً يحكم للرجل على المرأه . قالت بل الأمر بعكس ذلك فان القاضي لا يرى الحق الا للمرأة على الرجل ولا سيما اذا جأشت اليه وأجهشت وكذا كل رجل الا امرأة نفسه . قلت لله درك من امرأة خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير بأحوال النساء . اني على مذهب سيدنا القاضي . فاني حين كنت أحضر خصام رجل وامرأة وأرى الرجل منتوف اللحية مخرق الجيب ما كنت لأنظر الى المرأة نظر المبريء . ولا سيما اذا اجهشت فكنت أود لو أفديها بروحي . ولكن رويدك لا تزبئري ولا تزخري . ولا تجذئري ولا تجظئري . ولا تحذئري ولا تقدحري . اني لم يبق لي الآن الا النظر فاما التفدية فلا حكم لي اليوم على نفسي . ولكن أخبريني ما هذه الخصلة الغريزية فيكن معاشر النساء . انكن تبكين وتضحكين ايان شئتن من أي شيء كان . ونحن معاشر الرجال لا نبكي الا منكن ولا نضحك الا لكن ومن أجلكن . قالت سبب ذلك هو كون النساء أرق طبعا . وأكرم خلقاً . وأدق فهما وألطف تخيلا . وارأف قلبا وأحنى فؤاداً . وألين جانبا واسرع سمعا ونظرا . وأنفذ فكرا وأعجل تأثرا . وأخف يداً وأعلق بالدنيا والدين . وأقبل للتلقين وأبدر الى الرسيس . والقف للعلق النفيس . قلت مهلا مهلا . قالت وأروق بالا . قلت وبعالا . قالت وأبلغ حيلا . قلت وتململا . قالت وأوفى صلة . قلت وغربلة . قالت وأعجل الطافا . قلت وايغافا . قالت وأكثر ترفقا . قلت وشبقا . قالت وأوفر كرما . قلت وغلما . قالت واطول حبا . قلت وقنبا . قالت وأبهى وجدا . قلت وزرداً وعصدا . قالت وأشهى عتابا . قلت وقرابا .

قالت وأبدع شمطا . قلت ولمظا . قالت وارخم منطقاً . قلت وحمقا . قالت وأسبق شعورا . قلت وأحلى تحدثا . قلت ورفثا . قالت وأغرب رتلا . قلت وعقلا . ثم قلت قد كان حديثك أولا في الحقائب بما يذهب بصبر ايوب . ويزري المثمود والمنجوف والمنجوب . والآن أخذت في تفضيل النساء على عادتك وفي تعداد محاسنهن وستنتهين الى كشف المغطى منهن . فهل تريدين أن أقدم على صاحبنا مجنونا أو نا لم فتفسد ترجمة الكتاب . قالت ان كنت تجن هنا فلا يكون لك في البيت قرصعة كما في الشام . فان المجانين الذين هم في بيوتهم هناك أكثر من الذين هم في أديار الرهبان . قلت لعل ذلك هو الذي أغراك بهذا التشويق المعذب . فكفى عن هذا الحديث الملهب المحرب . بحق من أعطاك هذا اللسان الذرب . وتأهبي للاشخاص الى من يكون عنده شغلي . قالت أليس هو بلندن . قلت لا بل هو في الريف . قالت ويلي على الريف وعلى الفلاحين . من يطيق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج . فان الفلاحين . في جميع البلاد سواء . قلت ثم ننتقل من هنالك الى مدينة غاصة بالرجال . قالت فيها رجال بلا نساء . قلت بل فيها نساء وانما هن قليلات بالنسبة الى كثرة الرجال . قالت ان القليل من النساء كثير . ثم انهما سافرا فى غد ذلك اليوم واذ كانا سائرين فى درب الحديد ذكر المنبه اسم القرية التى كانا يقصدانها فلم ينتبه الفارياق لاشتغال باله بتلك المساجلة . حتى اذا سار طويلا وسال احد السكوت عن رحلته قال له قد فاتتك . فخرج ح وهو آسف على غفلته عن تذكير المنبه . وما بلغوا القرية الا بعد مشي مسافة طويلة وتعب كثير .

(تنبيه) دروب الحديد فى بلاد الانكليز مثل خطوط الكف يسير فيها المسافر الى أى موضع شاطولا وعرضا شرقا وغربا

⟶ ⟵

الفصل الحادي عشر

في ترجمه ونصيحه

ثم لبثا في تلك القرية وشرعت الفارياقية في تعلم لسان القوم . فقال لها زوجها ذات يوم اني اريد ان انصح لك في امر يختص بتعلم هذه اللغة الجليلة . قالت هات ما عندك فهي لعمري اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعي . قال ومن قلبي ايضا . قالت قل . قال من شأن المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا بادئ بدء ما يؤول الى جسم الانسان من العروق والعضلات والربلات الى اخره . قالت قد لحنت ما تعنيه فما هذه بنصيحة . قال فقلت سبحان الله خلق الانسان من عجل . انما اريد ان اقول لك ان من شاء ان يتعلم هذه اللغة ينبغي له اولا ان يبتدئ باسماء من في السماوات لابمن على الارض . فان القوم يتظاهرون بالتقوى والصلاح . حتى ان البغي منهم تجأر وهي مستلقية بالدعاء مرة وبالرفث اخرى . قالت وقد قلقت او هنا بغايا . قلت لا فان اهل القرى الصغيرة في هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح . ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون التورع . فلا ينبغي الآن والحالة هذه ان تسالى عن اسماء الربلات . وستعرفين ذلك كله بعد قليل . بل لاريب عندى في انك تعرفينه دون معرف وتحفظينه دون محفظ وذلك بطريق الافتحار او الالهام . فان لقنك وحدة ذهنك وقوة قريحتك يسهل عليك كل امر عسير . قالت لعمري لو كان مثل هذ الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارخص ما يكون . اناشدك الله كم بلغت من السنين . قلت ماهذا الاستفهام عقب هذا الكلام . قالت أي

فضل هذا الذي نحن فيه . قلت فصل الخريف . قالت فالذنب اذاً على الفصل . قلت اتزعمينني قد خرفت . قالت والا فا هـذا القول الذى زحرت به وتحسبه نصيحة . قلت فافعلي مابدالك فلقد وعظت من لم يتعظ وزجرت من لم يزدجر . ثم لمـا مضت ايام جاءت ذات غداة تقول للفارياق . الا ما احسن هـذه اللغة موقعا في السمع والخاطر وما اخفها على اللسان . فلقد حفظت اليوم منها بيتى شعر من دون تكلف غير اني لم افهم معناهما . فهل لك ان توقفنى عليه . قال اهلا بك اليه ان شئت الان فابرقى حتى امطر . قالت أي لفعة انت ما عنيت الا المعنى قال فقلت وما المعنى الا ما عنيت فاني اعلم عين اليقين انك لم تضمرى غيره . ولـكن انشديني ماحفظت فقالت

Up up up thou art wan ed,
She is weary and termei td,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted

اب اب اب ظاو آرت وانتد شى ازويرى اند طرمانتد

ذوهر جستس شى ازهنتد بي هر هزبنـد شى هز فانتد

فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امراة عليه . ولـكن لست أدري أية امراة هى فيقول ما معناه

تبغي لكاعى سد سميها معا اد يفتح الثانى لسد الاول

كالاذن ان حكت تهيج اختها وتظل هائجة اذا لم تفعل

فتمعر وجهها غيظا وقالت ما هو الا تمول منك . فانكم معاشر الرجال أبدا لهجون بالسد . فقلت كما انكن معاشر النساء أبدا لهجات بالفتح . قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس في اشعارهم هجر وفحش كما في أشعار العرب . قلت اليست اجسامنا واجسامهم سواء . قالت الـكلام هنا على الـكلام لا على الاجسام . قلت من اين يأتي الفحش الا من الاجسام . فحيثما وجد الحسم وجد منه الفعل . وحيثما وجد الفعل وجد

عنه القول . هدا دين سويفت مع انه كان في درجة هي دون درجة الاسقف فقد الف مقالة طويلة في الاست . وكذا استرن فانه كان قسيسا والف فى المجون . فاما جون كليلاند فا مالف كتابا فى اخبار فاجرة اسمها فني هل جاء فيه من الفحش والمجون بما فاق به ابن حجاج وابن أبي عتيق وابن صريع الدلاء ومؤلف كتاب الف ليلة وليلة . فمما ذكره عن فحش اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ماخوراً جمعوا فيه عدة زواني . وكان بعضهم يفجر ببعضهن بمرأى من الباقى مناوبة . واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان ربلي الفرنساوي المشهور وهو أيضاً من اهل الكنيسة . قالت الم تقل لي آنفا انهم متلبسون بالورع والتقوى . قلت بلى ولم ازل اقول غير ان هذا التلبس قد جرى عندهم مجرى العادة . فان الملبس عليه يعلم ما انطوى عليه الملبس . ليت شعري لو ان احدا لبس مثلا عشرة أثواب ليوهم الناس ان ليس له قبل ولا دبر افيخفى علم ذلك عن الناظر . قالت لا فاذاً هم مدهنون بالدهان . قلت نعم هدا النوع ينمى في هذه الاض كثيرا . فتاوهت وقالت ويلي على المداهنين . كيف اطيق عشرتهم وانا كسائر اهل البلاد المشرقيه منبسطة النفس واللسان . لا اكتم ما في صدري عن عشيري . قلت اياك وذلك . وانما ينبغي لك التكتم والتحرز دائما . واياك أيضاً والاهزاق فان ضحك القوم اهمات وغت واهلاس واهناف وارناء وانتداع وارناك وزقزقة وهرنفة وانتاغ وهنبصة . والا فكوني من التاغيات . قالت كيف تامرني أن اكون من الطاغيات . وأنت لا تزال تشكو من النساء طرا حتى من العادلات . قلت بل المراد ان تغالبي الضحك يقال تغت الجارية — فابتدرتني وقالت يكفي يكفني ما اريد ان تذكر لي الجاريه ولا الجارة . قلت نعم واكلهم نأج وتدلس وتوجس وهمس ومدش وتبرض وهرمزة ومطع وتذوق وتطمم وتغذم . وشربهم غنثرة ولماظ وترشف وتزحن وتزع وترنغ وتقنح وترمق وتمقق وتمزز وتمزر

ونعصص . ومتى تكلمت يجب ان تغضي طرفك وبخفضي صوتك وتبدى
غاية ما يكون من التزن والتوقر . والتحرز والتحذر . والتظرف والتكيس .
والتلطف والتنطس . والتأدب والتخضع . والتعرف والتخشع . والتخفر
والتقزز . والتعوذ والتعزز . والتنزه والتقرش . والتمنع والتجهش . والتنسك
والتنقع . والتاوه والتنطع . والتحوب والتذمم . والتحرج والتأثم . والتحنث
والتحشم . والتدلس والتكتم . والتخنث والتانق . والتودد والتملق .
والتحسب والتحري . والتوقي والتحشي . والتوخي والتخشى . والتبري
والتذكى . والتحذلق والتحصي . والتوقف والتحمي . والتصلف
والتكلف . والتأسف والتلهف . والتحشف والتحنف . والتعفف
والتأنف . والتخيف والتخوف . والتنطف والتنظف . فقالت
ويك ويك ما هذا العلك اتيت بي الى هذه البلاد لتسبكني وتصوغ
مني امرأة اخرى . قلت فديتك فاسمعي ولا يكن كلامك في
هذا الفصل من السنة الاخفاسا أي قليلا . وفي الفصل القابل تزيدين
عشرين في المئة . وان حدثك رجل أو امرأة وجب عليك ان تستحسنى
المحدث وتحبذيه عند ختام كل جملة . وتومنى له وتهيمني أى تقولى له
آمين آمين بسلا بسلا . وتنعميه أى تقولى نعم نعم . وتبجليه أي تقولى
بجل بجل . وتوجليه أى تقولى أجل أجل . وتبسليه أى تقولى بسل
بسل . ولا ينبغى لك فى يوم الاحد أن تطبخى شيئاً وانما كل مما فضل من
يوم السبت باردا كما تفعل اليهود . لان الطعام السخن يسخن الدم ويهيج
الحرارة . ولان سيدنا موسى رجم رجلا وجد يجمع حطبا فى السبت .
ولا ينبغى لك الحركة فى يوم الاحداية حركة كانت الحنت ذلك . قالت
لحنت . قلت ولا ترفعي فيه الستائر عن الشبابيك لئلا يراك الناس فيكون
لك باعثا أيضا على الحركة . الحنت هذا أيضا . قالت قد لحنته وزكنته .
فهمته ولمنته . وعلمته ودريته . وأدركته ووعيته . ولكن ماسببه رهذا

اليوم عندنا يوم الفرح والسرور . والتزاور والحبور . قلت انهم يموتون فيه
لكون سيدنا عيسى أنشر فيه من الموت . ثم ان عليك أن لا تفتري من ذكر
يوم السبت أي الاحد . فان المسمي قد يتغير بتغيير اسمه . وذلك بان تقولى
مثلا ما كان أشرف السبت الماضي وما أجله . من لى بالسبت انما بل حتى
أخلو فيه مع ربى . ياليت كل يوم فيه ساعة من ساعات السبت . الا أن
يوم السبت ليوم عظيم . مهيب كريم . جليل وسيم . كيف كان الناس
يعيشون و لا سبت لهم . كم من سبت فى السنة . وكم في ساعات السبت
من دقائق . وكم في دقائق السبت من ثواني . الا ما ابهى شمس السبت
وقمره . وغلسه وسحره . وازهاره واطياره . وحره وازمهراره . واذا
انكرت فعلة من فعلاتهم فاياك وأن تذكريها لهم . واطرئي ما أمكن على عاداتهم
وأطوارهم ومعالمهم ومشاعرهم ومآكلهم ومشاربهم ومآدبهم وملابسهم .
وعلى طول أظفارهم وأظفارهن وعلى عظم مرافدهن وعلى تفتيل سوالفهن .
وعلى المنفش من شعرهن أعني على قذلهن . وعلى كشف أدبارهم للاصطلاء .
وكلما رأيت شيئاً فى بيوتهم من اثاث وغيره فاستحسنيه وأعجبي به فقولى
وانت مدهوشة . آه ما أحسن هذا . آه ما اجمل ذاك . آه ما ابهى هؤلاء .
آه ما أملح تلك . الا ما اذكى مراحيضكم . وأشذى بواليكم . وأنقى مرافقكم .
وآنق مشاعبكم . وأنظف اعتابكم ووصدكم . وأبهج نفقكم وسربكم . فهذه
هى الذريعة التي يتذرع بها الغرباء هنا لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم .
واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا بها . ثم ينبغي لك اذا دعيا الى وليمة
عند احد اكابرهم ان تأكلى هنا من قبل ان تذهبى . فان المدعوين لا يأكلون
عند آدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا . وكما ان ادب الآدب
عندنا ان نغصب ضيفه على الأكل ويحلفه برأسه ولحيته وشواربه أن
يأكل فخذ دجاجة أو ست كبيبات أو يلقمه اياها فى فمه . كذلك كان
أدب الآدب عندهم أن يراعى حركات فم الآكل ويديه ليعلم هل هو سرطم

أو ذو لقف ونقف . وكلما تحرك فم أو يد على المائدة — قال فابتدرتني وقالت وخصر . قلت وكفل بل أي عضو كان . وجب عليك أن تقولي لذي العضو المتحرك أنت مشكور على ذلك . أنت ممدوح . أنت محمود . أنت مفضل . أنت محسن . أنت بر . أنت ذو منة وما أشبه ذلك مما يؤذن بضعة المأدوب وبلده وحمارته وهوانه وذله وخساسته وهطرته وكفره(١) وتسكسكه . في مقابلة رفعة الأدب وعظمته وجلاله وابهته وشرفه وكرمه وبذخه وعزته . والحذر الحذر من أن تمدي يدك الى زجاجة الخمر أو الى جفنة الطعام فتأخذي منهما ما شئت . فان ذلك يكون انتهاكا لحرمة المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها . وانما ينبغي أن تنتظري من كرم الآدب أن يوعز اليك في ذلك . واذا قدم لك بضيعة من أرنب فقد خنق مذ شهر وعلق في الهواء حتى أنتن فاثني على الارض التي نشأ فيها جنس هذا الحيوان النفيس وعلى خانقه وطابخه واذا رأيت شيخا ذا وقار وهيبة يخدم عجوزه فلا تنكري ذلك كما أنكره بعض الشعراء المفكرين بقوله

ورب عجوز تحاكي السعالي	تشير وتنهى وتأمر أمرا
بقابلها شيخها بامتثال	ويسعى لخدمتها مستمرا
وتقعد تحكي كلاما سخيفا	ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بداري كلب وهر	وللهر ذعر اذا الكلب هرا
ويرقبني الهر إن كنت أكل يمنى	بيمنى ويسرى ليسرى
وبنتي لبزى تؤاسيه مما	لديها فمنها يلازم حجرا
وقد كان عندي من قبل جرو	تلون بطنا وصدرا وظهرا
وكنت عليه لفي غاية الحرص	أسقيه ملء كؤوسي درا
فجاءت عريزة قوم الينا	فرامته مني والعين شكرى
وكان ينام على فخذي	ويلحس رفغي اذا ما اسبطرا

---

(١) الهطرة تذلل الفقير للغني . والكفر تعظيم الفارسي ملكه

وكان فلان أتاني عام كـــنا بجري فما عاش شهرا
وتسأل ان تنس تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا
الى أن قال .
فاما النساء فما اختصصن به أكل ما أشبه التين نحرا
ويأكان والراح منهن بالجلد مستترات ويعضفن سرا
وتسمع للشاي قرقرة من معاهن تحكى هنا قرقرا
وتأخـذ في صحنها بالمشكة قدار من اللحم يشبه ظفرا
فتعلـكه برهة من زمان ليمـرأ من بعـد أن يتهرا
وزوج المضيف تقول له خذ عزيزي ممـا امامك ودرا
فيشكرها ويقول لقد كثر الفضل منك علي ودرا
وتجلس تقسم اكل الضيوف فتعطيك من ذاك نزرا فنزرا
وفي كل نزر تنال تطاطى رأسك رغما وتشكر شكرا
وان يك لونان قالت لك اختر نصيبك ممـا هنـا وتحرا
كان لم يجز بين دينك جمع كانك ناكح أختين تترى
فقالت هـذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالذائقة عندهم شيا ولو كان المن والسلوى . قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة . وفضائل كثيرة ليست في غيرهم من الافرنج . منها انجاز الوعد وصدق الوفاء فى الحضرة والغيبة . وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة حرمته اي اكرامه لانهم يعفون عن زوجته . قالت لا تتكلف التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة قلت ومنها انهم قليلو الـكلام كثيرو الفعل . حسنو المعاطاة للامور بالترتيب والسياسة . والرشد والـكياسة . ومن يات الى بلادهم فلا يسال عن جواز ولا اجازة . ولا يهمه ان كان جاره قاضي القضاة او وزير الوزراء او شرطيا او جلوازا . ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مثابة فيها بعض الشرطة فيرهقوه بكلام ونحوه مما يكون سببا فى سجنه او غرامته . فكل

الناس فى الحقوق البشرية عندهم متساوون . هـذا وانهم يحبون الغريب ما خلا اوباشهم . ويشفقون على الفقير ويغيثون المحتاج . ويكرمون ذوى السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوى العلم . ويعينون على ادراك العلوم والمعارف فى البلاد الاجنبية . وعندهم جمعيات منعقدة لاجراء كل نفع وخير . وازالة كل شر وضير . وكثير من الاطباء هنا يداوون المرضى مجانا ما عدا المستشفيات المبثوثة فى كل قطر وصقع من بلادهم . ومن ينزل نزلا لديهم او يستأجر غرفـة في منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به وتحفه وترفه وتمرضه . وتدعوه الى مسامرتها ومجالستها من غير ان يستاء زوجها لذلك . واذا اتفق وقتئذ ان زارها بعض معارفها تعرفهم به وتنوه باسمه . وانه اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصى ودعاه الى منزله وجعل اسمه نبيها عند اخوانه ومعارفه . ولا يدع شيا فى وسعه الا ويبذله لراحته ورفاهيته ونخله له الود والنصح حاضرا وغائبا. فرقعة وصاة بيد صاحبها تفيده عندهم باب وام واهل واخوان . وفى الجملة فان كفة محامدهم ترجح كفة مذامهم . وليس الكامل الا الله وحده سبحانه وتعالى . وليس شيء من هذه المزايا الحميدة موجودا فى غيرهم من الافرنج لان غيرهم محاحون ملثيون مراوغون . ذوو ايادى مغلولة والسنة مطلقة . فهم ليسوا كاصحابنا فى الرشد والاستقامة ولا مثلنا فى الانس والكرم . قالت قد فهمت هـذا كله فينبغي ان نعود الى تفسير البيتين بشرط انلا تاتي بشيء من عندك فاني اعرف تزيدك في الكلام . قلت كانك تقولين اني ذو فضول غير فعول كما ذكرت ذلك غير مرة . قالت اذا كنت قد الفته فما يضرك الان والا فعدها فلتة . قلت دونك تفسيرهما من دون تزبب

قم عجلا قم سؤلى عندك　　وابلغ اربا منها جهدك

فلقد ضجرت ولها بعل　　يبغى ان يعسلها بعدك

فقالت انت قلت ان الشاعر يشكو من امراة وها هو يشكو من نفسه. وليس المراة بملومة على ضجرها في مثل هذا الحال . قلت لمثلك تلقى مقاليد الشرح . قالت ومنه يرجى تخفيف البرح .

الفصل الثاني عشر

في خواطر فلسفية

ثم لما مضت مدة على الفارياقية في بلاد الفلاحين حيث لا انس للغريب ولاحظ غير خضرة الارض عيل صبرها وضاق صدرها وعرتها السآمة والقلق . فقالت لزوجها ذات يوم . ياللعجب من هذه الدنيا ومن احوالها . واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشي على ظهرها . كيف تمر عليه الليالي والايام والاماني تغره . والامال تشغله وتمله . وكلما جرى وراءها ليدركها تمدمته و بعدت عنه كظله . وكل يوم يحسب انه في يومه اعقل منه في امسه . وان غده يكون خيرا من يومه . قد كنت احسب ونحن في الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا . وانعم بالا . فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اشقى خلق الله . انظر الى اهل هذه القرى التي حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم و بين الهمج . يذهب الفلاح منهم في الغداة الى الكد والتعب ثم ياتي بيته مساء فلا يرى احدا من خلق الله ولا يراه احد . فيرقد في العشاء ثم يبكر لما كان فيه وهلم جرا . فهو كالآلة التي تدور مدارا محتتنا فلا في دورانها لها حظ وفوز ولا في وقفها راحة . فاذا جاء يوم الاحد وهو يوم الفرح واللهو في جميع الاقطار

لم يكن له حظ سوى الذهاب الى الكنيسة . فيمكث فيها ساعتين كالصنم يتثاءب ساعة و يرقد اخرى ثم يعود الى بيته . فليس عندهم مثابة ولا موضع للسمر والطرب . وليست أيضاً عيشة المتمولين فى الريف بانعم من عيشة الفلاحين اذ لا يعرفون من المطاعم غير الشواء وهذا القلقاس . ولكن ديهات اين المتمولون فى القرى . فانك لا ترى فيها مثريا الا القسيس وخولي الارض وهو الذي يضمن المزارع والحقول من مالكها . وهما أيضاً بمثابة الفلاحين . ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطفت فى اسواق المدن وعاينت ما فيها من الصنائع البديعة والتحف العجيبة والالآت الظريفة والعرش النفيس والثياب الفاخرة والاواني المحكمة ولاسيما مدينة لندن . علمت ان صناعها هم الماثون بالدنيا وهم منها محرومون . فان دأب الصانع كدأب الفلاح من جهة انه يشقى و يكد النهار كله ولا حظ له فى الليل سوى اغماض عينيه . فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا و يبهجونها و يعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها . والمترفون فيها لا يحسنون عمل شيء وربما لم يكونوا أيضاً يحسنون الكلام . واذا كان الناس عباد الله فى ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة فلم لا يجرى العدل بينهم كما يجرى بين الاعضاء . فان الانسان اذا أكل شيئا أو لبس شيئاً فانما يفعل ذلك لأصلاح الجسم كله . أم يزعم المثرون اذا وسعوا على هؤلاء الضناك الصعاليك . ونفسوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم ودرهم على تربية أولادهم انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعطل وتمحل فيهلكون جوعا . فما بال ذي الدولة اذا يولي المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يسلده عملا و يرقيه مرتبة ولا يخاف أن يفسد عمله بكثرة مايعطيه . لا بل ان الفقير اذا كفاه واليه أو سيده المونة وهو شيء بالنسبة اليه هين فانه يؤدى

ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس . ويدعو له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبيت الليالي شابحا يديه بالدعاء عليه . لتيقنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواه ذاهب فى تسمين غيره . وفى حمله على البطر والعتو واقتناء ما لا تلزم قنيته من الخيول المطهمة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد . فيأكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعاء الفقير عليه . أم يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقراء لخدمتهم فقط . لعمري ان حاجة الغنى الى الفقير أشد من حاجة الفقير الى الغني . أم يأنفون من النظر من مقامهم الرفيع السامي الى ذوي الضعة والخمول خشية أن يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم . كمن ارتقى شرفا باذخاً وتحته هوة عظيمة فهو يأبى من أن يتطأطأ وينظر اليها لئلا يلحقه من ذلك دوار أو غشيان فيهبط من شرفه . ليت شعري هل جرب الاغنياء حينا من الدهر ان يسعدوا الشقي بمالهم وينعشوه برفدهم . ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة . وانما هو محض وهم دخل فى رؤسهم مع الرحيق فخرج هذا ولم يخرج ذاك . الا فليمكنوه من أن يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هى عليه شهراً واحداً فى عمره فى الاقل أو يوماً في العام حتى يموت راضيا قرير العين . واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطله فتخوفهم من فساد نيته لفقره ومن كراهته اياهم أولى . لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة . الا ترى الى هؤلاء الألوف من البنات اللائي يجرين فى اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من الثياب . كيف يتهافتن على الرائح والغادى رجاء ان ينلن ما يتقوتن به ويتجملن به من الثياب . ولا سيما هؤلاء النواشى اللائي لم يبلغن بعد من العمر خمس عشرة سنة . فهذا لعمري الاهتجان بعينه . فكيف يعيبون علينا هذه العادة فى بلادنا وهى مستعملة عندنا على وجه الحلال

وعندهم بالحرام . فلو كن مكتفيات المؤونة لما فعلن ذلك . لان البنت فى هذا الحد من السن لاتكرع الى الرجال . ولا تضبع للبعال . ولا سيما فى البلاد الباردة . ولسلم من كيدهن وتهافتن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم شرههم اليهن مضار كثيرة . وما عدا ذلك فان هؤلاء البنات الحسان لو كانت الدولة وأهل الكنيسة يعنون بتجهيزهن بما يقدرهن على الزواج الشرعي بعد تربيتهن وتهذيبهن . لكن يلدن الاولاد الصباح فيزين المملكة بأثمار أرحامهن كما تقول التوراة . بخلاف ما اذا بنين على حالة السفاح فما يتولد منهن الا الخبائث والرذائل . فهن كالشجرة الناضرة التي فضلا عن كونها لاتثمر تلتي بالسم الناقع لن تذوقها . وكم لعمري من بنت حبلت أول مرة من مبادىء شوطها في ميدان العهر . ثم أسقطت جنينها خوف العمر . وان منهن لمن تلد في طرق المدينة في ليالي الشتاء الباردة لعدم مأوى لها . أو انها تبيت مع بنت أخرى على فراش واحد وهي عادة مستفيضة في لندن . وذلك لعدم قدرتها على أن تستقل بفراش وكن خاص بها . فلا تأمن والحالة هذه من أن يلحقها أذى من ضجيعتها ليلا . نعم ان اولاد الزنا يأتون في الغالب شياطنة جبابرة كيفتاح الجلعادي الذي حل عليه روح الرب فأنقذ اسرائيل من بني عمون . وكوليم الفاتح الذي فتح هذه البلاد أي بلاد الانكليز . الا ان النفع الاكثري مع الاقتصاد والاعتدال . أحق بالمراعاة والتقديم من النفع الاندرى مع الاسراف والارغال (١) أليس يعاب صاحب ارض اريضة يغادرها بوراً ومتمرغا للوحوش . او صاحب اشجار متمرة يتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لنهم كل متفكه . نعم لاينكر ان وجود الغنى والفقير فى الدنيا لابد منه كوجود الجميل والقبيح

(١) الارغال وضع الشيء في غير موضعه وهي لعمري جديرة بالاشتهار والاستعمال

ولولا ذلك لوقف الكون عن الحركة وتعطلت المصالح كما افاده المتكلمون.
الا ان الكلام هنا في الفقر الذى لايقال فيه انه عيش مؤدى الى الشر
والبطر . لا فى الفقر المدقع الذي يلقي الهموم والاحزان الدائمة فى قلب
صاحبه . فيفضى به مرة الى الانتحار ومرة الى الاغراق او الخنق كما شاع
فعل ذلك في هذه البلاد . اليس من العار على الرجال فى هذه الارض
ارض العلوم والصنائع والتمدن والتحضر انهم لايتزوجو المراة الا اذا كان
عندها الجهازان . واقبح من ذلك ان الكبراء هنا لا يتزوجون عن حب
بل عن طمع في زيادة المال . فان من كان دخله مثلا مائة دينار فى كل يو
يريد ان يتزوج من دخلها مائة دينار ايضا تماما . ولو كان تسعة تسعين
يصح . ولذلك فكثيرا ما ترى شابا جميلا قد تزوج نصفا شوهاء . وهيهات
فان الرجال هنا اكثرهم مصاييف . أي لايتزوجون الا اذا دخلوا فى حد
الكهول . فيمضون شبابهم في السفاح ومن حد الثلاثين الى الاربعين فى
البحث عمن عندها جدة وغنى . وتبقى الجميلة الفقيرة كاسدة وما عليهم من
الاضافة من عار . مع ان مراعاة الولد في حق الزوجة من اعظم الاسباب
الباعثة على الزواج على ماذهب اليه الربانيون . وان يكن توزيع الولد
يتم بمرة واحدة فى مدة تسعة اشهر . اعنى ان اولاد النصف الشوها
لا يأتون صباحا اصحاء كاولاد الفتية الجميلة . وفضلا عن ذلك فان من
تزوج وهو فى سن ثلثين سنة مثلا امراة في سن ثماني عشرة فمتى بلغ الخمسين
وكانت امراته بعد لفوتا متلعجة، كان له من ولده رقيب عليها . فلاى شي
زيادة المال لمن اغناه الله بفضله . ومن يكن له في كل يوم مائة دينار فما
الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون . فان من لم يكتف بهذا القدر
لم يكفه ملء الارض ذهبا . هذا وان المراة اذا كانت غنية فلا بد وان
يتبع غناها عناء . لانها تتعمد ح الولائم والمآدب والمحافل وان تزور وان
تزار . وان تتخذ لها من الخدام من تقر عينها بترارته وبضاضته . وكم

اختلج منها عضو تمارضت وتوحمت على السفر او الارافة . وهناك حالة كون زوجها فائر الدماغ بالامور السياسية او البواعث المالية فى مقره تخلو بمن تخلو . وتلهو بمن تلهو . وبيد خادمها من الدينار ما يعمى عينه ويصم اذنه ويقطع لسانه . اليس هؤلاء الاغنياء يعنون بالامراض والادواء كالفقراء ، اليس الموت يفاجئهم وهم فى غمرة لذاتهم منهمكون . وان كثيرا منهم لسرفهم ورغبهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم فى الشهوات يموت عن غير ولد ، او انه اذا رزق ولد يعيش ما عاش ضاويا نحيفا شقوة له وكمدا على ابويه ، وقد قال احد مؤلفيهم ان من ترى من اولاد الاعيان والامراء هنا تارا قويا فانما هو من الفاح بعض الحشم ، وتري اولاد الفلاحين صباحا اقوياء يلهمون الرطب واليابس ، ولعمرى لو لم يكن لهم هذا الجزاء من الله تعالى أى رؤية اولادهم حولهم معافين محببين لكانوا فى عداد الموتى ، كيف بنى هذا العالم على الفساد ، كيف يشقى فيه الف رجل بل الفان ليسعد رجل واحد ، وأي رجل ، فقد يكون له قلب ولا رحمة ، ويدان ولا عمل ، وراس ولا رشد ولا نهية ، وكيف يقع هذا فى هذه البلاد التى ضربت بعدلها الامثال . لا جرم ان فلاحى بلادنا اسعد من هؤلاء الناس . بل التجار هنا اشقياء على غناهم وثروتهم . فان احدهم يقضى النهار كله وهزيعاً من الليل واقفا على قدميه . وقد سالت واحدا مرة فقلت له لم لا تقعد على كرسي وعندك كراسي كثيرة . فقال لي انها للذين يشرفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا . فاذا قعدت مثلهم صرت منهم . فاما في يوم الاحد فيلبثون خدرى الابدان والافكار . سدرى البصائر والابصار . فاين هذا من التاجر عندنا يعقف احدى رجليه على الاخرى بعض ساعات على اريكته ، ثم اذا حان العصر كبب جبته وراءه وذهب الى بعض المنازه وهو يمشي الخيلاء ، فان كان التمدن والعلم قد سبب هذا فالجهل اذاً

سعادة ، غير ان الفلاحين هنا فى غاية الجهل زيادة على بؤسهم ، ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكد والترقح وليس عندهم مدارس ، قد كنت أظن انهم جميعا يحسنون القرأة والكتابة فاذاهم لا يحسنون النطق بلغتهم، فاني اقرا في الكتاب شيئاً واسمعه منهم مخالفا لحقيقة استعماله ، وناهيك ان اكثرهم لا يعرف اسم بلادنا ولا جنسنا ، وقد قيل لاحدهم مرة ان الملك امر بتسفير خيل فى سفن لحرب العدو ، فقال اني اعجب كيف يقاتل الناس فى البحر على الخيل ، وكأني بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها دونهم ، أو يظنون ان الرجال فى غير البلاد يبيعون نساءهم او يا كلونهن اكلا ، او انهم يتقوتون بالجذور والبقول ، ولو أنهم عرفوا احوال الامم وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اضعاف ما لنا مع شدة بردهم ومنكر هوائهم ودكنة جوهم لما وفى ذلك لهم ، وان غناء الصنعة عندهم لا يقوم مقام غناء الطبيعة عندنا من طيب الهواء والماء وصفاء الجو و زكاء الارض وعذوها ومرائتها ولذة المطعوم والمشروب والتنزه فى الرياض والحدائق . والاكل عند المياه الجارية تحت الاشجار الناضرة . والتردد على الحمامات والسهر في السمر واستماع آلات الطرب . يعرف ذلك منهم من زار بلادا وألف حظنا ونعيمنا . غير ان اللبيب من استخرج من كل ضر نفعا . واعتبر بكل ما جرى عليه فاستفاد وارعوى . قد تعلمت الآن مما لقيت من الوحشة والتقشف في بلادهم كيف أعيش في بلادنا ان رجعت اليها سالمة . وكيف ان الطخطخة والقرقرة والهرر والكركرة والتجلق والهرهرة والاغراب والكدكدة والأهي والهررقة والانزاق والزغربة وطيخ وطيخ وعيط عيط وتغ تغ وهاه هاه لأفرج للهم عن القلب من أواني موضونة ومباني مرصونة . فخير البلاد ما الفت هواءها وألفيت فيها مخلصا لك وده . وكيف يكون خلوص الود من دون كشف السرائر ، وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من دون اطلاق اللسان فى ميدان الكلام

والقوم هنا يتكتمون ويرون ان فى ذكر الانسان ما يحس به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا ، انما مثلي كمثل الثعلب الذي كان يلعب لطبل تضربه أغصان شجرة صوتا عظيما ، فلما أتاه وعالجه حتى شقه وجده فارغا ، لا جرم لا عدت املك خاطري سمعي ، أو كراكب البحر وهو ظمآن يرى الماء حوله ولا يمكنه أن يروي غليله منه ، اني أرى وجه الارض هنا أخضر ولكن لا شيء من هذه الخضرة يبيض الوجه عند الاكل اذ ما به من الطعم شيء ، لان كل ما ينبت عندهم فانما تغصب الارض تنبيته غصبا من افراط التدميل ، فلو كان أحد هنا من اللاطة لسألناه عن طعم بقولهم ما هو ، هذا ماعدا خلطهم المأكول والمشروب وغشهم وافسادهم مامن الله تعالى به عليهم سائغاً طيباً ، وناهيك ان الخبز الذى هو قوام هذا البدن لاطعم له ، فانهم يخمرونه برغوة نبات ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه بعد الاختبار خفقا ، فماذا يفيد القائل قوله اني كنت فى بلاد الافرنج وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد ، بل ذكر ذلك له فيما بعد غصة ، الى مصر الى الشام ، الى تونس ذا النعام ، فهناك تلقى من يزورك أو تزوره ، وهناك تلقى البشر دون تصانع والفضل دون توقف وتكلف ، الى آخر ما ذكرت لى من التأنف والتأفف . لايطيب العيش للانسان الا اذا كان يتكلم بلغته . ليس العيش بطول الليالى ولا بكثرة الايام ولا برؤية أرض خضراء ولا بمشاهدة أدوات وآلات . وانما هو باغتنام انس الأحباب . وعشرة ذوى الآداب . الذين تصفو منهم السرائر فى الحضرة والغياب . وتخلص لك مودتهم فى الابتعاد والاقتراب ، انما الدنيا مفاكهة ، قال فقلت ومناكهه ، قالت ومنادمه ، قلت ومشامه ، قالت وملاءمه ، قلت ومطاعمه ، قالت وملاينه ، قلت وملاسنه ، قالت ومطايبه ، قلت ومراضبه ، قالت ومخادنه ، قلت ومحاضنه ، قالت ومراءمه ، قلت ومفاغمه قالت وملاطفه ، قلت وملاغفه . قالت ومخالمة ، قلت ومعانقه ، قالت ومحاضره ،

قلت ومخاصرة قالت ومباغمه ، قلت ومكاعمه، قالت ومعاشره، قلت ومشاعره ، قالت ومؤانسه، قلت وملامسه، قالت ومساجله، قلت ومباعله، قالت ومخالطه، قلت ومخارطه ، قالت ومطارحه ، قلت ومشارحه ، قالت ومجارزه ، قلت ومراهزه ، قالت ومداعبه ، قلت ومزاعبه ، وهنا كان ختام الملاعبه ،

الفصل الثالث عشر

في مقامة ممشية

حدس الحارس بن هشام قال . كنت سمعت كثيراً عن النساء . حتى كدت أمنى بالنساء . فمن قائل ان المحصن أطيب عيشاً من العزب . وأسلم عاقبة من المزاحمة على منهل دونه مذب . أو المكابدة للوب واللهب . أو التعرض للتجبيه والعطب . وانه كلما صدى قلبه من القرب . جلاه بابتسامة من زوجه عن شنب . وارتشافة من رضاب كالضرب . وسماع نامة تغني عن آلات الطرب . ومدام ذات حبب . فان مما خص الله تعالى به المرأة من المزايا . وفضلها به من السجايا . ان صوتها الرخيم لا يمرد عليه نكد . ولا يبدو معه هم وكمد . فاول ماتحرك شفتيها . تسكن القلوب اليها . وعند مغازلة عينيها . تنهال المسرات على من هو بين يديها . فيحنبش (١) ويمحش . ويحمش وينتعش . ويدر كل

(١) حنبش رقص ووثب وصفق وزاومشى ولعب وحدث وضحك . (والمحش) شدة النكاح وشدة الأكل (والتحفيش) لزوم البيت الصغير . (ودرقل) رقص وتفحج وتبختر ونحوه دركل (وبحشل) رقص رقص الزنج .

ويدرقل . ويسجل ويدوقل . ويبحشل ويدر بل . وحين تمشي في بيتها متبدحة . تقول لها الاقدار فديناك من مغناج مرحه . ان شئت رفعنا زوجك الى قرن الغزالة . لينعم بالك بأحسن حاله . وان شئت بماء عندك الليله . لم تعينا في ذاك حويلة . وان شئت أن نزين له السفر . عاماً أو أكثر . الى طرح ذي أمن أو خطر ، فانت لدينا أكرم من نهي وأمر ، فما عليك الا تضنضة لسان ، أو اشارة بنان ، وحسبنا بطرفة عين ، من بيان

قال وان الزوج متعه الله باحصانه ، وهناه بنضرة بستانه ، وجنى تفاحه ورمانه ، وزاده من آلائه واحسانه ، يعبث بحضرة زوجة باللذات كما شاء ، ان توخى مسا مس وان اشتهى نشوة نشا ، وان شاء داعب ولاعب ، وان ابى الا الجد فالجد طوع له كما احب ، وان له منها منزها (ولكن غير بعيد عن الماء) تغيب فيه الاتراح ، وتطلع منه الافراح ، وبشائر النجاح ، وسرا تزف به الدنيا اليه بعرض بشر ، ومهدى كشر ، ان التوى عليه امر قومته بمهارتها ، وسددته باشاراتها ، وانها اذا تدعبت عليه وتقيأت ، وتبملت له وفيأت ، زاده الله نضرة ونعيما ، وزادك صبرا وجموما ، خيل له انه ملك الدنيا بحذافيرها ، وفاز بجميع لذاتها وحبورها ، وانه قد قام مقام العاهل الاعظم . خليفة باري الامم . فلو راى وقتئذ قاضي القضاة مارا على بغلته . حسبه من اتباعه وخدمته . ولو راى كافها أو وافها . لانف من ان يكلمهما مشافها . فبعث مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثاني وصيفة . وقال لهما ان لدي لكل فاتح قاهر ولاية شريفة . ولكل سائل شاكر وظيفة . ولو ان امرءا اغلظ له وحاشاه في الكلام . وسفه فبادره بالتصريح والملام . أو رأى والعياذ بالله ان يمس له فذالا . ويسومه عليه قفدا واذلالا . فرع الى زوجته اعزها الله فنفت عنه كل كرب . وامنته من كل رعب . وردت عليه حجره من حجرها . وصدارته من صدرها . وقالت له لاتخش من كيده وغله . فانما يدفع كل استحصاف بمثله . فرجع الى ما كان

عليه من الانفة والفخار . والعز والذرار . حتى لو رأى قيلا أوردفا . لهاه بنفسه عن أن ينظر اليهما نظر الاكفاء . فهو الرائع المفنق . المترف المتملق . الآكل وتلقاءه من درر الثنايا ومرجان الفم . ما يخيل اليه ان الـكامخ خير مطعم . والمسيـخ اهنأ مغنم . وان الاجاج والزعاق . اشهى من مدام الاغتباق . الا ولو انه بات معها على فرش حشوه شظايا . وماس منها زغابة لكان له من اوطأ الحشايا . فكل ثمر معها يستحيل الى فنع ونفع . وكل شظف بقربها فهو قصوف ورتع . ومن قائل لا بل عيش العزب اهنا . وللذات اجنى . فان السيدات يحسبنه في كل وقت ذا جموم . وعندهن ان نبة واحدة منه تنفي جميع الهموم . اذ ليس له من تلزه كل ليلة للعظال . وتؤرقه هزيعا من الليل على مثل ذى الحال . ليتذكر دا ئما انه محصن ذات قرطق وخلخال . فهو على هذا محبب عند البنات . محروص عليه من السيدات المتزوجات . مشار اليه بالبنان من الارامل الهامجات . وانه اذا رجع الى منزله رجع ويده خفيفة . وردانفته نظيفة . فلا من تقول له هات . او تلومه على مافات . ولا من تستوحيه عن المستقبل . وتستفتيه في مصالح المهبل . ولا من تزجره عند قيق (١) غيرها له وحلجه اليها بحف حف . أو تنجذه قبل مفارقته اياها اي نجف . أو تقول له نزاف نزاف . والا فالازهاف . ولا من يبكى بين يديه . وهو عاجز عن كـفالته كما يحق عليه . فتراه ابد الدهر مياحا مفراحا . متعرضا للنساء متياحا . شراحا سداحا . رفيقا بالمجح منهن مساحا . وقد قيل في الامثال السائرة سير

---

(١) القيق صوت الدجاجة اذا دعت للسفاد (وحلج) الديك نشر جناحيه ومشى الى انثاه للسفاد (وحف وحف) زجر للديك والدجاج والنجف منع التيس حتى لايقدر على السفاد وذلك بان يشد جلد بين بطنه وقضيبه وذلك الجلد يسمى النجاف (نزف) ماء البئر نزحه كله (وازهف) الى شرا ـ وعليه اجهز و بالشراغرى ـ والخبر زاد فيه وكذب ونم

العجاج في كل فجاج . من لم يكن ذا زوجة كان ذا ازواج .
قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع . وحركته اسرع . وكلامه
انجع . واناؤه اترع . ونغمته ارخم . ونهمته اضرم . ونهزته اقوى
ومزته اروى . وسنانه أذلق . وسهمه أخسق . ونشره أعبق . وحبه
أعلق . وطعمته أطيب وأوفر . ومادته أسكب وأغزر . وقد نسوا أن
تبعق حوضه فى غيرسقى واحد هو عين السبب فى تمكين نزه ونزته .
وتفتير شرزه ولزته . الى غير ذلك مما لايليق أن تقابل به مومسة ولا
حصان . ولا يوصف به دالف ولا تيمان . قال الحارس فلما تراجح
المذهبان . وتمانح المطلبان . قلت في نفسي من لنا اليوم بالفارياق .
فيفتينا فى هذا الامر الرباق . فانه أعلق بالنساء من الربية . وأعرف
بأحوالهن من ذي شيبة وشبيبة . فلقد ذاق منهن الحلو والمر . ولقى من
حبهن النفع والضر . فلو كان حاضراً لدينا . لجلاعنا ما التبس علينا .
فسرت الى بعض أصحابى ، لاطلعه على ما بي . فما كدت أقرع الباب ،
حتى هوى الي زبيده كتاب ، ثم قال بشرى ، فهذا كتاب من الفارياق
بلغني أمس وما يحو الا شعرا ، فتلقفته من يده فاذا فيه ، أما بعد فان

التزطبان هو الذي يعرو البلاد بعرسه
وبها الحسان الغيد يستنشين نفحة فلسه
من كل ذات تدهكر شحاذ نابى ضرسه
شداد رخو فقاره نعاشه من تعسه
وبها الفحول الهائجو ن الى تسدى عنسه
رال اشتفاف جميعها فى قعبه أو عسه
ولربما نبزوه بالاد ساف أقبح رجسه
حتى يعود وما له آس لمعضل السه
ان اللبيب من استشا ر منجذا فى لبسه

لاسيما شأن الزوا ج وحمل فادح وقسه
من شاقه تمويهه ومذاق لذة رغسه
فليبطلن فى قسة كى يستبد بمجلسه
حيث السفاح مفصص من يشرئب للحسه
ان العريب أضر من متهتك فى جنسه
اولا ففى حال العزو بة وهو مالك رأسه
صون لدرهمه وحر مته وراحة نفسه
بل من تزوج يومه خير له من امسه
اذ كان فى حال التعز ب موحشاً من انسه
لكن بشرط نفوزه عن ريبة في حدسه
فالبضع ثم البضع لا تتشاغلن عن قسه
ما ان يضر ختام ما قد طاب نافع رسه
لكنما يجب التحر زمن بواعث نحسه

قال الهارس فلما تصفحت الابيات . وزكنت ما فيها من الاشارات. قلت لله دره ما افصله لامور النساء ناظما وناثرا . وما احوجنا الى استفتائه فيهن غائبا وحاضرا . لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مشكل الزواج. فكانه رأى كل امر دونه فانما صوانه الاعفاج . ثم انصرفت مثنيا عليه . وقد زاد تشوقى اليه .

(حاشية) صفا الهارس مع الفارياق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته فانها مضطربة العبارة . وليس من شأني التدليس على القارىء فقد صار بيننا صحبة طويلة من اول هذا الكتاب. فليتنبه لذلك .

الفصل الرابع عشر

في رثاء ولد

قد غرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كثرتهم و برقحتهم وعيوبهم . وان يراهم أحسن الناس . وان يحسد كل من يفوقه في المحامد والمكارم الا اباه وابنه . ومتى شاخ الرجل وضعف عن التمتع بلذات الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعا بها . ولا لذة للمتزوج اعظم من ان يبيت مع امرأته على فراش واحد و بينهما ولد له صغير لا يؤرقه بكائه وصراخه ولا يبله ببلباله . كما انه لاشيء اوجع لقلبه من ان يراه مريضا غير قادر على الشكوى بلسانه ليعلم ما ينبغي ان يداوى به . بل الاطباء انفسهم يحارون في مداواة الاطفال وقلما يصيبون الغرض . وكان الاولى ان يعين لعلاجهم اطباء اختصوا بمزاولة ذلك عهدا طويلا . وان ينوه بمن نبغ منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع . و يجب على الوالد اول ما يرى ولده قد مرض ان يتعهده ويراعى احواله وما يطرأ عليه و يقيد ذلك في كتاب ليخبر الطبيب به اخبارا مبينا . فربما اغنى ذلك عن كثير من الدواء الذي يجازف به الاطباء احيانا لامتحان حال المريض . ومن اهم ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام . لان الطفل لما كان لا يدرى حد الشبع الذي يقف عنده الراشد كان اكثر اسباب مرضه من الاكل . فليس من الحنو والشفقة ان تطعم الام ولدها كل ما يشتهيه . وانما الاولى ان يلهى عنه باشياء من اللعب والصور المنقشة والالات المزوقة وما اشبه ذلك . وما احلى الولد يطلب شيئاً من ابيه وقد حمر الخجل وجنته اوغض الوجل طرفه . وما احبه وهو مطوق عنق والده اووالدته بيديه اللطيفتين ويقول اني اريد هذا الشيء

لا كله . ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهيه . ويبكى لاجل ما لا ضرر فيه . ولعمرى ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى دموعه لغير تاديب كان بمعزل عن الابوة . وينبغى ان يدرب الطفل على الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقاء الارضاع قليلا . فان الطعام يغذيه ويقويه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته . بل ربما مناها طول ارضاعها اياه بمرض ثم يفده شيأ كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر الناس ذرية . ولا ينبغى ان ترضعه وهى غضبى او مذعوزة مضطربة او مريضة . ثم انه مادام الرجل عزبا او كان لم يرب ولدا قط لم يشعر حق الشعور بالحنو على اولاد غيره . بل لم يعدر والديه اللذين ربياه حتى يدرهما الا بعد ان يصير هو والدا مربيا . والامهات اللاتي يرضعن اولادهن يكن بالضرورة احن فوءادا عليهم من اللاتي يستأجرن لهم المراضع . ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر ، ورب ام وطفل حيل بينهما كما تفرق ارواح وابدان . لم يتمالك ان يذرف الدمع لوعة وتحسرا . وكذا ان قرأ قصصا فيها حكم الاباء بقتل اولادهم الصغار الا برثاء كقتل اطفال مدين بامر موسى على ما ذكر في الفصل الحادى والثلثين من سفر العدد سواء كان ابوا الطفل مؤمنين او كافرين . ومن لم يكن قد تحلى بصفة الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يابنى او ياولدى فلا تثق بكلامه ولا تعول على دعائه . لانه لا يعلم معزة البنوة الا من كان ذا ابوة . وكان الفارياق ممن اذاقه الله حلواء البنين ثم تجرع مع ذلك مرارة التكل . فقد كان له ولد بلغ سنتين وكانه كان قد سبك في قالب الحسن والجمال فجاء لم يعده شيء مما تقر به العين . وكان على صغر سنه ينظر نظر المميز بين المؤنس والموحش ويالف من تملق له ولو باشارة . فكان ابوه اذا رنا اليه ينسى فى الحال جميع اشجانه وهمومه . ولكن لم يلبث ان يغشاه عارض من الكآبة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر اللامة . ويرى نفسه انه غير

جدير بان يتملى بتلك الطلعة الناضرة . وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه و يغني له . حتى الفه الطفل بحيث لم يعد يشأ ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل وحده على انفراد . الى ان قدر الله رب الموت والحياة ان اخذ الصبي سعال في تلك القرية . ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى البلاد من انه لا يوجد فيها اطباء مهرة وكان لا بد من مشاورة طبيب على اية صفة كان . استشار ابواه احد المتطببين هناك . فاشار عليهما بان يتداركاه بالاستحمام بالماء السخن الا رأسه . فعملا بوصيته اياما . ولم يزد الصبي الا سقاما . حتى كان اذا انزل في الماء بعدها يغشى عليه ويرى فوق قلبه لطخة حمراء كالدم على شكل القلب . ثم اشتد به الداء حتى احتبس السعال في صدره وخنث صوته . وكان يعاوده مع ذلك الرعدة والهزة . وبقي في حالة النزع ستة ايام بلياليها وهو يئن انينا ضعيفا وينظر الى والديه كالشاكي لهما مما يقاسيه . فاستحال الورد من خديه عبهرا . وغارت عيناه النجلاوان . ولم يعد شيء من الغذاء والدواء يسوغ في حلقه الا تكلفا . وكان الفارياق في خلال ذلك يذرف العبرات ويجأر بالدعاء الى الله ويقول . رب اصرف هذا العذاب عن ابني الي ان كان ذلك يرضيك . اني لا مأرب لي في الحياة من بعده ولا طاقة لي على مشاهدته في هذا النزع الاليم . فامتني قبله ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه . آه عظمة ساعة . وان كان لا بد من نفوذ قضائك به فتوفه الان . ولعل الفارياق هو اول والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنو . فان رؤية الطفل يغرغر ستة ايام مما لا يطاق . وبعد ان توفي الولد . وابقى في قلوب والديه الحسرة والكمد . استوحشا من مقامهما اذ كان كل شيء فيه يذكرهما فقده ويزيد في لوعتهما . ففصلا منه الى لندرة على حين غفلة وقد وضعاه في صندوق فلما دفناه واستقرا في منزل قال ابوه يرثيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جار   والذكر ما داراك ترب وار

ياراحلا عن مهجة غادرتها ... تصلى من الحسرات كل اوار
خطأ وهمت فاين بعدك مهجتي ... ما في حشاي سوى لهيب النار
رمما اقل الجسم مني فادحا ... فكأنه وقر من الاوقار
ما كان ضر الدهر لو ابقاك لى ... عينا على الآثار والاذكار
ما بعد فقدك رائعي او رائقي ... شيء من الظلمات والانوار
سيان ان جن الظلام علي او ... طلع الصباح وانت عني سار
يابئس ذاك الليل اذ لم يبق لى ... من مطمع فيه الى الاسحار
ارقتني من قبله ستا وفيه ... حرمت خمسي واستطبت شماري
ابني ما يجدي التصبر قولهم ... حكم المنية فى البرية جار
كلا ولا بي قر بعدك من حمى ... ما هذه الدنيا بدار قرار
كم قد حملتك فوق راحي اذ غدو ... ت وروحت نمت حرت خير محار
ولكم سهرت الليل من جرع فما ... أغنى بكاى عليك أو اسهارى
ولكم جأرت لبره دائك ضارعا ... ولغير نفع كان طول جوارى
ولكم حضنتك فى الحنادس خوف ان ... يطرأ عليك من الحوادث طارى
وجمال وجهك لى يخيل انني ... فى روضة أنف ضحاء نهار
ان لم يصورك المصور لى فقد ... صورت بالمأثور من اشعارى
أو ان يكن وارك لحد ضيق ... فالارض عندى اليوم أضيق دار
أو ان تكن عنى حجبت فانما ... بقيت حلاك خوالج الافكار
لانسينك أو احين فما أتى ... حين علي خلا من استذكار
ولا رثينك ما بقيت وان أمت ... فليتلون رثاك عنى القارى
ياحسرة عدم التصبر بعدها ... عدم التصبر فى احتمال خساري
كثر المعاين لى وقل معاوني ... وكوت حشاى شماتة الزوار
فرويت بيتاً قاله من ذاق ما ... قد ذقت من ثكل ووحشة جار
جاورت أعداءى وجاور ربه ... شتان بين جواره وجوارى

يافجعة نزلت فحطم كاهلي تأويبها وابان قصم فقاري
في ليلة فارقت فيها ناظري أبداً وفارقني على اجبار
لاغرو ان يك قدسري جنح الدجي عن ناظري فكل نجم سار
قد كنت أطمع أن يعيش مهنأ بعدي ويبلغ أطول الأعمار
ووددت لو ان ذقت حتفي قبله لكن خيار الله غير خياري
وسدته بيدي رغما ليته هو كان وسدني على ايثاري
عيني اليه رفت وما لي حيلة ياليت من نظر منى انظار
قصرت يدي عن كف ماأودى به ان المصور مظنة الأقصار
لهفي عليه وطرفه لي يشتكي اذ كان لم يقدر على الأخبار
لهفي عليه على السرير موسدا ولو استطعت لكان فوق يساري
لكن أدنى اللمس كان يزيده المسا فكان يؤوه من اشعاري
ويئن أنة مستجير واجفا كالطير فر فبات دون قرار
حتى خشيت الدمع يوم جسمه لما عليه همى كودق جار
يارعشة أودت به قد أورثت قلبي الوجوب ولوعة التذكار
نيت النفوض أقر عيني بعد ان سخنت بنفض فيه ذي اقرار
لهفي عليه في الظلام معانقي وكراي من شفق اليم غرار
لهفي عليه والغناء ينيمه واذا سكت صبا الى الاكثار
لهفي عليه وهو يأخذ من يدي ويعيد ما يعطوه لاستغزار
لهفي عليه وهو لائك ردنه بلآلىء وضاحة ودراري
يايوم أنشبت المنية فيه طفلا لايطيق عوالق الاظفار
ياخطة عالت فسوت بين حتفي والحياة الى مدى مقدار
قد كان يحلو العيش حين يلوح لي والآن مر فصار ذا امرار
لا البعد يسليني ولا طول المدى وتخالف الاعصار والامصار
ما تنقضي الحسرات أوأقضي اسى فبذا علي جرى قضاء الباري

كلا ولا تطفى اوارى عبرتي ولئن همت في الصب كالامطار
فالنار الا نار ثكل تنطفى والماء الا الدمع ضد النار
ياليت راهي العيش يوما راجع وفداء مربوب ابوه الهارى
فاكون فادي عمر نجلي لاقيا حتفى لقاء الصانع المختار
داريت ما لا ضير فيه لاجله فاليوم لست لما يضير اداري
ان المنية والاماني بعده سيان مستويان فى استئثاري
فلتفعل الايام بي ما تشتهى ما بعد هذا الخطب من اضرار
ولتذهب الامال عنى انني لم يبق لي في العيش من اوطار
من ذاق ثكلا مثل ثكلى فاجعا فليقصرن اللوم عن اصبارى
وليبكين معى ويحملنى على فرط البكاء بمدمع مدرار
ما هد ركن الصبر مثل الثكل او حسم المطا كحسامه البتار
الطفل يقضي مرة لكنما يقضى ابوه قبله بمرار
تمروه في نزع ابنه وخفوته ادوار حين اياما ادوار
هيهات من قد اشبهت اطواره فى فقده اوطاره اطوارى
او ان فى سوء الاسى لي اسوة او ان في طول الحياة قصارى
لن ينفع الانسان شيئاً حرصه كل الى اجل على مقدار
الموت غاية كل حي يستوى فيه ذوو الايسار والاعسار
والسابقون يضمهم يوم مع الـمتأخرين الى ثرى منبار
لكن يوم الطفل أفجع حيث لم يعرف له مضمار سعى دار
ماالذ طعم العيش الا من عدا ه الثكل لا من كان ذا ايسار
فالرزء فى الأموال مثل الشعر تر زأه فينبت خلفة الاطوار
فليهن من عاشت بنوه عيشه وليصف مورده عن الاكدار
بعض الرزايا قد يساغ وبعضها يبقى شجا يشجى مدى الأعصار

الفصل الخامس عشر

في الحداد

ثم لما لم يكن بد للفارياق من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤمة سافر باهله الي كمبريج . وبقوا مدة طويلة يعشون وجفونهم ما بين منطبقة ومنفتحة . لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او بالعكس . ثم تراخت عقدة الحزن قليلا عن العيون لا عن القلوب . لان العينين لا تطاوعان القلب دائما . كيف وقد قيل وضعيفان يغلبان قويا . فاستحل كل منهما اولا الصأصأة والوصوصة والتيصيص والتبضيض والتجصيص والتبصيص والوبص والتبصير والتفقيح . ثم اللوح واللمح والنقد والخزر والتخازر والشطور والمحاونة والمخاوصة والملاوصة والتحشيف والعرضنة والرمز والحدل والزر والايماض واللحظ والالتفات والدنقسة والتشاوس والمغاضنة والمخاوتة . ثم الايشام والنظر والبغو والصرو والاجتلاء والتجلية والرنو والبصر والمعاينة والمشاهدة والرؤية والبغي والبقاوة والبقى . ثم الرأرأة واللألأة والتبريق والبشق والتحديج والتحديق والتجحيظ والتبجيم والتحجيم والتجحيم والتحميج والحملقة والمسحرة واللتء والضبز والتبخص والاسفاف والارغاف والورورة والحتر والطنفشة والآتار والحدقلة والطرفسة والزنهرة والبندقة والبنق والتجنيص والتفصيص والتهصيص والارشاق والرعام والبرشمة والرهمة والجرسمة . ثم الشخوص والطمس والجحم والاشصاء والتطاول والتطالل والاشرئباب والاسلنطاء والاشتياف والاستيضاح والاستشراف والاهطاع والتدنيق والترنيق والحت والحتش

والصدء والاستجاد والتامل والتكلة والتفرس والاطلاع والرنو والترني . ثم تصالحت العيون والقلوب . فغدت تلك تترجم عن هذه والنكد مع ذلك مخيم في اطرافها . غير ان الانسان خلق من نطفة امشاج وركب من عدة اخلاط وجواهر واعراض مختلفة . فهو لا يزال ابد الدهر ماشجاً هذا في ذاك وخالطا جدا بهزل وفرحا بترح . فتراه ساعة قانطا واخرى كأشعب . وآونة مفراحا واخرى مبتئسا . ويوما طربا شنما ويوما أو امض يوم عزها . فهو بشر خلقا وغول خلقا . واكثر ما ترى منه غملجيته هذه في امر النساء . فانه ان تزوج بمليحة قال ليتني كنت تزوجت بقبيحة وسلمت من ضيزنية معارفي وجيراني . وان تزوج قبيحة قال ليتني نلحت بمليحة لا كون ذا وجاهة ونباهة . وان كانت امرأة بيضاء قال ليتها كانت سمراء . فان السمر اخف حركة واسخن في الشتاء . وان كانت سمراء قال ليتها بيضاء فان البيض ارطب ابدانا في الصيف . وان كانت كمكامة مكتنزة قال ليتها كانت ممشوقة هيفاء . فان الهيف اقل مؤنة . وان سافر عنها قال ليتها هي التي سافرت وبالعكس . الا في مدة وضعها فانه لا يتمنى ان يكون في موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكن حصره . اذ اخفى شيء من المرأة انما هو بحر لا يمكن البلوغ الى قعره . والحاصل ان للقلب شؤونا كثيرة واحوال متباينة لا يزال يتقلب بها . او لا تزال هي تتقلب به . وعلى كل فتسميته قلبا دالة عليه . ويستثنى من هذه القاعدة شيء واحد وهو ثبات الانسان في كل حال وشان . واصراره في كل زمان ومكان . على تفضيل نفسه على غيره . فان كان فاجرا حسب ان لا بر عند الله الا بره . وان كان فظا غليظا رأى كل كيس ربيز دونه . وان كان بخيلا ظن ان كل حرف يفوه به هو منة كبرى . وان كان دميما ذميما لم ير اللوم الا على نظر الناظرين له . وكما ان عين الانسان تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة بعيوب

الخلق كافة الا عيب نفسه . ولو طاف الدنيا باسرها لما رأى فيها من المحاسن ما في مدينته او قريته . ثم ليس من المحاسن في بلدته ما في بيته . ولكن ليست هي في احد من اهله كما هي فيه . فتحصل من ذلك انه أفضل من العالم كله . ولو انه كان شاعرا او بالحرى شعرورا لا يحسن الا الاطراء على بخيل اوالتغزل بهند ودعد . ثم رأى علماء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوى شقة خمسمائة فرسخ فى يوم واحد . لحسب ان شعره انفع من ذلك والزم. ولو كان مغنيا او لاعبا بآلة من آلات الطرب ورأى جارا له طبيبا نطاسيا يداوي فى كل يوم خمسين عليلا ويبرئهم باذن الله لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع . ولم يخطر بباله قط ان الانسان يمكنه ان يعمر فى الارض دهرا طويلا من دون سماع غناء او عزف بآلة . فمتى يتعلم الانسان ان يعرف نفسه . وان يفرق بين الحق والباطل . وان لا يخلط الحزن الكامن فى القلب بالتحديق والحملقة . واقبح من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره أيضاً يفعل كذلك فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره . ومثله قباحة شان من تلبس الحداد على ميت لها وهي فى خلال ذلك يزدهيها الرناء ويستخفها ذكر الذكران . وترتاح الى رؤية غير اللون الاسود وتطربها نغمه القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك . وانك جديرة بان تقعدى على منصة وتامرى وتنهي الوصائف من حولك او بالحرى الوصفاء . وان لا تتناولى شيا بيدك هذه الرخصة . وان لا تخرجي من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة . وان لك فى كل مكان عشاقا كثيرين بحيث لاتعدمين فى كل وقت من يحوطك ويخدمك ويلاطفك وينسيك حزنك . وغير ذلك من الكلام الذي هو انتهاك لحرمة كل من الموت والميت .

قال الفارياق قد رأيت كثيراً من النساء الحواد فى بلاد الانكليز وغيرها وهن أكثر خفة وطربا وازدهاء وضحكا من العروس وأمها . ولم أر بينهن

من كانت تنظر الى ثيابها السود اذا ضحكت نتتذكو ان كركرتها فى غير محلها . أما في أمر الاوج فربما يطلب لهن الحليم عذرا بأن يقول مثلا . لعل زوجها كان يخونها في الليالى الحالكة فترديها بالسواد انما هو لتتذكر سوء أفعاله معها في سواد تلك الليالى . أوان أيامها معه كانت كلهاسوداء كالليالى . فأمافي أمر الولد والأب وغيره فلا عذر لمن أحدت وهى مرارئة مهزقة . ثم ان الحد عنـد الأفرنج مطـلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة العروس . اذ الفحول يتزاحمون على تسليتها وتلهيتها لعلمهم بما تحت ذلك السواد . وبأن هـذه العادة هى من جملة العادات التى خالف استعمالها وضعها . والظاهر ان لفظة الحد في لغتنا هـذه الشريفة مشتقة من حد السكين وأحدها وحددها أى مسحها بحجر أو مبرد فحدت تحد . فكان لابسة الحداد تحد شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة والانكسار وهو أشوق مايكون في النساء . ويويده ان صنفا من الثياب السود يسمى اسبادا . وهذا الحرف يجيء أيضاً بمعنى حلق الشعر كالسبد وانت بتمام المعنى أدرى . وتسمي أيضاً سلابا والسليب هوالمستلب العقل . فكان المرأة اذا تسلبت أى أحدت ولبست السلاب سلبت عقل ناظرها . فأول مايقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لهـا أو في نفسه . فديتك . بابى انت وا ي . لله انت . وقاك الله وهبني الله فداك . ان شئت أن أكون أول من توسل لمحو هذا الحزن من صدرك فعلت . فاني أقدر منك على تحمل المكاره . فالق على هذا الهم القادح وكوني أنت مهناة مسرورة . ان لدي آلة طرب عظيمة وخزعبيلات كثيرة تفرج عنك هذا الكرب. فلو زرتني مرة أو سمحت لى بأن أزورك لم يعد يخطر ببالك شيء من الأشجان . انك رخصة رعبوبة وأرى هـذا الخطب قاسحاً عليك فلا تزول الا بقاسح مثله . ليتك تعلمين ماعندي من الاسى والوجد لاجلك . واني عتيد لان احرم نفسي من جميع المسرات بحيث أراك تفترين عن

- ذلك الشنب الاشهى . وتبدين فى خديك عند الضحك تلك النقرة التى طالما نقرت قلوب العشاق . أى قلب لايذوب لهذا الأنكسار . وأية عين لاتنزف الدمع على هذا الازار . قدنى حزناً لحزنك وحسبي ان أجلو عنك صدا هذا الهم . وكذلك المرأة الحد فانها تعلم وهي ماشية مايخطر ببال ذلك شفق عليها فتعول له أو فى نفسها . نعم والله اني محتاجة اليك لتخفف ى ماأجده اليوم من الوحشة والسدم . وقد بت البارحة وأنا غريقة بحر الأفكار والاكدار . وأراك جديراً بأن تعاقرنى وتسامرني وتماشرني 'درني وتباكرني وتجاورني وتحاضرني وتخاصرني وتذاكرني وتسارني وتسايرني وتداوربي وتشاعرني . فالحمد لله الذى هداني اليوم اليك وهداك الي وقيضك لي . لأني امرأة منكسرة الخاطر ولا بدلى ممن ينفس عني ويؤنسني . حتى اذا نسيت ما أكابده وألم بك كرب كان علي أن افرج عنك فان عندى مصدر اشتقاق الفرج . ومني تنال أتم الحبور . وأعم السرور . فهلم اذاً المخالطة والمراوحة . والمساجلة والمكافحه . فهذا ما ينشأ عن لبس الحداد . ولذلك كان كثير من النساء يوثرن الثياب السود ثقة بانها تقوم فى تشويق من يلاقينه من الرجال مقام الحداد . ولذلك كانت الافرنج أيضاً يحبون اللون الاسود في الملابس ولا يتجاوزونه ولذلك كان لباس القسيسين والائمة أسود .

الفصل السادس عشر

في جور الانكليز

لما فرغ الفارياق من علمه في كمبريج سافر الى لنـدرة على عزم عزم ان يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حمى نافضا . غير ان احد الاطباء الخيرين في هـذه المدينة نفضها عن ظهره ولم يتقاضه شيئا . ثم اصيبت الفارياقية بخفقاني القلب واللسان . فانها كانت وقتئذ مهرت في لغة القوم. ثم اصيب هو بخفقاني العقل والرأي . وذلك انه لما تصرمت مدة غيابه عن الجزيرة وازف وقت رجوعـه رأى أن العود اليها غير احمـد . لان احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبحبحة في المساكن . وتلك عادة للفارياق انه لايدخل بلداً خصيبا الا و يفارقـه ممحـلا كما تقدمت الاشارة اليـه . ولأنه فاته فيها بعض فوائد فحرم منها لطول غيابه . فمن ثم قصد مدينـة اكسفورد ومعه كتاب توصية الى احد اعيانها وعلمائها وهو من أهل الكنيسة . فرأى الوصول اليه متعذرا فان العلماء في هذه المدينـة ليسوا كعلماء مصر في رقـة الجانب و بشاشة اللقاء . بل هم اشد فظاظـة من العامة . وعنـدهم ان الغريب لايأتي الى بلادهم الا والشلاق على عاتقه . ولذلك لما ذهب الفارياق ذات ليلة ليرى بعض هؤلاء العلماء صادفه احـدهم بباب المدرسـة فقال له من تقصد . قال فلانا . قال اين تسكن . قال في محـل كذا . قال اعندك دراهم لتفي اجرة المسكن . قال ما انا بمطران ولا راهب حتى تزعم اني قـدمت اليكم متسولا . ثم لما تعذر عليه الوصول الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا للخير سوى رجل من الطلبة يسمى وليم سكولتك (Williams SCOLTOCK) وآخر من التجار كان الفارياق اشترى منه قطعة حبل ليربط بها صندوقه

فأبي التاجر أن يأخذ ثمنها فكأنه ظن أن الفارياق لم يشترها الا بعد أن استخار الله في أن يخنق بها نفسه . رجع الى لندرة وفاوض زوجته فى ذلك . فقالت له ان الجزيرة اقل خيرا من اكسفورد وأني مللت منها كل الملل . فقد اضعنا فيها زهرة عمرنا ولم نحصل منها على ثمرة فما الرأى أن نعود اليها . فقر رأيه ج على أن يستعفى من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب سر الحاكم يؤذن بذلك . ثم اشتد بالفارياقية الخمتان فرأى أن مقامهما بباريس خير لهما . وذلك لما شاع عند الناس أن هواء باريس اصح من هواء لندرة . وأن المعيشة فيها أرخص والحظ أوفر . وأن الفرنسيس أبش بالغريب من الانكليز وأبر . وأن لغة العرب عندهم أكثر نفعا وأشهر . وغير ذلك من الاوهام التى تدخل احيانا فى رؤوس الناس ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح . ولكن ينبغى قبل سفر الفارياق من هذه المدينة أن نعيد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من المحاسن والجور على أهلها أى على أهل الجمال . لتعلم هل رحيل الفارياق منها حلال أو حرام . وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز . فان الكتاب قارب ان يتم ولم يبق من محال للاسهاب لاني اخشى من أن يأتي هذا الكتاب الأخير أكبر من الاول فيكون ذلك موجبا للقدح فيه من وجهين . أحدهما أن مطالعيه يقولون أن المؤلف كان يؤلف الفصول فى أوله قصيرة والآن ينشئها طويلة . فكأنه كان أولا غير دي دربة بالتأليف أو أنه يريد أن ينسب اليه مضمون قولهم جرى المذكيات غلاء . والثاني أنه كاد أن يلحق نفسه بالطرادين وهو لم يشعر ولم يدر . فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيل وقال وكان وصار . فهو قد تبوأ صهوة الجدل منه واليه . ولم يغادرنا نراجعه ونعترض عليه . فما جزاء الثرثار من المؤلفين . الا القاء كتابه في الصمين .

قال الفارياق تصور في عقلك أنك ساكن فى حارة من حارات لندرة

ذات صفين متوازيين . متصاقبين متناوحين . في كل صف عشرون دار ـ ولكل دار باب . ولكل باب عتبة . وامام كل عتبة درج أو وصيد مبلط ـ ثم مثل لعينك هداك الله أربعين بنتا من الرم النواهد . والجشم الخرائد ـ والعين المواغد . والرجح الثوامد . ذوات التبهكن والمرافد . والمراضب والمشانب : والصلوتة والسجاحة . والاسوله والصبلحة . واللباقة والملاحة . والكلثمة والترارة . والوثامة والنضارة . والوضاءة والبشارة . والقسامة والشارة . والطلاوة والوثارة . والوسامة والبضاضة . والطراوة والغضاضة . والغرض والمسالة . والملد والعبالة . ومن الزهر والغر والقر والصهب والصبح والصحر والعفر والفضح والمغر والادم والخلس والبيم والود والعين والنجل والشهل والبرج . والشكل والدعج والجود والبلج والفرق والزج والجبة والبلج والبلد والذلق والخنس والشم واللمس والحو واللمى . ومن كل

رعبوبة شطبة تارة او بيضاء حسنة رطبة حلوة أو ناعمة . وكان حق هذا الحرف ان يوضع في جدول الكتاب الثاني لكن رأيت الحكاكات اولى به لتحقق معناه فيهن .

ولبة لطيفة

وذات وجه مصفح المصفح من الوجوه السهل الحسن

وبهصلة شديدة البياض

وربلة عظيمة الربلات والربلة ويحرك كل لحمة غليظة والربالة كثرة اللحم .

وربحلة ضخمة جيدة الخلق طويلة .

ورييل ناعمة لحيمة .

وذات شعر رجل بين السبوطة والجعودة .

ورفلة اي تجر ذيلها جرا حسنا .

وزولة خفيفة ظريفة فطنة .

وذات عين سبلا　طويلة الهدب .
وذات صوت خريد　لين عليه أثر الحياء .
وسبحل　ضخمة كالسبحلل .
واسحلانية　المرأة الرائعة الطويلة الجميلة .
وطفلة　رخصة ناعمة .
وعبلة عثلة　ضخمة فخمة .
وعيطل　طويلة العنق في حسن جسم .
وعطبول　فتية جميلة ممتلئة طويلة العنق .
وعيطبول　طويلة القد .
وعميثلة　البطيئة لعظمها وترهلها ومن تسبل ثيابها دلالا .
ومكتلة　مدورة مجتمعة .
وهيضلة　الضخمة الطويلة .
وهيكلة　عظيمة .
وهولة　المرأة تهول بحسنها .
وعيلهل　طويلة ومثلها العيطبول والغلفاق والعنشطة والعنطنطة والعلهبة والسلهبة .
وعندلة　ضخمة الثديين وهي أيضاً الطويلة .
وعرطويلة　حسنة الشباب والقد .
وعرندلة　طويلة صلبة شديدة .
ومجدولة　لطيفة القصب محكمة الفتل .
وخثلة　ضخمة البطن .
وهركيل　حسنة الجسم والخلق والمشية كالهركولة .
ومأرومة　حسنة الخلق مجدولته .
وجريمة　عظيمه الجسد ونحوها الجسيمة .

وجماء العظام كثيرة اللحم .

وحامة جميلة .

ودرماء لا تستبين كعوبها ومرافقها (من تغطية اللحم لها)

ورعموم ناعمة .

وسلمة ناعمة الاطراف .

وشغموم طويلة مليحة كالشغمومة .

وضخمة عريضة اريضة ناعمة .

ومطهمة السمينة والبارعة الجمال والمدورة الوجه المجتمعته .

وفعمة استوى خلقها وغلظ ساقها .

وقسيمة جميلة وكذا الوسيمة .

وكثمة ريا من شراب وغيره .

ومكلثمة مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة .

وكمكامة قصيرة مجتمعة الخلق .

ووثيمة مكتنزة لحما .

وموشم أو شمت المرأة بدا ثديها .

وهضيم الهضم خمص البطن ولطف الكشح .

وبهنة حسناء بضة .

وبحدن ناعمة

وبادن معروف كبادنة .

وبهتانة الطيبة النفس والريح أو اللينة في عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح .

وبهكنة شابة غضة ويقال للعجراء تبهكنت في مشيتها .

وجهانة شابة .

وحبناء ضخمة البطن

وذات شعر حجن متسلسل مسترسل .
وخليف المرأة التي أسبلت شعرها خلفها .
وراقنة حسنة اللون .
ومسنونه الوجه حسنته سهلته أو في وجهها وأنفها طول
ومشدونة العاتق من الجوارى .
وذات عسن الطول مع حسن الشعر .
وعكماء تعكن بطنها .
وغيسانة ناعمة .
وفينانة كثيرة الشعر .
وقنين جميلة .
وملسنة القدمين الملسنة من الأقدام والنعال ما فيها طول ولطافة كهيئة اللسان .
ووهنانة بها فتور عند القيام .
وبرهرهة البيضاء الشابه والناعمة أو التى ترعد رطوبة ونعومة والبره الترارة
وذات رهرهة الرهرهة حسن بصيص لون البشرة ونحوه وترهره جسمه (والاحرى جسمها) أبيض من النعمة وجسم رهراه ورهروه ورهره ناعم أبيض .
وفارهة الجارية المليحة والفتية .
وودهاء المرأة الحسنة اللون في بياض .
وموهوهة التي ترعد من الأمتلا .
وسجواء الطرف ساجيته أى ساكنته .
وعابية حسناء من عبا يعبوا أى أضاء وجهه .
وحسنة العرية أى المجرد والمعارى حيث يري كالوجه واليدين والرجلين تأخذ بيديها اللطيفتين مكشطا وصابونة ودلوا فيه ماء حميم . ثم تجثو

على ركبتيها المدملجتين وتطفق تحك عتبة الدار ووصيدها وهى تتذبذب وتضطرب وتتحتحث وتتعثعث وتتمشمث وتتبعج وتتحلج وتتخلج وتترجرج وتتمخج وتتمعج وتتجنج وترتجج وتتضحضج وتتاود وتتخضد وتترعد وتميد وتتأطر وتتدهكر وتتزرزر وتسجهر وتتمرمر وتتململ وتمور وتتحيز وتترجز وتتلزز وتتمزمز وتتهزز وتتحسحس وتترهس وتتمخس وتترخش وتتنفش وترتعص وتترقص وتتلصلص وتتنصنص وتوخص وتتخضخض وتلضلض وتتمخض وتتنغض وتتريع وتتريه وتتسيع وتتنوع وتتنغضف وتترقرق وتتريق وتتركرك وتروه وتربه وتتلوه وتتلوى وتصرى . وربما اتفق مع رؤية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها في الشوارع فما حسن ذلك منظرا وسمعا . ولكن يا أغنياء لندن واعيانها الم يكن لكم من وسيلة لمشاهدة هذه الشواخص والجواهض الا باذالة عرة الحسن المصون . يحل لكم انتهاك حرمة الجمال وابجال أيدي هؤلاء الحسان وركبهن لتملاس اعتابكم . ما بال جيرانكم الفرنساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون خدمتهم تنظيف درج الديار من داخل فقط . فيضع الخادم شيئا كالقبقاب أو النعل فى رجله ويكشط به ماقدر عليه وما لم يقدر عليه يتركه الى المرة الثانية أو الثالثة . ونحن كذلك لا نكلف نساءنا هذا التنطس الذي لامعنى له . وانما نكل اليهن ما آل الى العفش والرفش أي الطعام والفراش . ومع ذلك فتزعمون أنكم تحترمون النساء وتعرفون قدرهن أكثر منا . لمذكر ذلك قولا . فاما تسريحهن فى الليالي الحالكة ليطفن فى كل زقاق وشارع وسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يعد عندنا من الاكرام لهن فى شيء . بل هو أحرى أن يكون ديبوبية وقرطبانية وقلطبانية وكلتبانية ودوثية وديوثية وفمعونية وقوادية ونورية وسقرية وصقربة وعزورية ولياسية وطرعية وطسعية وغندعية وقندعية ودسفانية وادسافية وامذائية ومانوية وشمنبية وشقحطبية وادفائية وأرخية .

ليت شعري كيف يكون قلب الخادمه حين تأمرها مخدومتها في كل يوم قائلة حكى العتبة . أو حين تسألها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك . نعم لو كانت العتبة وردت عندكم بمعنى المرأة كما هي في لغتنا هذه الشريفة لكان لا يبعد أن يسبق وهمها عند السؤال الى ذلك . الاان لغتكم يابس قاسحة لا تحتمل التأويل ولا التخريج . ولست أرى لهذه العادة المشطة من سبب سوى أن أحد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله أعلم منذ ثلثمائة وخمسين سنة . وكانت امرأته دميمة فغارت السيدة منها فكلفتها حك العتبة والوصيد في كل يوم اذلالا لها في عين سيدها . كان القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفنق . أو كان الشيء المجمج يحتاج الى مرفد . أو الشيء المتدملك الى وشيمة من القطن . أو الغيل الى غلاله من الخز . أو المكرة الى جوارب من حرير . فسرت هذه العادة الذميمة في جميع كبرائكم الى عصرنا هذا عصر التمدن والرفق بالنساء . وأنتم أساوى العادات والتقليد . فمتى القتم فعله لم يمكنكم أن تنتقلوا عنها . وذلك كتكايف الفتيان من خدمتكم ذر رماد أبيض على رؤوسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق وككشف عجائزكم في الولائم عن ترائبهن وأذرعهن . مع أنه لا مناسبة بين أوقات القصوف والحظ ورؤية ترائب منجردة تعمي الموم بالقمة . فاما مواطاة الناس على ما اخترعه الأمراء والاعيان على اجراء العادات السيئة فهو غير خاص بكم . بل هو عام أيضا عند سائر الامم الافرنجية .

الفصل السابع عشر

في وصف باريس

كان وصول الفارياق الى هذه المدينة الشهيرة في ليلة ذات ضباب فكانت عيناه ممعشتين عن رؤية ما فيها من الخصائص . فلما اصبح اخذ يطوف في شوارعها كالمتفرغ المتبطل فاذا بها ملآنة من المزالج والمزالق والرواج والروامق (١) والجرآءى والاطناء والرباءى والملموآت والجذابات والرجب والروب والفخوت والحراج واللبج والبياحات والنصاحات والمصايد والفخاخ والشواصر والنوامير والمحازات والدحاحيس والمفاقيس والشصوص والبيصاوات والمفاعات والمجازف والخواطيف والعواطيف والكففف والربق والطبق والعوادق والنشق والعلالبق والاوهاق والشباك والاشراك والشودكانات والاحابيل والكوابيل والشهوم والمصالي . فظهر له ان قوام كل شيء وعتاده وملاكه وقطبه في هذه العاصمة متوقف على وجود امرأة . فجميع الصؤب والكلب والحوانيت والكفت والمرابج والكرابج والكناديج والمفاتح والمحاسب والمثابر والانبار والمخازن والمحارف والمصانع والفنانق والفنادق والدكاكين والقرابق والبلاناث والمنامات والحانات والخانات والافدية والمطاعم والمشارب تديرها نساء وأي نساء. وما من كعب او تأريج او اوارجة او انجيدج او برجان او جذاء (٢) او

(١) الرامج ملواح يصطاد به الجوارح وكذا الرامق

(٢) عبارة القاموس في ب ر ج وحساب البرجان وقولك ما جذا كذا فى كذا وما جذر كذا في كذا فجذاوه مبلغه وجذره أصله الذى يضرب بعضه فى بعض وجملته البرجان انتهى غير أنه لم يحك فى باب الياء غير الجداء بالدال المهملة وعبارة الجداء كغراب مبلغ حساب الضرب ثلاثة فى ثلاثة جداؤه تسعة . واضرب عن ذكر الضرب بهذا المعنى فى موضعه.

ترنايج اوعهدة او محضر او جذر او وصر او قط او فنداق اوصك ارمذاكة او سيال او ترقيم او ترقين او جداء الا وتتعاطاه المرأة هنا . واللبيب من الرجال من اتخذ في حانوته اومحترفه راعجا مليحا ملوح به للشارين والمجتازين في السبيل . ولا فرق بين ان يكون ذلك الراج من اهل بيته او غريبا وانما العبرة بانقفاس الفخ على اعناقهم . هذا وقد اختصت نساء باريس بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نساء الافرنج . فمن ذلك انهن يتكلمن بالغنة والخنة والنشيج والهزج والهزامج والترجيح والتطريب والسكت والحبرة والنبرة والاجش والتعثيث والترجيع والاضجاع والقطعة والتفريد والتهويد والمد والترسيل والترتيل والفصل والوصل والزجل والهلهلة والادغام والترخيم والتدنيم والترنيم والروم والاشباع والتفخيم والامالة والتنعيم والتنغيم والتحزين والحنين والجدن والتلحين والطاش والشجو والترنية . حتى ينتشي السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يفككن ازراره او فقاره . ومن ذلك تغيير الزي في كل برهة وبهن تقتدى سائر النساء . فلو لبست احداهن مثلا عيبا أو حزقت ثوبها لعب الناس حب ذلك العيب وصار التحزيق سنة فيهم . وعنهن يؤخذ أيضاً تقصيب الشعر وسبته وتسريحه وتسميده وتجميره وضفره وتطريره وتنفيشه وعقصه وتصفينة وزرقلته وتشكيله وفرقه وكدحه وكدهه وادرآؤه وجدله وتفتيله وتغبيته ومشطه الكعكبة والمقدمة واتخاذ قصة منه اوذزعة اوقنزعة وجعله مكرهفا اومسبلا . ومن ذلك انه لطول ترددهن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصاً . فترى المرأة منهن تمشي في الاسواق والشوارع وهي تميد وتميل وتتخلع وتتفكك .

وياليت مولانا صاحب القاموس كان يعرف البلكى والمازركى والسوتشكي والكدريل والريدوقى والفلس وغيرها من ضروب الرقص حتى كنت ارويها عنه هنا في حق الماشيات في باريس . ومن ذلك

تحكمهن على الرجال وتعززهن عليهم في كل حال وبال . فترى الرجل يماشي المرأة وقلبه بين رجليها . واذا خلا معها في البيت فهي الآمرة الناهية المستعلية القاضية . وهو المصحب المصحاب المدرج المدلبح المدع المكبوح المكفوح المعنوج المصوب المدخ المتزخ المختضد المسجد المعتسر المشروس المتضع . ولا يزلن طول الدهر وحاما ولاحبل . ويرمن ان يكون لهن كل شيء صهابياً مؤرباً مرفلا موفرا موفلا مسبغا ضافياً مرتبزا وافيا تاما كاملا . حتى ان اللغة الفرنساوية مبنية على هذا الوحم . وذلك انهم يحذفون في اللفظ اواخر جميع الالفاظ المذكورة وينطقون بها في المؤنثة . وعلى ذلك قول الفارياق

عند الفرنسيس المؤنث واجب   تبليغ آخره الى الاسماع
وهو الدليل على تتوق نسائهم   طبعا على التبليغ والاشباع
أو انه صفة الكمال لهن ان   يك ممكنا يوما لذات قناع

وكان احد التيتائيين من نحاتهم غاظه ذلك فجعل من بعض قواعد لغتهم تغليب المذكر على المؤنث . ولكن هيهات فان امرأة واحدة هنا تقوى على عشرين ذكرا . ومن ذلك ان عنوان جمالهن مكتوب على جباههن نظما ونثرا . فمن النظم

ملك الجمال اعز من ملك له   جند وأعوان وعرش أرفع
ذو الملك تتبعه الجنود تكلفا   ولذى الجمال الناس طوعا تتبع

ومنه

من حارب العين خانته مضاربه   وليس يجديه شحذ السيف عن جلده
فمضرب السيف مشحوذ على حجره   ومضرب الطرف مشحوذ على كبده

ومن النثر . الكلام بالغنة . شفاء من العنة . فرط التنهيد . ابلغ في التهنيد . الخدل. جلاء المقل . ضخم الحماة . يفتح اللهاة . صغر الاقدام . يقزح الادام . كم صريع في السوق . من كشف السوق . ان ابراز الترائب .

كاشف غم النوائب . ان العبمب. اسلا للعين واحب . ان الاعجان . داعي الافتتان . ان النوق . أصل الشنق . لا تفكن . الا وزيله التبهكن . التهيم . ادعى للتهييم والتتيم . المغاضنة . دليل المحاضنة . غلائل الصيف . أمضى من السيف . لا فرار . بعد الافترار . لا عاصم . بعد كشف المعاصم . توهج الطيب . اشوق للحبيب . رب ابتسامه . جلبت غرامة . العين غزالة . والقامة فتالة . الحسن معبود . والدينار منقود . الدينار . فكاك الازرار . من اكثر من الصله . نال ما امله . البضع لذى الدنيا . والدنيا لذى البضع . من ذاق عرف . ومن غازل هرف . الى الملهى الى الملهى . فبادر ثم لا تلهى . وعلها بكاس ثم عما شئت فاسالها .

والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال الفرنساويات وجمال الانكليزيات هو ان الاول من قبيل التداوي من الشيء بضده . والثاني من قبيل التداوي منه بجنسه . وذلك ان العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفتور والترهل والتربخ والاسترسال والاسترخاء والاسترخاخ والاسترخاف والرشرشة والنشنشة والانخرار والتملطة والثلمطة والخنت والهنبتة واللوثة والهلاث والابثجاج والطرشحة والامرخداد والترترة والتخثر والفيشوشة والتعة والخراعة واللخع والطريقة والرهوكة والترطلة والغدن والانثطاء المستدعية لنقائضها من الاشتداد والتصلب والاعثرار والتاتب والتقسح والتقسب والتوتر والعلب والتمرد والتعلد والانزاز والتادد والعص والاستعراز والتأيد والكأن والاتكاع والتكلد . وجمال أولئك عنوان على هذه الصفات المستدعية لنظائرها وكلاهما في المرأة حسن . ومن ذلك انهن يرين التقليد في الحب والزي معرة . فكل واحدة منهن تجتهد في فنها حتى تصير قدوة لغيرها . اما في الزي فمنهن من تقبب صدرها بقدر ما تقبب نساء الانكليز بتائلهن . ومنهن من تتخذ لها قبتين من قبل ومن دبر . حتى تكون اذا مشت عائقة لساتها ومواجهها . وكشف الساق لابراز الحماة ونظافة

الجوارب مطرد لهن . فاما في الحب فمنهن من تزيد على صفات المدقم الصفة التي ذكرها أبو نواس فى الهمزية . ومنهن من تؤثر التجضم الكمرى أو الامتلاج القنبي . واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون . فامصاصهم وتبظيرهم ليس من السب فى شيء . ومنهن من تجمع بين اللذتين الخرنوفيـة والفقوريه ولها سعران . ومنهن من تزيد على ذلك ما أراده الشيخ جمـال الدين بن نباته من شوص الفرخ وله ثلثة أسعار . ومنهن من تزيد عليه الشوص بالاخمصين وله اربعة . ومنهن من تمكن من قفط النودلين وثغر ما بينهما مجردا . ومنهن من تضيفه الى اللذتين المذكورتين مع شوص الفرخ بأنامـل وأخامص وهو أغلى ما يكون . ومنهن من تتفاحل وتتقعد على اخرى مثلها . وهذا النوع عزيز لا يراه الاالموسرون . ومنهن من تتعاطى الحرفة التترسية وهو قرع الترس بالترس . ومن أغرب ما يكون أن بعض شيوخ الفرنساوية الذين يشب فـكرهم وتخيلهم لهرم أجسامهم ووهن حركاتهم يؤثرون على جميع الانواع المذكورة التلمط بالعذرة . وذلك بان يضطجع أحدهم وهو عريان ويأمر من تستوي فوقه وتملأ فه . ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغرب من مشخبه زغلة زغـلة أو بمص القنب . وقد يجتمع رجال بواحـدة فيقيمونها بين أيديهم عريانة ويقعد لدى قبلها ودبرها اثنان . ويأخـذ آخر في صب الشراب من فوق صدرها وظهرها . فيبادر اليه الرجلان وهما فاغران أفواههما ويشربانه عند مروره على السمين . والنساء المثريات المغتلمات يستعملن رجالا يقودون اليهن كل من رأوه ابتع من الرجال ولاسيما من أهل الريف . فيدخـلون عليهن فى بعض الديار وهن متبرقعات كيلا يعرفن ثم يأجرنهم على ذلك . وفي الجمـلة فان كل ما يخطر ببال النحرير من امور الفسق يراه الانسان في باريس بعينه بالعين . واعلم أن أهل باريس قد اصطلحوا على امور في المعاش والنساء تميزوا بها عمن سواهم . أما في أمر المعاش فان من

يأكل منهم في المطاعم الشائعة فانه يشارط صاحب المحل أو بالحرى صاحبته على أن يعطيها في الشهر قدرا معلوما ويأكل عندها شيئا معلوما . فتعطيه تذاكر تؤذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يعيدها عليها فيؤدي اليها عن كل شيء غداء أوعشاء تذكرة . فيتوفر عليه فى ذلك ربع المصروف . وقس عليه الحمامات والملاهي وما أشبهها . فاما في أمر النساء فان أصحاب البيع والشراء لما كانوا قد اتخذوا لادارة أشغالهم نساء حسانا كما سبقت الاشارة اليه . فاذا خرجن في الليل بعد انقضاء أشغالهن ترصدتهن الرجال ودعوهن الى مواضع الاكل والقهوة والرقص واللعب . فتذهب كل واحدة مع من تحب . فمتى رافقه الى أحد هذه المواضع علم أن حقه عليها صار ضربة لازب . فاما أن يستوفيه منها تلك الليلة فقط أو يوافقها على اعادة الوصل في كل اسبوع مثلا مرتين أو ثلاثا وأن يعطيها فى آخر الشهر اجرة معلومه . وما بقى لها من الساعات فانها تؤجره لآخرين باجرة معينة . فترى للواحدة منهن عدة عشاق تواصلهم في أوقات مختلفة من الليل والنهار . ومع ذلك فلا تزال تلقب بدموازل وهي كلمة تطلق على الابكار على وجه التعظيم . ومعناها سيدة غير ذات بعل . ومنهم من يتصدى لمعرفة هؤلاء البنات من المراقص . فيعمد الرجل الى بنت ويدعوها للرقص . فاذا أعجبته وأعجبها دعاها للشراب فى موضع مخصوص فى المرقص وعقد عليها عقد الزيارة الشهرى . ومن عامل واحدة منهن مشاهرة لم ينفق عليها نصف ما ينفقه لو قضاها على كل مرة على حدتها . وللنساء رخصة في باريس أن يدخلن جميع المراقص العمومية من دون أن يدفعن شيئا اجتذابا للرجال بكثرتهن . ولكن عليهن أن يرقصن معهم اذا استرقصوهن . الا اذا اعتذرن لهم بعذر يقبلونه كأن تقول المدعوة مثلا قد دعاني آخر من قبلك فلا بد لي من أن أرقص معه أو نحو ذلك . ثم أنه لاحرج أيضا على من اكترى في منزل بيتا مفروشا كان أو غير مفروش أن تزوره صاحبته

فى مسكنه . سواء كانت من النوع الذى ذكرناه أعنى من النساء اللاتي بمنزلة بين الحرائر والزوانى أو من غيره . وان تبيت عنده على علم من الجيران والسكان . فان منزلة هذا عند أهل باريس كمنزلة التزوج . ولا فرق عند أهل باريس بين أمرأة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تربيهم في تقوى الله وطاعة الملك و بين قحبية تبيع عرضها لكل ابن سبيل وتتفنشخ لكل مجتاز فى الطريق كما تقول التوراة . وهناك أسباب اخر كثيرة للفساد فى الديار . وذلك أنه لما كانت جميع الاشغال في باريس تديرها النساء وكان منهن غسالات وخدامات لهن ياخذن ثياب السكان وخيطات وفراشات و بياعات للمأكول والمشروب والملبوس . امكن للرجل أن يصاحب واحدة منهن فتاتية مياومة اذا شاء بحجة أنها تقضيه شيئا أو تبيع له حاجة . أو ملايلة أو مشاهرة أومساوعة أومعاينة وذلك ممنوع في لندرة . بل ربما صاحب الرجل امرأة من نفس الدار التي يسكنها . لأن ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان أصغرها يحوي فى الاقل عشرين نفسا ما بين رجال ونساء . أمكن للرجل أن يعاشر احدى جاراته . بل المتزوجون المقيمون فى هذه الديار لا يأمنون على نساءهم وبناتهم . لان الرجل اذا خرج من بيته وخالفه فيه جاره الى زوجته مئة مرة في اليوم لم يمكنه أن يعلم ذلك لقرب مابين المسكنين . ولهذا كان أهل باريس أقل غيرة على نسائهم من جميع الناس . لانهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه . ولا يمكنهم أن يربوا أطفالهم عندهم خوفا من تضجر الجيران منهم . وانما يبعثونهم الى الريف من أول اسبوع ميلادهم فيربون فى أحجار المراضع . وهي عادة حميدة من جهة أن الاطفال يتقوون هناك بطيب الهواء . وهناك سبب آخر وهو أن المطفل بترشيحها ولدها وتربيته تخسر من نفع حرفتها أكثر مما تعطيه للظئر . لان نساء باريس يباشرن جميع الحرف ولا يرين في التكسب

عارا بأى وجه كان . وهن فى البيع والشراء أنشط من الرجال . ومن تكن جميلة تتقاضى على النظر الى جمالها شيئا زائدا على الثمن . ثم ان حالة الرجال مع النساء على المنوال الذى ذكرناه تعد عند هؤلاء الناس من المصالح المهمة المرتبة المطردة . بمعنى أنه ليس من دار الا ويحصل فيها وصال بين الرجال والنساء مع مراعاة حرمة كل من الزائر والمزور . ومع عدم الاخلال بالوقت الموقوت لكيلا يحصل تعطيل للمزور في شغله . ومع مجانبة ما يسوء الجيران من لغط وعربدة . ولا تكاد ترى في باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف في الليل وهي سكرى كما ترى في لندرة . وندر وجود احداهن فى متاخر الليل . وقل من آذت زائرها او قاصدها . وهناك فرق آخر بين نساء الفرنسيس والانكليز من جهة الخلق لا الخلق . فالظاهر من نساء الانكليز في الغالب الكبر والانفة والصلف . والظاهر من نساء الفرنسيس اللين والبشاشة . الا ان نساء الانكليز لا يتدللن على الرجال ولا يجشمنهم التحف والولائم والملاهي والمنازه والفرج . فاكلة من الكباب وكرعة من المرر تكفيان فى استجلاب رضاهن . وليس عندهن من الروم والمحال . والخلب والاختتال . والدهاء والنكر والاحتيال ما عند نساء باريس . فاما ان تحب احداهن مثلا شخصا وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه . فاما نساء باريس فمما يظهر منهن من الملاينة والمباغمة . والملاطفة والملاءمة . فاذا عاشرت واحدة منهن وشعرت بانك ارتبقت فى هواها ورقبت تبغنجت عليك وتدللت . وتصلفت وتمحلت . واوهمتك ان مجرد كلامها معك منة . وان ارضاءها والخضوع لها سنة . وان كثيرا فى عشقها متيمون ناحلون . هائمون ناسمون . حتى تستقل عليها كل كثير من الصلات والهدايا فتقبل منك ما تقبل وانت لها من الشاكرين . واذا دعوتها لوليمة فلا بد من اروائها من الرحيق المختوم . وتوحيمها بافخر المطعوم . فتلتهم ما تلتهم وتشتف ما تشتف وهي متشبعة متعففة . متمنعة متظرفة .

فاذا ضحكت حسبت ان ليس لضحكها من نظير. واذا مشت ودت لو كان خطوها على الديباج والحرير. حتى ان هذا التصلف أيضا صفة ملازمة للمتزوجات . فان المرأة المتزوجة فى باريس تغرم زوجها على كسوتها فقط ما ينفقه المتزوج من الانكليز على جميع أهله . فدأب الرجل في باريس وهمه وشغله ارضاء زوجته وهيهات ان ترضى وما أحسن ما قيل في هذا المعنى

لايعجب الزوج الا ان تكون بمن تحب محفوفة أولا فاعنات
وكيف يرضى امرء يحمى حقيقته بالقرن والقرن افتوا ايها النات

وقال

وداخلة الانسان تفسد كلها اذا أصبحت زوج له ام خارجه
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة له هى في البيت الفلاني والجه

ولهذا يقال في المثل السائر عند الفرنساويه ان باريس نعيم النساء ومطهر الرجال وجحيم الخيل . ولما كانت حالة الرجال مع النساء هكذا كان ثلثلة ارباع سكان باريس مسافحين . ونصف الربع الآخر متزوجين زواجا شرعيا والباقى منقطعون عن النكاح . كذا اخبرني من يوثق بكلامه . ثم ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرة وتعرف أيضاً ان الناس يعرفونها كذلك . فلا تكلفهم احترامها . ولا تسومهم اعظامها . فاما البغي من الفرنسيس فعندها ان مجرد استبضاعها للبضع يؤهلها لان يكرمها الناس ويداروها . ويجلوها ويسانوها . وذلك لعدم استغنائهم عنها . وجرهم النفع منها . وقد تقدم ان الفرنساوية لا يفرقون بين الحرة والبغي وبقاى هنا ان تقول انهم اشد الناس شبهاً الى البعال . وأقربهم الى السفاح . وناهيك انهم في الفتنة الكبيرة التى حدثت في سنة ١٧٩٣ اقاموا امرأة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها . فصور لخاطرك أيها القاري، كيف تكون الرجال والنساء في هذه المدينة في ليالي

الشتاء الباردة الطويلة . وكم من ملهى يغص بهم وبهن وكم من مآب . وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب . وكم من سرر تهتز . ومضاجع تأز . واجناب تلز . واوطاب تمز . واوتار تنز . انشدني الفاريق لنفسه في وصف باريس واجازني روايته

وفي باريس لذات كما في جنان الخلد جير وحور عين
ولكن شأنهن دوام طمث لكل اربعون من الفرين

وقال في الراقصات

لله در الراقصات لنا على نغم المثاني حيث تجلى الكوب
لو كان يوما وطؤهن علي لم تثقل لدي من الزمان خطوب

وقال في رامج

ذي الباريزية طلعتها كالصبح بها قلبي مغرم
في الليل أريد تحيتها فاقول لها بن جورم مادم

قال وكما أن الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلي بصره بمشاهد تلكم الحكاكات للاعتاب في لندرة على الصفة التي تقدم ذكرها . كذلك تقر عينه برؤية أمثالهن في باريس طائفات في الشوارع والاسواق من دون غطاء على رؤوسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها . بخلاف عادة النساء في لندرة فانهن لا يخرجن الا ملتحفات . قال وعندي أن هاتين الخلتين وهما حك الاعتاب والخروج من دون التحاف هما السبب في قلة وجود العميان في هاتين المدينتين السعيدتين . وقلما ترى في رجالها أحوال أو ازور أو احوص أوأخوص أو ارمص أو اكمس أو اعشى أو اخفش أو أعفش أو اعمش أواغبش أو اغمش أو ارمش أو امتش أو ذا دوش أو مدش أو طخش أو غطش أو غفش أو طفنشا أو غطمشا أو مغطرشا أو مطغمشا أومطرفشا أو مطمرشا أو مطنفشا أو مدنفشا أو مدنقشا . فعلى كل من كان في بلادنا أعمش ذا عين أن يقصد هذه

البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة . وليستصحب معه أيضا لهذا الجلاء جلاء أي لقبا ينبي عن شرف وسيادة . فان القوم يعظمون هذه الزعمة ولا يرون للانسان فضلا بغيرها . وعلى فرض تحرجه من الانتحال والتزوير فان غناه يكسبه اياها من عندهم . لانه متى كان غنيا وجعل دأبه أن يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث أن يتعرف بزمرة من الكبراء السعداء وأن يزورهم في مغانيهم . ويسمونه بسمة شرف تشريفا له وتشرفا به اذا لا يزورهم الا الشريف مثلهم . فاما حرص النساء على هذه الزعمة وخصوصا نساء الانكليز فهو أوسع من أن يحصر في هذا الكتاب .

الفصل الثامن عشر

في شكاة وشكوى

ثم رام الفارياق أن يستأجر شقة دار ليسكنها هو وأهله فرأوا عدة أماكن لم تخل من عيوب . وكانت الفارياقية في خلال ذلك تتمعص من ارتقاء الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فاكثر . حتى اذا تبوأوا محلا وجدوا موقده رديئا . فلم يمض على ذلك أيام حتى طفقت تشكو وتقول . ياللعجب كيف تنخدع الناس أحيانا بشيء وتنوه به دون تحقق معرفة حاله . ومتى يستقر ببالهم وجوده على حال من الاحوال يعد تغيير وهمهم عنه محالا . حتى أن تغيير الوهم من الخاطر يكون أصعب من تغيير اليقين . لان من تيقن شيئا فانما يتيقنه عن علم . ومن طبع العالم أن ينظر دائما في الحقائق واضدادها ولا يزال باحثا عن الصحيح والاصح . فاما الوهم فلا يدخل الا رأس الجاهل . ومتى دخل فلا يكاد

يخرج منه . مثال ذلك وهم الناس أن مدينة باريس هي أجمل مدينة في الدنيا . مع أني رأيت فيها من العيوب ما لم أره في غيرها . انظر الى طرقها والى ما يجرى فيها من الدم والنجاسة ومن المياه المتنوعة الألوان . فمن بين أخضر كماء الطحلب وأصفر كماء الكركم وأسود كماء الفحم . ويتلاحق بها جميع أقذار المطابخ والمرافق . وربما تحتها ولا سيما في الصيف أشد أذى من رؤيتها . فهلا جعل لها مثاعب تحت الارض أو أبيات تنفذ منها الى نهر أو غيره كما في لندن . وانظر الى مبلط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات . فانك ترى حجارته قد اختلت وتباعد بعضها عن بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع عقبة أو درج فهي لا تزال تهتز وتضطرب . وسبب ذلك أن البلاط هنا يفرش فرشا غير مرصوص ولا منضم بعضه الى بعض فاذا أتت عليه سنون زاد تباعداً وتخلخلاً فأما فى لندن فانه يرص بعضه الى بعض قائما فتسير عليه العجلات سيرا سريعا سهلا بلا قرقعة ولا اضطراب . وانظر أيضا الى برازيق الطرق هنا أى حيث تمشى الناس . فما أضيقها وأقذرها وأقل جدواها . ففى كثير من الحارات لا يمكن لاثنين ان يمشيا معا على حافة واحدة منها . بل هي لا توجد راسا فى كثير من الطرق او توجد غير كاملة من الاول الى الاخر فتراها قد تعطلت فى موضع واختلت فى آخر . وانظر الى هذه الانوار القليلة فى الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها . فقد يمشي الانسان فى اكثر الطرق من فانوس الى آخر اكثر من مئة وعشرين خطوة . وانظر الى صغر هذه الحوانيت وقلة انوارها وبؤس اهلها وشحهم . فقلما تجد عند احدهم نارا . مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور . وتأمل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحيضها . فقد تجد فى الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدة مصاب للماء والاقزار .

وناهيك مايخرج منها صباحاً من الروائح الخبيثة . ومع كون هذه المراحيض قذرة نجسة خالية عن لوالب الماء فليس لها مزاليج من داخل ليامن الانسان في حال خلوته من انبعاق احد عليه . فكثيرا ما يدمق عليه دامق ولما يكن اتى على اخر ما عنده فيلحقه بالبدغ والامدر او المتاصع او الجازم او الراطم او المزرم (١) وقد سألت عن سبب ذلك فقيل لي ان صاحب الدار اذا كان متورعا يتحرج من وضع المزاليج خيفة أن يدخل بعض الساكنين والساكنات معاً ويتحصنوا بها . ومن أقذر ما يرى في حيطانها آثار أصابع مختلفة فكان الفرنساوية يستطيبون الاستطابة باصابعهم . وحين ينظفونها ليلا تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر فى الحارة كلها . فلا يمكن للأنسان أن يبيت الا مسدود المنخرين . ثم ان هذه الديار ما عدا كونها تشتمل على ست طبقات فاكثر . وعن ذلك وعن فساد التبليط يسمع لمرور العجلات قرقعة زائدة كما لا يخفى . وما عدا كونها تحوي سكانا كثيرين ما بين فاجر وفاجرة ومستهتر ومستهترة . فان كثيرا من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهواء . ولا يكاد الانسان يستريح فى محل منها . فانه إما ان يجده قريباً من المرحاض . أو يجد موقده رديئاً . أو يجد فيه فاراً أو جرذاناً . أو يجد جاره ذا صخب ووقاحة يغنى النهار والليل أو يعزف بآلة طرب . أو يخلو بالمومسات على هرج ومرج وقرقرة وكركرة . وان من داخلها ما يضحك و يبكى . فالمضحك ما يرى من الخلل فى هندمة الابواب والشبابيك وفرش المبلط بالآجر واتصال بعض المساكن ببعض . والمبكى رؤية هذه المواقد فانها مبنية على شبه القبور وذلك أول ما يخطر ببال الداخل الى مسكنه . فهي

---

(١) البدغ الخارى في ثيابه ونحوه الامدر (ومصع) بسلحه على عقبيه اذا سبقه من فرق أو عجلة (وجرم) بسلحه أخرج بعضه و بقى بعضه (ورطم) السلح حبسه (وأزرمه) قطع عليه بوله

جديرة والحالة هذه بأن تكون صوامع للرهبان المتبتلين لامضاجع للناس المتزوجين . وأغرب من ذلك ان ابواب الدبار لا تزال مفتوحة . وأن البوابين يتعاطون الحرف والصنائع فى كن لهم يلزمونه ليلا ونهارا . فنهم من يشتغل بالخياطة ومنهم بحذو النعال ونقلها وغير ذلك . بحيث أن كل انسان يمكنه ارتقاء الدرج بلا مانع . وقل ان يبصر البواب من كنه أحداً لان عينيه أبدا ملازمتان للابرة أوالاشفى . ولذلك كانت دواعي الفسادفي باريس أكثر منها في لندن . وما يرى هنامن الديار البهيةوالطرق الواسعة الحسنة فانما هو حديث عهد . فكيف كان لباريس شهرة فى الزمن القديم وديارها العتيقه وطرقها العهيدة مما ينبو عنه الطرف وتقذره النفس . فاين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكا كينها الواسعة الظريفة المزججة باحسن الزجاج وأنفسه . ومن ديارها النظيفة المهندمة . قال فقلت ومن حكا كات أعتابها . فقالت ومن أعتاب حكا كاتها . ثم استمرت تقول ومن مسا كنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التى لا تزال مكسوة بالزرابي الفاخرة . ايم الله أن صعود خمسين درجة منها لاهون على من صعود عشر درجات هنا . وأين تلك المواقد البهية المصفحة بالحديد اللماع المجلو في صباح كل يوم . وتلك الشبابيك والطيقان المحكمة الزجيج . واين تلك المطابخ التى لا يزال فيها نور الغاز متوقدا والماء السخن عتيدا للسكان . وكم فيها من وصائف خرد. يتمنى اعظم المخدومين عندنا أن يكون لاحداهن خادما أو طباخا . قلت بل لاجا . قالت أو لا حسا . الا وأين حسن نهر تامس وما فيه من سفن النار التى تسير الى ضواحي لندن فى الصيف وفيها آلات الطرب . فتراها ملآنة من الرجال والنساء والأولاد فكأنما هي رياض مزينة بالأزهار . وأين تلك الحدائق الكثير وجودها في كل جهة في المدينة وهي التى يسمونها ترابيع . ومن يسكن في غرفة مطلة عليها يخيل له أنه مريف . فاذا مشى بعض خطوات

وراءها رأى الناس وازدحامهم اقبالا وأدباراً . ثم اين تلك الأنوار المتوقدة في كلٍ من الطرق والدكاكين . بحيث انك اذا كنت فى أول الشارع وسرحت نظرك الى آخره أدهشك حسنها وازدهارها . وظننت انها نسق كواكب قد نظمت في سلك واحد . وانما يمدح باريس من لم يكن قد رأى لندن أو من رآها بعض أيام ولم يعرف لسان أهلها . ثم أين ملاطفة مكريات المساكن ورفقهن بالنازل عندهن غريباً كان أولا . فان الغريب اذا تبوأ منزلا عندهن يصبح وقد صار واحداً من أهل البيت . لان كلا من صاحبة المنزل ومن الخادمة . وما أدراك ما الخادمة . تلاطفه وتؤانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشتري له ما شاء من السوق . وتطلع اليه كل يوم بالماء السخن وتضرم له النار وتمسح نعاله . لعمري ان النازل عندهن يمكنه أن يتعلم اللغة الانكليزية بمحاورته معهن في أقصر مدة .

فاما فى باريس فان النازل فى أحد هذه المساكن قد يموت فى ليلته ولا يعلم به أحد . فان بينه وبين البواب بعدا باعدا . وفى أكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرسا ليطنه فيتحرك له البواب . ثم أين استقامة تجار لندن وصدقهم فى البيع والشراء وتوددهم الى الشاري وأناتهم معه من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشتري ولا سيما اذا كان غريباً لما تأخروا . وانهم قد حاكوا تجار لندن فى وضعهم بطاقة الثمن على البياعات . ولكن هيهات . فان من سعر حاجة بمئة فرنك مثلا يبيعها بثمانين . وقد يضعون فى وجوه الحوانيت أصنافا من البضاعة مسعرة فاذا أردت أن تشتري شيئاً من ذلك الصنف جاءك بصنف دونه فى الجودة . وحلف لك أنه من عين ذلك الراموز . ولا يزال بك مبربرا ومثرثرا وحالفاً وحانثاً حتى تشتريه حياء أو خصما للنزاع . وغير مرة يعطون الشاري فلوساً أو دراهم زائفة . فاما باعة المأكولات والمشروبات فانهم أكثر غشاً وشططا فى هذه المدينة من سائر الناس . ولهم فى

الوزن لباقة لم أرها عند غيرهم . وذلك ان من باعك شيئاً موزوناً يطرحه في كفة الميزان بعجلة وهوج كالغضبان من رؤية سجنتك أو على الميزان . وأول ما تميل به الكفة يرفعه بلباقة ويسلمه لك . ولو أرسلت اليه خادمك أو ابنك لباعه نفاية ما عنده وكان على السنجة أشد غضباً . هذا ماعداغشهم المأكول والمشروب وتغييرهم الاسعار بتغيير الاوقات والاحوال . وهذه اللباقة معروفة أيضاً عند باعة الاصناف كيلا وذرعاً . فاما ما يقال في مواضع التنزه والحظ في باريس وذلك كحديقة قصر الملك وما يليها فلعمري أن من رأى حدائق كريمون وفكس هال وروجفيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosherville) التي في ضواحي لندن ما عدا حدائق كثيرة في حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها على ذكر غيرها . نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صغرها لكونها في قلب البلد وتلك منحازة عن الوسط . ولكن آه من قلب هذا البلد . كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة في كل يوم فهي عبارة عن حابور . لان النساء ينتبنها ليتصيدن منها الرجال . اذ تجلس المرأة على كرسي بجنب رجل ممن أعجبها وهي لا تعرفه . ويكون بيده كتاب يطالعه وبيدها منديل تخيطه أو نحو ذلك . فيطفق هو يقرأ في الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهي كذلك تمل ملة وتهجل هجلة فلا يقومان الا وهما متعاشقان . حتى اذا كان اليوم القابل تبدل كل منهما مقامه وعشقه . أما الجمال فليس من مناسبة بين جمال نساء باريس ونساء لندن فالذأبة أو الخفوت هناك تعد هنا عبهرا (١) ولعزة الجمال هنا صار عزيزا فان الشيء متى عز عز فكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم فيه أشد . ومن أعجب العجب عندي أن الجميلة الرائعة في لندن تطوف باخلاق من الثياب . والدميمة الشوهاء في باريس ترفل

(١) الخفوت المرأة تستحسن وحدها لا بين النساء .

بالحرير والكشميرى . فأما مواضع الرقص فانها فى لندن تفتح كل ليلة وفى باريس ثلاث مرات فى الجمعة لا غير . وفى أكثر شوارع لندن تسمع الغناء من جوارى حسان وآلات الطرب ليلا ونهاراً من دون غرامة ولا كلفة . وليس كذلك فى باريس الا ما ندر . وغاية ما يقال فى التنويه بباريس وفى تفضيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة ظريفة يجلس داخلها وخارجها الرجال والنساء متقابلين ومتدابرين . فهل لمجرد القعود على كرسي يحكم لها بالفضل وتشتهر عند الخاصة والعامة من اعصر متعددة بانها أجمل مدينة فى العالم . ثم أين حشمة فتيان الانكليز وتأدبهم مع النساء سواء كانوا فى البيوت والشوارع من فتيان الفرنساوية هؤلاء المصاهيص الذين يهصهصون ويهصصون (١) فى وجوه النساء حرائركن أو بغايا . ومتى ينظروا امرأة مكبة لربط شراك نعلها يطيفوا بها فيصيروا لحلقتها حلقة ولحتارها حتاراً . ولاسياحين يأتون الى هذه المناصع ويبدون فيها منادفهم — قال فقلت استمرى فى الحديث وقولى ما شئت بحيث لا تقفين على المنادف . قالت أتغار علي أيضاً من الوقوف بالكلام . وانما وقفت بهراً من هذه الدنيا المبنية على النادفية والمندوفية . لاجرم لو اني كنت فى مقام ملك أو أمير لما أكلت مما مسته أيدي الرجال شيئاً . وبينما هما فى الكلام اذا برجل يطرق الباب . ففتح له الفارياق وهو مستعيذ من دخوله على ذكر المنادف . واذا به يقول . قد سمعت بقدومك فاتيتك رغبة فى ان أقرأ عليك فى العربية شيئاً وأعطيك فى مقابلة ذلك خمسة عشر افرنكا فى الشهر . فلما سمعت الفاريافية أغربت فى الضحك على عادتها وقالت لزوجها . دونك أول دليل على كرم أصحابنا هؤلاء الذين طبل بذكرهم العالم وزمر . فقال له الفارياق ما أريد منك مالا وانما تبادلنى الدرس فى لغتك عن لغتى . فرضى بذلك . ثم زاره احد علماء باريس بعد أيام

---

(١) المصهاص البراق العينين وهصهصه غمزه .

وقال له قد بلغني قدومك وانك مولع بالنظم . فلو نظمت أبياتاً على اريس وذكرت ما فيها من المحاسن لهام ذلك عند أهلها مهام توصية بك . لان الناس هنا يحبون الاطراء والتمليق أي يحبون ان الدخيل فيهم يطريهم بالا راء . واذا كانوا هم دخلاء في غير بلادهم أطرأوا على حكام تلك البلاد ونالوا عندهم الوجاهة والمكانة . فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة طويلة فى مدح باريس وأهلها سماها الهرفية لانه مدحهم مجازفة من قبل أن يعرفهم . وستأتي مع نقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمه بباريس فى الفصل العشرين . فلما وقف العالم الموما اليه على معانيها استحسنها جداً وترجمها الى لغته . وتوصل في ان طبع الترجمة فى احدى الصحف الاخبارية وجاء بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول . قد طبعت ترجمة قصيدتك فى هذه الصحيفة وقد وعدتني جمعية العلم الآسياوية (نسبة لاسيا) بان تطبع الاصل العربي فى صحفهم العلمية . لكونك أول شاعر مدح باريس باللغة العربية . فشكره الفارياق على ذلك وقال له اني أريد نسخة من هذه الترجمة . قال انها تباع فى مكان كذا بنحو ثلثي فرنك فسار واشترى نسخة . ثم قدم عليه بعد أيام بعض من قرأ تلك الصحيفة وهو يقول . قد قرأت ترجمة قصيدتك وأعجبتني . فهل لك في أن تبادلني الدرس . قال هو كما اريد . فاستمر يتردد عليه أياماً في خلالها عرفه بالعالم المشهور مسيو كترمير (Quatremère) وهذا العالم عرفه بمدرس اللغة العربية مسيو كسان دبرسفال (Caussin de Perceval) ثم تعرف أيضاً بالمدرس الثاني مسيو رينو (Reinaud) ولكن كانت معرفته بهم كاداة التعريف فى قولك اذهب الى السوق واشتر اللحم . ثم زاره أيضاً أحد الاعيان الذين يتقدم أسماءهم اداة د وهى علامة النبالة والشرف وهو مسيو د بوفورت (de Beaufort) وكان له اخت في دارها مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبراء . فلما حان وقت امتحانهن في

العلم صنعت مأدبة في بعض الليالى وادبت اليها الفارياقية وزوجها فقال الفارياق لزوجته . هاءك مثالا على كرم القوم فقد مضى عليك مدة وأنت تشكين من الوحـدة ومن بخل من تعرفت بهم وتقولين أنهـم لم يأدبوك قط . وقد كان يأدبك فى بلاد الانـكليزمن كان يعرفك ومن لم يعرفك . حتى انك كثيرا ما كنت تتضجر من ذلك . لمـا انه كان يلزمك له تغيير زيك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان . فابشرى الآن أن اصحابنا بالخير قمينون حريون . قالت نعم منهم قمين حرى . ثم سهراتك الليلة عند اخت الد الموما اليه على أحسن حال وأهنى بال . فرجعت الفارياقية الى منزلها بقلب آخر وهى تقول . نعـم لقد تفضل بوفورت وأحسن كل الاحسان . وقد رأيت من نساء الفرنساوية من البشاشـة والطلاقة ما لم أكن أصدقه . نعم ويعجبنى منهن هذه الغنة والخنة التى تكثر فى كلامهن وهـذا هو الذى جعـل اللغة الفرنساوية فيما أظن مستحبة . وهي من الاولاد أشجى وأطرب . قال فقلت الظاهر أن العرب تحب الخنخنة . فقد قال سيدي صاحب القاموس نخم وتنخم دفع بشيء من صدره أو أنفه . ونخم لعب وغنى أجود الغناء . فضحكت وقالت اظن صاحبك كان يهوى مخنخنةواني أشفق من انك لاتلبث أن تسرى اليك عداوة . سلمت بان الغنة بل اللثغة بل اللدغة تستحب من الغلمان والجوارى . ولكن هل يطيق فتى أن يسمع عجوزا خفخافة تخنخن عليه فى أنفه . وهل تطيق شابة خنة شيخ هرم فى خياشيمها . نعم ويعجبنى من العامة فى باريس أنهم لايسخرون من الغريب اذا رأوه مخالفا لهم فى زيه وأطواره. بخلاف سفلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام . بل ربما تكلف الواحد منهم أن يناديه من مكان بعيد حتى يبح . وما ذلك الا ليقول له انك ياغريب دموى ملعون . ولعلي فى ذلك مخطئة . قال فقلت بل مصيبة فان جميع الناس يثنون على أدب الفعلة وسائر العامة فى باريس وعلى حسن كلامهم .

ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن . فمما كرهت الفارياقية فى باريس غاية الكراهة هو أن النساء يرخص لهن فى دخول الديار مهما يكن من تخالف انواعهما . وزعمت ان ترتيب الديار فى لندن بهذا الاعتبار احسن . فقال لها الفارياق لاينكر أن ديار لندن أحسن ترتيبا باعتبار أن درجها قليل وأن سكانها قليلون ملازمون للسكون . وأن أعتابها تحك فى كل يوم . وأن فى مطابخها ربلات قديمة . وأن داخلها مهندم مفروش بالبسط الجيدة الا انها بلو النار . فأما ديار باريس فانها ابهى على الاحوال ومنظرها في الخارج ازهى . فاما منع المومسات عن دخول تلك وترخيصهن في دخول هذه فهو فى ظنى دليل على اتصاف المومسات في باريس بالادب . بخلاف مومسات لندرة فانهن يتهتكن في الشرب والومس . ولذلك منعن من الدخول الى السكان . وهناك سبب آخر وهو ان بغايا باريس معروفات فى ديوان البوليس واسماؤهن مقيدة فيه . فلا يتجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش . فاما بغايا لندرة فقد خلين وطباعهن . ثم مضت مدة على الفارياقية وهي تقاسي من الخفقان الماً مبرحا . فكان يلازمها اياما متوالية ثم يخف عنها . وفي خلال ذلك ادبت مرة اخرى عند اخت الد . فسارت مع زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذي لم يجدا له فى باريس نظيرا .

ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضر لها طبيبين من النمساوية فعالجاها مدة حتى افاقت قليلا . وكانت اخت الد قد تزوجت برجل اسمه (Ledos) فلما جاء اخوها ذات يوم الى الفارياق على عادته وجد الفارياقية تئن وتشكو من بلوغ الالم منها . فقال ان زوج اختي واسمه وصفت صهري دواء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات وقد ابرأ كثيرين من هذا الداء . فسار اليه الفارياق وسأله ان يأتي معه ليرى زوجته . فقال له

أني غير مرخص لي من الديوان في مداواة المرضى ولكني لا آبى ان آتي معك رجاء ان يحصل شفا امرأتك على يدي . ثم اتى ووصف للفارياقية ان تشرب ماء بعض اعشاب تغلى و بعث لها من ذلك بستة قراطيس . فلما فرغت وطلب الفارياق غيرها جاءت اخت الداعي زوجة المتطبب تقول . ان زوجي يتقاضاكم خمسين افرنكا ثمن القراطيس . فلما سمعت الفارياقية ذلك تراجع اليها نشاطها و بادرتها اجمع وقالت لها . اما تستحيين ان تطلبي هذا المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك ليس بطبيب . فقال لها زوجها ولكن اذكري ان المرأة ادبتنا الى شرب القهوة والشاي مرتين وقد تخللناهما بأشياء من الحلواء والكعك فلا ينبغي مقابحتها . ثم بعد جدال طويل ونزاع و بيل رضيت اخت الداعي بان تأخذ نصف المبلغ المذكور فاقبضها اياه الفارياق فولت وهي مدمدمة وانقطع اخوها عن الزيارة . ومن هؤلاء المتطببين من اذا رأى غريبا بش في وجهه واحتفى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو من سعال او غيره فيصف له دواء . ثم يتقاضاه غرامة رابية على كل زيارة جرت بينهما من اول تعارفهما . ويأتي بجيرة المحل شهودا على الرجل في انه كان كثير التردد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمنا . وحامل لواء هذه الزمرة اللئيمة هو دلكس (D AI ex) المتطبب المنيم في لندرة في Berners street no 16 Oxford street ثم رجع الطبيب النمساوي الى مداواة الفارياقية . فلما نقهت اشار عليها بالسفر من باريس فاستقر الرأي على تسفيرها الى مرسيلية . فقالت لزوجها قد طاب الآن لي السير . من ارض ما فيها خير . هؤلاء معارفك الذين اتيتهم بكتب توصية من لندن والذين تعرفت بهم بعد ذلك هنا بوسيلة علمك لم يدعك احد منهم الى الجلوس على كرسي في بيته . وهذا لامرتين الذي ابلغته كتاب توصية من الشيخ مرعى الدحداح في مرسيلية كتبت اليه تسأله عن امر فلم يجبك .

ع انك لو كتبت الى الصدر الاعظم في دولة الانكليز لا جابك لا محالة سواء بالسلب او الا يجاب . وهذا المتطبب صهر الد غرمنا على ستة قراطيس خمسة وعشرين افرنكا . مع ان هذا الطبيب العساوي وصاحبه قد عالجاني مدة وعنيا بي ولم يتقاضياك شيئاً . وكذلك تفعل اطباء لندن جزاهم الله خيرا . افكل الناس يكرمون الغريب و يرفقون به الا اهل باريس . لقد كنت اسمع انه يوجد فى الدنيا جيل ملاذون ملاثون ملاقون ولاذون ولثيون محاحون مرامقون ذملقيون مماذقون غملجيون مبذخون مطرطرون مطرمذون خيتعوريون مبهلقون مرامقون مذاعون طرفون خيدعيون قشعون مقطاعيؤن أعفكيون مجذاميون جذامريون كموصيون هملعيون منبجيون تلماظيون بذلاخيون وما كنت ادري أي جيل هم . فالآن اغنى الخبر عن الخبر . وتحققت ان هذه الصفات التى كنت استكثرها ان هي الا بعض ما يقال في اهل هذه المدينة . فان مودتهم يقطينية أي تنبت سريعاً كاليقطين و لا تلبث ان تذوى . ومواعيدهم عرقوبية طالما اوعدوا فاخلفوا . ومنوا فازهفوا . وخالفوا فحنثوا . وعاهدوا فنكثوا . يبشون بالمغتر بهم و يهشون . ثم هو ان لازمهم ملوه . وان غاب عنهم نسوه . وما ينجزه غيرهم بنعم و لا فهم يرتبكون فيه اياما وليالي . يبدأونه باساطير طويلة . و يختمونه بتهاتر و بيله . فاما بخلهم على غير المراقص فيضرب به المثل . وناهيك ان نارهم فى الشتاء كنار الحباحب . ولو انهم اوقدوا نار كنار الانكليز لرأيت جوهم اكثر دجنة ودكنة من جو أولئك . وأنهم فى الصيف لا يستسرجون . وما عندهم غير هذين الفصلين من فصول السنة . فاما برد عارم . و إما غم ملازم . الا وان احدهم لينزل الا فرنك اجرة من يعمل له منزلة الدينار عند الانكليز . على ان بلادهم اغلى اسعارا من لندن فى لوازم المعيشة أو مثلها . ارأيت انكليزيا يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس حسابهم بالصنتيم . بل ان

كثيرا من الانجليز لا يعلمون كم فى صنديهم من فلس . نعم وان أحدهم (أى أهل باريس) ليكتب اليك مكتوبا فى شأن مصلحة تقضيها له ولا يدفع جعله . ولقد يضحكني من فخرهم انهم يا كلون ابشع المأكول ولا تزال امعا‌ؤهم ملأى من شحم الخنزير . ثم هم اذا خرجوا الى المحافل والمثابات والمغوا في التفخل والرفلان غاية ما يمكن . وان كثيرا منهم يغلقون فى الصيف كواهم وشبابيكهم ولا يفتحونها ابدا . يوهمون الناس انهم قد ساروا الى بعض منازه الريف ليصيفوا فيه كما تفعل كبرآؤهم . وان كثيرا منهم ليتقوتون بالخبز والجبن نهارا ليبدوا فى الملاهي والملاعب ليلا . وان اشرافهم وذوي الد منهم يا كلون مرتين فى اليوم ويفطرون على محار البحر . والناس كلهم يا كلون ثلاث مرات والانكليز اربع مرات . ولكن معاذ الله ان تكون الفرنساوية كلهم كاهل باريس . والا فياخسر ماضاع الثناء عليهم كما ضاع ماء الورد فى غسل مرحاض . فأما نساء باريس المضروب بادبهن وظرافتهن المثل فلعمري انهن جخر مجخرات (١) واكثرهن لا يستوغلن ولا يتلجمن ولا يعتركن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا يتخذن الفرام ولا المعابيء ولا الفراص ولا الثمل ولا الجدائل ولا المماحي

---

(١) الجخر محركة رائحة مكروهة في قبل المراة وهي جخراء (واجخر) غسل دبره ولم ينق فبقي نتنه (واستوغل) غسل مغابنه (واللجام) ماتشد الحائض وقد تلجمت (واعتركت) احتشت بخرقة (وشمذت) المراة فرجها حشته بخرقة خشية خروج رحمها (والفرام) دواء تتضيق به (والمعباة) خرقة الحائض (والفراص) جميع فرصة وهى خرقة أوقطنة تتمسح بها المرأة من الحيض ونحوها الثمل جمع ثملة والربذ (والجدائل) جمع جديلة وهى شبه اتب من أدم تايزر به الحيض (والماحى) جمع ممحاة وهى خرقة يزال المنى ونحوه .

ولا الر بذ . وليس لهن من نظافة الاعلى ماظهر منهن من نحو قميص ومنديل وجورب . ولذلك تراهن ابدا يكشفن عن سيقانهن وهن ما شيات فى الاسواق صيفاً وشتاء . بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس النجاسة فى الارض . فمن تكن منهن سوقاء افتخرت بساقها وبجوربها معا . ومن تكن نعواء افتخرت بالثاني . وليس فى نساء الارض كلها اكثر منهن تيها وعجبا وزهواء وإرباً وتمنفصاً وخداعا ومحابة وغطرفة وتبغنجا . سواء كن قباحا أو ملاحا . طوالا أو قصارا وهو الغالب فيهن . عجائز أو صبايا . حرائر أو بغايا . ذوات لحى وشوارب أو نقيات الخد . مذكرات الطلعة والسحنة أو لا . على اني لم أر فى جميع النساء تذكيراً الا فى نساء باريس وارلندة غير ان هؤلاء لسن مزهوات معانيج كالباريسيات . وانما الذي صيرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن . وقرمهم اليهن . فترى الفرهد الغساني مخاصرا لسعلاة منهن ومتذللا ومطيعاً لهـا . فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم في بلادنا الجوارى السود تخلصاً من اسرهن وسرفهن . وقد رأيت عامتهن لطاعات أي يمصصن أصابعهن بعدالا كل ويلحسن ما عليها . فاما ذوات الشرف فانهن يغسلن ايديهن فى فنجانة على المائدة بحضرة المدعوين ويتمضمضن بالماء ثم يمذفنه فيها . فهل ذلك يعد من الظرافة والادب . اليس فعلهن هذا افظع من التجشيء عندنا . وانما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من التمت عينه النظر اليهن بعد مدة . وهب ان نساء باريس ظريفات كيسات ولكن ما شأن هؤلاء النساء اللاى يقدمن من السواد والبراغيل والرذانات والرساتيق والمذارع والدساكر والفلاليح . فمنهن من تغطي رأسها بمنديل فلا يبين منه الا شعيرات من عند فوديها . ومنهن من تلبس طرطورا من القماش على رأسها . حتى ان اهل باريس لايتمالكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هؤلاء الباديات . وأقبح من ذلك لهجتهن .

وفي باريس كثير من النساء يكنسن الطرق ويتعاطين اعمال الرجال .
وفى بولون وكالى ودياب وهافر وغيرها من الفرض تجد النساء يحملن اثقال المسافرين على ظهورهن ورؤوسهن وليس في بلاد الانجليز كلها من حمالات الا لاصحاب الاثقال . وزيهن كلهن سواء فكيف يزعم الفرنساويون انهم جميعا متمدنون . ولعمري لو كانت النساء فى بلادنا يخرجن فى الاسواق سوافر ويبدين قوامهن وخصورهن وسوقهن كنساء باريس لما تركن لهن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا . الى مصر بلادا لحظ والأرب . الى الشام معان الفضل والادب . الى تونس نعم الدار فيها اكرم العرب . كفاني من الافرنج ما قد لقيته وعندي ان اليوم فى قربهم عام الا دعني أسافر من بلاد اسقمت بدني . بمأكلها ومشربها وبرد هوائها العفن . فقال لها الفارياق ان كنت تطيقين السفر فشأنك . فقالت لموتي فى الطريق الي أشهي من التخليد في دار اللئام . فمن ثم تأهبت له غيرانه حصل لهـا فى غير ذلك اليوم من الضعف والألم ما منعها عن الحركة .
(وتفصيل ذلك يأتى فى الفصل التالى)

الفصل التاسع عشر

فى سرقة مطرانية ووقائع مختلفة

لما نكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جري . اجتمعت رؤساؤهم فى الدين وارتأوا ان يبعثوا من طرفهم وكلاء الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنا ئسها ومن اهلها الخيرين مددا يقوم باودهم . فاختارت الكنيسة الرومية الارثودكسية الخواجا فتح الله مراش . واختارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اتناسيوس التتونجى مؤلف (كتاب الحكاكه فى الركاكه) . ورجلا آخر معه يقال له الخواجا شكري عبود . فاقبلوا يجولون فى البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا . وكان معهم منشور من مطراني الكنيستين المذكورتين فى حلب يؤذن بوكالتهم من الطائفتين فى هذه المصلحة . فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخواجا فتح الله المزبور ورفيقه الخواجه شكري عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور . وبقى المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما فى بلاد الانكليز . وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكية وهى على مذهب الكنيسة الفرنساويه . لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اساءة الادب وتعدى طور امثاله ما أوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا . فخشي والحالة هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحيق به سوء عمله . فلما ابرز رفيقاه منشور الوصاة لمطران باريس والتمسا منه المعونة عجب من رؤيته اسم المطران التتونجي مذكورا فيه دون رؤية سحنته . فقال لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما فاعتذرا عن غيابه باعذار لم يقبلها المشار اليه . وتذكر ما كان فعله التتونجي من قبل فردهما خائبين . وكان الخواجا فتح الله مراش و رفيقه يتردد أن

على الفارياق مدة مكثهما في باريس . لكن تردد الاول اكثر . وانما انس به الفارياق مع علمه بأنه رفيق التونجى لكونه رآه من ذوى المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال . وقل من كان على مثل ذى الحال وانطوى على غش ودخل . لا العلم يلطف العقل والعيال ترقق القلب ثم ارتبك المطران في رطمة فى بلد من بلاد اوستريا وهو فيما اظن بولونيا . فحصل منه على نكاظ وخزى وسار الى بلاد الانجليز مجتديا . ويومئذ ارسل الى رفيقيه المذكورين ان يلحقا به . فما مضت بعد سفرهما ايام قليلة حتى ورد الى الفارياق كتاب من كاتب اللجنة (أي جميعه أخوية) وفى ضمنه كراسة من كتاب كان قدعربه الفارياق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة . فايقن حينئذ بأن أحد رفيقى المطران عند ترددهما عليه سرقها من مخدعة بأشارة المطران . وانه لما اجتمع به فى لندن سلمها له فاهداها المطران الى اللجنة طمعا في ايصال الضرر من جانبهم الى الفارياق غير ان اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريمة ردت الكراسة على الفارياق . اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة . وكان ورود الكراسة يوم عزمت الفارياقية على السفر . فبلغ منها الغيظ والحزن كل مبلغ حتى لزمت الفراش . فاما المطران فانه تصدى له فى لندرة بعض رؤساء الكنيسة الباباوية ومنعوه من تعاطى الحرفة الساسانية . حتى ان شنعته وشهرته هناك عطلت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصلحة من مصالح الكنيسة . فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا . اما الفارياقية فانها نقهت بعد ايام وصممت على السفر . فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المفخم فى مدينة القسطنطينية ثم شيعها وسفر معها اصغر اولاده تسلية لها . ولما حان الفراق توادعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تعد العين تجيبهما بالدمع وهى المسقفة والمسقبة والتغبيض رجع الى منزله مستوحشاً مكتئبا . وسافرت هى الى

مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت اتم الشفآء . لـكنها لم تغير نيتها عن السفر الى اسلامبول . ثقة بأن هذا الفراق يكون سببا في وشك اللقاء فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادت كتاب التوصية لولده النجيب الحسيب صبحى بيك اذا كان والده حينئذ غائبا . اكرم مثواها واحسن اليها غاية الاحسان . وهذا مثال آخر على الـكرم الشرقى ينبغى ان يبلغ مسامع الامراء الغربيين من الافرنج وفي غضون ذلك نظم الفارياق للمومى اليه قصيدة يمدحه بها على كرمه ومعروفه . ولزوجته ابياتا او دعها ذكر ما لقى من وحشة النوى وستاتي كلها في الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها. ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد القادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه . ثم عيل صبره من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوقة فصار من زمرة المقامرين . لكن جهله بها كان غير مرة يبعث شريكه على العربدة عليه . فكان يرضى بان يكون حرضة فقط . (الحرضة امين المقامرين) ثم تعرف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج فاما غيره من التزجمين وشيوخ العلم ومدرسى اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة . لانهم نفسوا عليه بمائهم و بضيحهم و بودهم وكلامهم ولقائهم حتى انهم ابوا ان يطبعوا له قصيدته التى مدح بها باريس بعد ان وعدوا بذلك . وما كان خلفهم الا حسدا ولؤما



الفصل العشرون

فى نبذة مما نظمه الفارياق من القصائد والابيات فى باريس

على ماسبقت الاشارة اليه

اى فارياق . قد حان الفراق . فان ذا آخر فصل من كتابي الذى اودعته من اخبارك ما املني والقارئين معى . ولوكنت علمت من قبل الاخذ فيه بانك تكلفني ان ابلغ عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت راسى فى هذه الربقة . وتجشمت هذه المشقة . فقد كنت اظن انصغر جثتك لايكون موجبا لانشاء تأليف كبير الحجم مثل هذا . واقسم انك لو تابطته ومشيت به خطى على قدر صفحاته لنبذته وراءك وشكوت منه ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه . وما تمنعنى صداقتى لك اذا وقفت على احوالك بعد الان ان اولف عليك كتابا اخر . ولكن اياك وكثرة الاسفار . والتحرش بالقسيسين والنساء فى الليل والنهار . فقد مللت من ذكر ذلك جدا . ولقيت منه عناء وجهدا . والان قد بقى علي ان اروى عنك بعض قصائدك وابياتك . ولكن قبل الشروع فيه ينبغى ان اذكر حكاية حالى . وهى اني لما كنت فى هذه السنة بمدينة لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت قصيدة في مدح مولانا المعظم . وسلطاننا المفخم . السلطان عبد المجيد ادام الله نصره . وخلد مجده وفخره . وقدمتها لجناب سفيره المكرم الامير موسورس . فبعث بها الى جناب فخر الوزراء سيدي رشيد باشا بلغه الله ماشاء . فلم تمض أيام حتى بعث المشار اليه الى الامير السفير يخبره بانه قدم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول ووقعت لديها موقعاً حسنا . وانه صدر الامر العالى بتوظيفى في ديوان الترجمة السلطاني.

فكان هذا الخبر عندي اسر ما طرق مسمعي . فينبغي لي الان ان اتاهب للسفر لاتشرف بهذه الوظيفة . ولكن اعلم ايها القارىء العزيز انه لما كان همي وقصاري مرامي كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفري الى القسطنطينية وكان مكثي في لندرة موجبا لتأخيره . لان أجزاءه المطبوعة كانت ترسل الي فيها لاصححها آخر مرة قبل الطبع . اشار الي الخواجا رافائيل كحلا الذى ولى طبع الكتاب بنفقته ان اسافر الى باريس تعجيلا لطبعه فاجبت الى ذلك . وكان وقتئذ في مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة . فالتمست من صاحبي الخواجا نينه الذي قدم مع الخواجا ميخائيل مخلع فى مصلحة متجرية بان يراقب سفر السفينة ويخبرني بذلك لئلا تفوتني فرصة السفر معها . وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات ومآرب فى باريس جلها يختص بامرأته فوكل بشراءها بعض معارفه هناك . حتى اذا اشتراها له أوعز اليه فى ان يسلمها لي وكتب الى كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى سرعة رجوعك الى لندرة . فصدقت قوله واقبلت اسعى الى لندرة وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دوني . وتركت التصليح على عهدة الخواجا رافائيل المومأ اليه . فلما وصلت الى لندرة تبين لي ان نصح صاحبي لم يكن مقصودا به حاجة حضوري ولكن احضار حاجته معي ليتوفر عليه بذلك جملها ومكسها ولتتزين بها زوجته قبل انقضاء اوانها . فان السفينة بقيت فى المرسى مدة طويلة لتصلح آلاتها على علم من ناصحي . فكان قدومي الى لندرة هذه المرة الثانية سببا فى تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الى لانظرها قبل الطبع كما سبقت الاشارة اليه . ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا . غير انى احمد الله تعالى على انه لم يعرض له من الامور النسائية الا ما اوجب تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية . فقد طالما اشفقت عليه من ذلك

كما كان الفارياق يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه العوارض . وهذه القضية مصداق على ماقالته الفارياقية في الفصل التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان فى زواج او شركة او غير ذلك ويكون قد تقرر فى بال احـدهما ان له منة على صاحبه . فمتى وردت على سمعك ياصاحبي نصيحة من احـد فانشر طيها واسبر غورها لتعلم هل الغرض منها نفعك خاصة او نفع ناصحك وحده او نفعكما معا . ولكن لاتبتدىء بنصيحتى هذه فانى لم اقصد بها الامجرد نفعك فقط . واعلم يافارياق انه قبل تشرف قصائدك وابياتك بادماجها فى هذا الكتاب يجب على ان اشرفه والقارئين ايضا بالقصيدة المشار اليها وهى

الحق يعلو والصلاح يعمر والزور يمحق والفساد يدمر
والبغي مصرعه ذميم لم يزل آتيه عرضة كل سوء يثبر
والوغد تبطره من النعم التى يغنى بها الحر الكريم ويشكر
طغت الطغاة الروس لمـا غرهم فى الارض كثر سوادهم وتجبروا
كادوا ويرجع كيدهم فى نحرهم فطلاهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نهى تنهاهم الظالمون القاسطون الفجر
نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم لؤما وللعدوان بغيا اضمروا
حتى رأى بعض الما[illegible]ر رأسهم بخس الحقوق وساء من يستأثر
ايظن ان الدولة العليا السويد وانه هو بطرس المتأخر
كلا ليرتدعن ثم ليعلمن ان ربها من يبتغيها يثأر
يا مسلمون تثبتوا ان جاءكم نبأ عن الروس العدى وتبصروا
لا يغرنكم كثير جموعهم فالحق ليس يضيره المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمي عرضكم فاسخوا عليه بكل علق يذخر
في لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممـا تحبون الدليل الاظهر

وتمسكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذمروا

يغنيكم التكبير والتهليل عن ان تحملوا فيهم سلاحاً يبتر
فالقوهم بهما كفاحا تظفروا وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
واغزوهم بحراً وبرا واحشدوا ركبا وفرسانا ونسرهم انسروا
لو لم يكن منكم سوى نفر لما غلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
من كل فتاك اذا اعترضت له يوما شعوب بل شعوب يدسر
انتم عباد الله حقاً فاعبدوا للدين فهو بكم يعز ويجبر
واحموا حقيقتكم فحفظ ذماركم فرض عليكم ليس عنه تأخر
غاروا على الاسلام حتى ترفعوا اعلامه فلكم به ان تفخروا
لا تسمع الاجراس فى اوطانكم بدل النداء ولا ينجس منبر
وليسمعن اليوم فى ارجائكم قرع القوانس بالظبي او تخذروا
فلذاك اشجى من غناء مطرب بمسامع القوم الذين به ضروا
لكن يد الله القوية معكم توليكم ابدا فلن تتقهقروا
ما ان يقاويكم بهم من عسكر لو ان ملء الارض طرا عسكر
قد قال فى الذكر المفصل ربكم حقا علينا نصرهم فتذكروا
ما الله مخلف وعده لعباده ان هم بعصمته اتقوا واستنصروا
قد كان مولاكم وها هو لم يزل وزرا لكم ايان كنتم يخفر
ولربما شرعوا الرماح عليكم لكن على انفاذها لن يقدروا
لن يعمل البتار الا ان يشاء الله ما شيء سواه مؤثر
والنار منهم ان يرد اطفاءها برد فلا تلظى ولا تتسعر
واذا يشاء يثل عرشهم فلن يستقدموا عنه ولن يستاخروا
غاروا على حرم مخدرة لكم قد طالما احصن عمن يعهر
أيقودهن اليوم علج فاجر وسيوفكم بدمائهم لاتقطر
ولئن يكن نجسا ورجسا مسها فبخوضها قد حل ان تتطهروا

الصبر محمود ولكن حين تنتهك المحارم لا ارى ان تصبروا

لاخير فى عيش يفارف ذلة حاشاكم ان تفشلوا أوتدبروا

شهد الاله بانه مولاكم ونصيركم فبحمده فاستظهروا

والله قد وعد المجاهد منكم فتحاً مبيناً فى الكتاب فابشروا

ويبوء الشهداء خير مبوءا جناب عدن ملكها لايغبر

الحرب بينكم سجال فاثبتوا والنصر عقبي امركم فاستبشروا

فى أهل بدر عبرة لكم الا ياقوم فليتذكر المتذكر

ابلوا ليرضى ربكم عنكم فمن ابلى فعند اللائميه يعذر

كم بين من ياتي القتال تطوعا ومسخر كرها عليه يجبر

يقتاده ويسوقه مولى له فظ زنيم غاشم متغشمر

ويبيعه لو شاء للنخاس مع ولد له ويزوجه يتسرر

لا عرض يمنعهم ولا كرم لهم يثنيهم فى الناس عن ان يفجروا

يتنزعون الى الفواحش حيث مع اهل المحامد فاتهم ان يذكروا

وكذا الطغام اذا عدتهم مدحة ودوا ماية شهرة ان يشهروا

سعدوا ولكن رب سعد دابح للفائزين به اذا لم يشكروا

ولعل نسرهم الدوم واقع فمن الهلال علاه ضوء يبهر

لن يفلح العاثون ماعاشوا ولا العاثون ما رغدوا ولن يتيسروا

أو لم يعوا ما جاءهم عمن طغى من قبلهم بطراً واني دمروا

أم يعجزون الله اذا على لهم عن ان يغار لقومه ان ينصروا

أو ان يمدهم بجند لاترى وبمنشئات مخر لا تبحر

أو ان تخرمهم وهم مرحون فى أمن رخيو البال ريح صرصر

أو يرسل الطير الابابيل التى قد اهلكت امثالهم لا كثروا

ما كان عباد النعيم ليغلبوا قوماً على اياك نعبد يحتسر

من كان يرضي الله خالص سعيه فى الناس فهو بكل خير يجدر

من لم يصغ اذنا لنصح وليه ركب الضلال ولم يفده المنذر
من أبطرته نعمة المولى عتا عسفاً وغشمرة يمين ويغدر
من لم تكن تقنيه قسمة رزقه فاذا اشرأب الى الزيادة يخسر
من يتكل سفها على جند له دون الاله يحق به ما يحذر
من ظن ان يقوى بقوة باسه وسلاحه وذويه فهو مغرور
من غالب القهار عاد مخيساً مستضعفاً وكلا يذل ويقهر
من سره في يومه كفرانه وافاه في غده العذاب الاكبر
من كان يوما راغباً في عاجل عن آجل اودى به مايؤثر
من كان من بين الورى سلطانه عبد المجيد فانه لمظفر
سلطاننا الاسمى الذي سعدت به ايامنا وزهت فدته الاعصر
نشر العدالة في البلاد فكلنا مستأمن في ظله مستبشر
ولكل جيل في ممالكه يد منه وآلاء تعم وتغمر
ما ان عدائم عدله وامانه سيان ان هم اعسروا أو أيسروا
اما اذا اتخذ العدى طاغوتهم ربا لنأتمر الذى هو يأمر
لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زلفى ولا نتخير
كلا ولا في غير خدمتنا له عرض واخلاص لنا وتبرر
كفر المبايع غيره والمعتدي بغيا وطغيانا عليه اكفر
من ذا يحاكيه على ومناقبا ومن الذى فضلى حلاه ينكر
لو انه اقترح الوجود تحكما ما زاد فيها غير ماننتظر
من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدير كيف شاء يصور
ولاه أمر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتأمر
وهو الذي بين الملوك مقامه الاعلى يكرم هيبة ويوقر
وهو الذي بين العباد محبب ومعظم ومبجل ومعزر
يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر حمده المتكرر

ان قال لم يستثن مما قاله احد وان يفعله فهو مخير
ليس الفرنج مشايعي اعدائه ماهم لهم حزب ولا هم معشر
افمن يكون على هدى من ربه كغوى استهواه جبت منكر
ام من له الخلق الكريم يقاس بالنكد اللئيم جبلة وينظر
أم يستوى فى العرف والامكان من يهب الجزيل ومن يشح ويصمر
ايه أمير المؤمنين ومن دعا ايه أمير المؤمنين فقد سروا
سد بالمعالى قائما كل الورى مجدا وشانئك البغيض الابتر
وسعت عوارفك العميمة سولنا الاقصى وما بالبال منا يخطر
حتى لقد كلت خواطرنا بما اقترحت وانت منفل لا تضجر
نطق العيي بفرض مدحا مفصحاً حتى الجماد يكاد عنه يعبر
ولقد أضاء الكون مجدك كله حتى استوى في ذا العمي والمبصر
نظر الطغاة اليك نظرة حاسد فتجرعوا مضضا بها وتحسرا
ان يجلبوا فالله ما حق حيشهم أو يمكروا فلمكر ربك أكبر
ان المحال من المحال اذا جرى بخلاف طيته وحق مقدر
ما كان جمعهم سوي كسف هبت والشمس ليست بالهباء تستر
ليست فروق(١) لغير عرشك وهى ما بقيت عن الفرقان ليست تقفر
انت الذي بمديح وصفك تنجلى عنا الهموم وافقنا يتعطر
وتصح احلام الاماني فى غد اللاهي بها والدهر انكد اعسر
ما أن يفى نظم اللآلىء مدحة لك باللهى من سحب كفك تنثر
لم يبق مابين الوري من ناطق الا وعن آلاء فضلك يخبر
حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك فى حماه تخفر
وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زخرت كجودك ابحر

---

(١) لقب قسطنطينية

أنشدت تاريخين هجريين في ختمي مديحك وهو حظي الاوفر
عبد المجيد الله أركى ضده سلطاننا خير مجد ينصر
سنة ١٢٧٠ سنة ١٢٧٠

القصيدة الحرفية في مدح باريس

اذي جنة في الارض ام هي باريس
ملائكة سكانها ام فرنسيس
وهل حور عين في منازهها ترى
والا فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذي نجوم ترجم الهم في الدجى
عن البال ان يخطر به ام نباريس
وهل زهرة الدنيا ترى في هوادج
تمر كبرق خاطف ام طواويس
نعم انها خلد النعيم وشاهدي
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعليون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واعاريس
وفاكهة مع لحم طير ونضرة
وراح وريحان وروح وترغيس
واعمدة تحبو السحائب دونها
كان لها فوق السماكين تأسيس

القصيدة الحرفية في ذمها

اذي عبقر في الارض ام هي باريس
زبانية سكانها ام فرنسيس
وهل ذي نساء في مواحلها ترى
والا فكل حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهم في الدجى
الى البال ان نبصر به ام نباريس
وهل زفرة الدنيا ترى في هوادج
تمر كعير ظالع ام مطافيس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدي
شقيون في ساحاتها ومناحيس
وفسق وعليون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقوم يخبث طعمه
وشرب من الغسلين يسقيه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كان لها فوق الخبائث تأسيس

هنيئا لمن منها تبوأ منزلا
وطوبى لمن فيها له تاح تعريس

اذا شدة او كربة بك برحت
فحج اليها فهي للكرب تنفيس

فتونس منها وهي تونس غبطة
فبين المقامين اتحاد وتجنيس

وان تك يوما قانطا من لبانة
فرؤيتها اطلاب ما منه ميئوس

بها ما يقر العين من كل اربة
وما تشتهي نفس وما تالف التوس

وفي ذكر ما فيها تلذ لذاذة
تطيب بها عن غيره وهو محسوس

هي المنهل المورود من كل ظامىء
وللزائر بها الخير اجمع مبجوس

هي الامن من جور الخطوب فاعلى
عرير بها ضيم يحاذر او بوس

نعم هي من عين الزمان تميمة
فما امها ذو عسرة وغدا في سو

فما نعمة فيها تشان بحاسد
ولا صفو لذات يقانيه تسجيس

ولا بخس ذي حق من الناس حقه
فيا حسن دار حيث لا حق مبخوس

فلا ذأم فيها يستبين لعائب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس

شقاء لمن منها تبوأ منزلا
وتعسا لمن فيها له تاح تعريس

اذا شدة او كربة بك برحت
بها فاتأ عنها فهو للكرب تنفيس

وبرز عليها ان يفتك مبرز
فبين المقامين اتحاد وتجنيس

وان تك يوما طامعا في لبانة
فرؤيتها ياس لما هو محدوس

بها ما يسوء العين من كل اربة
وما تجتوي نفس وما تكره التوس

وفي ذكر ما فيها يسوء اساءة
تفوق على ما خفته وهو محسوس

هي المنهل المسموم حتف لظامىء
وللرائر بها الشر اجمع مبجوس

هي الخوف من كل الخطوب فاعلى
عرير بها الا المخاطر والبوس

نعم هي في عين الزمان قذى فما
اتاها امرؤ الا ومنها غدا في سو

فما نعمة فيها خلت عن محسد
ولا وطر الا وقاناه تسجيس

وتبخس ذا حق من الناس حقه
فيا قبحها دارا بها الحق مبخوس

فلا روح منها يستبين لناصب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس

عليها بهاء الملك والعز والعلى
ومنها سناء المجد والفخر مقبوس

الى مثلها ينضي الرشيد مطيه
اذا كان يلفى مثلها وتجبي العيس

هو العيش فاغنم طيبه فى ربوعها
فانك فيها ما اقمت لمرغوس

وانك منها لست يوما بواجد
بديلا ولو امسى ورآك برجيس

وانك فيها ضارب كرة الاسى
بمحجن بشر ليس يتلوه تعبيس

وانك منها مجتن ثمر المنى
فان بها اصل الفوائد مغروس

اذا رث ثوب العمر منك فان من
قشيت حظاها ريق العيش ملبوس

فبت آمنا فيها وقم باكرا الى
مرابع لهو لم تشبه وساويس

ولا ترغبن عنها الى غيرها تكن
كمن شافه بعد السعادة انكيس

فدهرك فيها ما اقمت مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس

فأثر بها ليلا على عام غيرها
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس

ولا غرو ان تزداد فى العمر حقبة
ففى الصفر للفرد العقيم تخاميس

عليها ظلام الكفر والظلم والخنى
ومنها اوار الفسق والفحش مقبوس

وعن مثلها ينضي الرشيد مطيه
اذا كان يلفى مثلها وتجبى العيس

هو العيش فاغنم طيبة فى سوائها
فانك فيها ما اقمت لمنحوس

وانك لا تلقى لها من مشابه
برجس ولو امسى ورأك برجيس

وانك فيها ضارب كرة المنى
بمحجن ياس تلوه الدهر تعبيس

وانك منها مجتن ثمر الاسى
فان بها اصل المحارم مغروس

اذا كان ثوب العز عندك معلما
فمن نغص فى عيشها هو مطلوس

فبت صابرا فيها وقم باكرا الى
نعيم سواها لم تشبه وساويس

ولا ترغبن فيها ولو ليلة تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس

فدهرك فى دار سواها مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس

فأثر بها ليلا على عمر بذى
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس

ولا غرو ان تزداد فى العمر حقبة
ففي الصفر للفرد العقيم تخاميس

لقد كنت اخشى الحين فى غير منشأى
فقدني بها بشرى اذا انا مرموس
وقد طالما علات نفسى برغدها
فبت ولي احلام خير وتفليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثم اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغر الكرام اعزة
جحاجح ضرابون يوم الوغى شوس
لقد فطروا طبعا على الود والوفا
جميعا فما يعروهما عوض تلبيس
لئن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظله وهو مدعوس
لهم فى سماء العلم شمس براعة
وفى الادب الطامى العباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
اذا أغطشت آفاق أمر فانما
يجليه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذى استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
تمسكه ان لا يجور كانما
تعدل فى كلتا يديه قساطيس
ورب خطيب لفظه فوق منبر
يبين ولو بلعته وهو ممكوس

لقد كنت اخشى الحين فى غير منشاي
فيا شقوتي فيها اذا انا مرموس
وقد طالما حذرت نفسي فسادها
فبت ولى احلام سوء وكابوس
فالفيتها يربو على الوصف قبحها
فما ثم اشباه له ومقاييس
وفيها من القوم اللئام ثعالب
ولكنهم ان يؤدبوا اسد شوس
لقد فطروا طبعا على الغدر والجفا
جميعا فلا يغررك فى ذاك تلبيس
لئن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظله وهو مدعوس
لهم فى بحور الشك خوض وطالما
تغشتهم منه ضلالا قواميس
فكم فيهم من مدع صلف له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل من فضول آء
تدال قوام الدهر احدب منكوس
يحاول لؤما ان يميل به فلا
تعدل فى كلتا يديه قساطيس
ورب عيي لفظه فوق منبر
يسوء ولو بلغته وهو ممكوس

يشف خفي الغيب عما يقوله
فيبصره من طرفه بعد مطموس
وكم فيهم من خير صالح له
اناء الليل تسبيح طويل وتقديس
وكم فاتح منهم وما بارح الحمى
كتائبه اقلامه والقراطيس
وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا
جريء له فيها احتناك وتضريس
حماة اذا هيجوا احياة اذا اتقوا
اسود اذا صالوا جبابرة هيس
اذا اسمحوا الا بوا وان حسوا اقسوا
ويربون فضلا ان بغيرهم قيسوا
أولو همة دانت لها همم الورى
وفخرهم في ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف خير من القرى
وما لقراهم لو تأخر تبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
فيغدو وقد اقناه اهل وتابيس
مديحهم يشدو به كل رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد اكرموا هذا اللسان واهله
فما زال يحظى عندهم وهو مدروس
وقد ألفوا فيه تآليف جمة
وجلت لهم فيه شيوخ وتدريس

يشف خفي العب عما يقوله
فيبصره من طرفه بعد مطموس
وكم فيهم من فاسق عاهر له
اناء الليل تجديف طويل وتنجيس
وكم طامع في الملك منهم سفاهة
كتائبه اقلامه والمراطيس
وكم من طفيلي لكل وليمة
جريء له فيها احتناك وتضريس
حمام اذا زيروا حياة اذا اجتدوا
اسود اذا الاسوا جبابرة هيس
اذا سألوا الا بوا وان سئلوا قسوا
ويربون شحا ان بغيرهم قيسوا
أولو جشع من دونه جشع الورى
وصيتهم في ذاك كالدهر قدموس
بشاشتهم للضيف في زعمهم قرى
وفي وعدهم مين ومطل وتبنيس
واكرامهم مثوى الغريب سجية
اذا كان ذا زوج وبالزوج تأنيس
هجاؤهم يشدو به كل رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
لقد جهلوا هذا اللسان واهله
فما زال يخفى عنهم وهو مدروس
وقد لفقوا فيه اساطير جمة
وشطت لهم فيه شيوخ وتدريس

يعز الفتى بالمال عند سواهم
وعندهم تغنيك الكراريس
فقل للمباريهم تحدوا لغيرهم
فان مجاراة المجلين تهويس
شعارهم حرية وخوة
وتسوية كل بذلك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
واريسهم في اليسر والرفه اريس
ترى كل فرد منهم كيسا له
مشاركة في العلم والفضل ما كيسوا
وان لهم من سيمياء وجوههم
دلائل ان الخير منهم مانوس
وان لهم رزقا كريما رضوا به
فما هم مسفى ماربه فيه تدنيس
فتحسب كلا حل صرحا ممردا
تحيته فيه سلام وتقليس
فما نظرت عيناى فيهم صاغرا
ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس
اراني سعيدا محبرا في جوارهم
ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس
عفوت عن الايام سالف ذنبها
فقد شفعت فيها وفي الناس باريس

يعز الفتى بالعلم عند سواهم
وعندهم ليست تفيد الكراريس
فقل لذوى الدعوى المبارين منهم *
لعمرى مجاراة المجلين تهويس
شعارهم حرية واخوة
وتسوية لكن عداذاك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
واريسهم في الامر والنهى اريس
ترى كل فرد عاتيا طاغيا له
مشاركة في الحكم معاهم خيسوا
وان لهم من سيمياء وجوههم
دلائل ان الشر منهم مانوس
وان لهم رزقا حراما رضوا به
فشانهم اسفاف ما فيه تدنيس
فتحسب كلا حل ماخور ريبة
تحيته فيها سلام وتلقيس
فما نظرت عيناى فيهم فاضلا
ولا من عن الاثام والرجس مرجوس
اراني كئيبا نادما في جوارهم
ومن زار يوما ارضهم فهو منحوس
وجدت على الايام عتبا بعيشها
فقد اخبثته والبرية باريس
وقد كنت في مدحى لها قبل مخطئا
فهذا له كفارة وهو مركوس

القصيدة التي امتدح بها الجناب المكرم الامير عبد القادر بن محي الدين المشهور بالقلم والجهاد

مادام شخصك غائبا عن ناظرى ليس السرور بخاطر في خاطرى
يامن على قرب المزار وبعده حبي له والشوق ملء سرائرى
ان كنت لى يوما فديتك وافيا ماضرني ان كان غيرك غادرى
فاذا رضيت فكل سخط هين واذا وصلت فلم ابال بهاجر
يافاتني بدلاله وشماله وكماله وجماله ذا الزاهر
عقلي سلبت ومهجتي فارددهما لاجيد مدح شمائل لك باهرى
وليعلم العذال اني صادق في وصف حسن حلاك وصفة شاعر
يامحرقي شوقا بفاتر جفنه ارأيت قبلي محرقا بالفاتر
يابدر تم لاع قلبي حبه ياشمس حسن قد تملك سائرى
ياظبي انس شاق عيني شكله لكن له طبع الغزال النافر
هلا رثيت لحالتي ورفقت بي ووعدتني عدة ولو فى الظاهر
كلم الحشى مني وعيدك قسوة قبل الفراق بان تكون معاسرى
وفطرت قلبي بالجفا عمدا فلا عجب اذا ماقلت انك فاطرى
افهكذا فعل الحبيب بحبه ام صرت بعدى عاذلى لا عاذري
لو كنت تدري مالقيت من النوى لرحمتني ووددت انك زائرى
مذ غبت عنك ارتد عن طرفي الكرى من بعد ماهدى ارتداد الكافر
وازداد سقمي واستثيرت لوعتي وبدا بحبك ماتكن ضمائرى
اني وحق هواك غاية مطلبي وسنا محياك الصبيح الناضر
من يوم لحت لناظرى ما لاقني شيء ولم يملأ جمال ناظرى

ما كان حسن سواك يوما شائقي　　كلا ولا لحظ لغيرك ساحري
اهوى لأجلك من حكاك بشكله　　لاشكله اذ ذاك دون النادر
كيف اصطباري اليوم والاجل انقضى وابيت ارضاءى بطيف زائر
وبمهجتي اني اراه ساعـــة　　قبل الممات معانقي ومسامري
هبه اتى فلقد يراني ساهرا　　والطيف ليس براقد مع ساهر
انسيت عهدي حيث ملت مع الهوى ولعد عهدتك ماذكرتك ذاكري
اما انا فكما علمت على النوى　　والقرب صب فيك غير مغاير
شيأن لست اطيق صبرا عنهما　　ذكرى هواك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذى شهدت له　　كل البرية بالفعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل　　مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدح سعيه　　عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذى افعاله　　امدوحة البادي وفخر الحاضر
وهو المهيب لدى الملوك نزاهة　　والنازح الصيت الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق نجارهم　　اهل المكارم كابر عن كابر
العاملين بمحكم التنزيل فى التحـ　　ـريم والتحليل حزب الحاشر
الناحرين اذا دعوا واذا دعوا　　بالبراز فنحرهم للناحـر
المؤثرين على خصاصتهم وقد　　نظروا الى الدنيا كشيء غابر
ولرب قوم يحسبون خلاقهم　　فيها وعابر لهوها كالغابر
ولديهم رد التحية منة　　كبرى بها احياء عظم ناخر
يحيي الليالى بالدعاء تهجدا　　فيميت في الاعداء اى جماهر
ويروع افئدة الرجال لماؤه　　حتى يخوروا عن نداء الناصر
فى قلب كل محنك من رعبه　　ماعنه يحجم كل ليث زائر
وبكل حرف من بليغ كلامه　　حرف يفلهم كحرف الباتر
الفضل شيمته وسيمته التقى　　لله واسترباح اجر الصابر

يولى الندى قبل السوال و بشره ... للزائريه مؤذن ببشـــائر
يغنيهم عن ان يمتوا عنـده ... بضرورة وختهـم واواصر
جهد الزمان غلاؤه فكبا ولم ... يبرح لديه وفيه سورة آفر
ولقد يكون النسر يوما واقعا ... ويعود بعد الى مطير الطائر
فالله ينصر من يعار لدينه ... والله يخـذل كل عات فاجر
والله عز يداول الايام ما ... بين العباد لسابق ولقاصر
سكن الامير وطار فى الدنيا اسمه ... وروى المعالى عنه كل معاصر
فالعجم بين موقر ومبجـل ... والعرب بين مفاخر ومناور
ياناصر الدين العزيز وحزبه ... ياخير صبار واعظم شاكر
ياخير ناه عن تعاطى منكر ... وبخطة المعروف افضل آمر
لا تخش من يأس فربك قاهر ... بدعائك الميمون جيش الجائر
كن كيف شئت فان اجرك ثابت ... في اللوح وهواجل ذخر الذاخر
لك حيث شئت عنايه صمدية ... ترعى حماك ونصر رب قادر
فاذا مدنت فانت اعظم خادر ... واذا ظعنت فانت اكرم ساور

القصيدة التي امتـدح بها الجناب المكرم النجيب الحسيب
صبحي بيك فى اسلامبول

ارى الدهر صافاني ومال الى الصلح ... ومن بعد حرماني اتاني بالنجح
واصغى الى الجد حـين دعوته ... ولاحت تباشير المنى لى من صبحي
اتاني على الابحار والبر بره ... باسرع من شكوى احتياجي الى سمح
فـلم تك الا دعوة فاجابنى ... اجابة صنو وهو لي سـيد لح
ولولم يجرني من زماني بفضله ... لاصبحت في بؤس وامسيت في برح

وحنت باشجاء التمني قان لى … لجرحا ممضا دونه الم الجرح
فلي في نهاري جهد سبح وحرفة … وفى ليلتي جس وحرف عن السبح
اذا كنت لا اشكو اليه فمن عسى … يكون اليه مشتكى الضر والترح
ومن ذا الذي تلماه في الناس مسجحا … سواه اذا اضطر المضيم الى السجح
خلائق لا يوفى الثناء بوصفها … ولو كنت حسان البلاغة والفصح
اغار على أوصافه الغر انها … تشاركها أوصاف آخر في المدح
له جدى وقد كنت غاويا … مع الشعراء البائرين ذوي الكسح
وكان زماني ما زحا فزحته … فلما تعاطى الجد ملت عن المزح
فصار لشعري رونق وطلاوة … وحق له الاملاء في ملأ فصح
وقد كان في سوق الاعاجم كاسدا … مهالي وأطرآي عليهم بلا ربح
فكم بت أنضي خاطرى لمديحهم … فقمت وبي ربح واعييت كالطلح
ولم يغن عنى ما مدحتهم به … فتيلا وما ازدادوا سوى البخل والشح
ولم ينعدوا كفارة الكذب الذى … علي باعلى اللوح ما هو بالممحي
ولو انني راسين (١) عصرى فيهم … وملطن (٢) ما استسقيت منهم سوى الدنح
فها انا ذو ربح واست بعفة … ثناء واطرآء وكنت بذا الحي
فحل يا زماني بين فوزى ومطلبي … ان اسطعت واستعد الخطوب على قدحي
فلي باسمه استفتاح كل قضية … ويعناه اقليد السعادة والفتح
الا فليزرني اليوم من كان مزرياً … بشاني يجد كوخى اعز من الصرح
علا بمعاليه مقامي ورتبتي … وصرت الى اقصى الاماني ذا طمح
اذا ابصرت عيناي من هو مخفق … كدأبي من قبل استخلته نصحي
وقلت له ابشر بما انت طالب … فمن يدع يوما باسمه فاز بالسنح
هو الماجد الناءي مدى الدهر صيته … قريب من الداعي على القرب والنزح

---

(١) اعظم شعرآء الفرنساوية (٢) اعظم شعرآء الانكليز

فليس على بعد يؤخر رفده — وليس على قرب يميل من المنح
هو الحازم النحرير طلاع النجد — كريم نزيه النفس ذو خلق سجح
سليل اجل الخلق سامي الذري الذي — مناقبه الغرآء تغني عن الشرح
اميري ومولاي الكريم وسيدي — ومن هو بعد الله لي سند الركح
تظنيت فيك الخير والفضل كله — فحققت ظني فهو دوني في صح
اتاني وعد عنك انك منزلي — لديك كما انزلت اهلي في ندح
ولا ريب عندي ان وعدك منجز — واني لااحتاج معه الى فسح (١)
فهاك مني المدح خدمة مخلص — فجد بالرضي عنه فديتك والصفح
ودم كهف عز للذليل وملجأ — لقاصده ما انجاب ليل من الصبح

وكتب الى الفاضل اللبيب الخوري غبرائيل جباره ارسلها اليه من باريس الى مرسيلية وهو اول شعر مدح به قسيسا

قف بالطلول ان استطعت قليلا — واسأل عن الركب المغذ رحيلا
ساروا وابقوا وحشة لك دونها — غصص المنون وحسرة ونحولا
طلل عهدت به الخلاعة والصبي — وشربت فيه سلسلا مشمولا
وجررت اذيالي وتهت على المنى — واقتدت منها ما استعز ذليلا
وخلعت من نعم ولذات على — اهل الهوى ما كنت منه ملولا
واحسرتاه متى يعود العيش في — عرصاته والذ فيه مقيلا
لم يبق الا ذكر افراحي به — ومضى كاس نعيمه مبتولا
ان غيرت آثاره الايام او — ان عطلت اعلامه تعطيلا
فبخاطري تذكاره متجدد — ولقد يظل بانسهم مأهولا
من بعض حسادي عليه الريح قد — حامت لديه بكرة واصيلا

---

(١) شبه الجواز يقال فسح له الامير في السفر كتب له الفسح

تبـدى الحنـين به وانة ثا كل   فازيـد فيـه زفرة وعويـلا
تسفى تراب فنـائه وكانما   تهفو به لتحـله الا كليـلا
عجبا وقـد يلتمه منى عـبرة   ان صـار فوق عنانهـا محمولا
ام قـد درت نـكب الرياح بانه   اولى بان يثوى السماء مقيـلا
ام مثل عينى اعين الجوزاء قد   رمدت فتستشفى به تكحيلا
ما كدت ادرى رسمه لولا شذا   عرف اليه كان منه دليلا
نوى الحبائب للمحب اعز من   صرح لديه لا يصيب خليـلا
وسويعة مع من تحب أجل من   دهر به تلفى اخاك عـذولا
قلبي السمندل يصطلي نار الهوى   وسلوه العنـقاء عز وصولا
لله كم منه يعـذب عاشق   ولكم به يمسى البرىء قتيلا
لو رق من عشق كلام رتل   القرآء قولي في الدجى ترتيلا
اولو تداوىء الناس منه بالبكا   لشفيت كل شج يبيت عليلا
حاولت قلب القلب عن علل الهوى   فاجاب انك قد ضللت سبيلا
منى ابتدآء الشوق كان وختمه   بي لست عن دأبي احول حؤولا
قد قاننى المولى عليه كما على   حب المكارم قان غبرائيلا
هو ذلك الحبر المهذب خلقه   وعليه يبدو خلقه دليلى
الطيب الاصل الكريم الفعل لن   تلقاه الا مرشداً ومنيلا
يهب الجزيل وعنده كالجزل ما   يحجوه جزلا غيره منفولا
المرتدي ثوب العفاف مطرزا   بتقى يقى التحريم والتحليلا
طلق المحيا واللسان طلاقة   تدع الاسى من قيده محلولا
يستدرك الاشكال فصل خطابه   وبعلمه يستخرج المجهولا
فلكل ريب قضية مازال مسئولا   وللراجي ندى مأمولا
صافي السريرة حيث آي وفائه   لن تقبل التحريف والتبديلا
ما ان يزال اذا دنا واذا نأى   براً نصوحا واصلا مسئولا

كانت مشورته هـدى وسعادة للمستشـير ونصحه منخولا
ودعاؤه فى الضر اعظم عاصم لك فاطمئن به وكن مكـفولا
ليس المنيخ ببـابه قنطا ولا من يستغيث بجاهـه مخـذولا
مولى تحرى الزهد فى الدنيـا وقد دانت له لو شاءها تبتيـلا
فنجـاره ما زال ملجأ لاجيء يلقى الامانى عنـده والسولا
جبر الخواطر من جبارة يرتجى وبفرعـه كل الفخار انيـلا
سمح الزمان بقربه لى سبـة ما كان احلاها وعاد بخيـلا
حتى أرى قصر الايادى بعـده ومن استطال بفضله مفضولا
ولقد علمت اوان كان الطرف مة صورا عليـه ذلك التـأويلا
مارست دهرى واختبرت صروفه فاذا به لا يستفيـق غفولا
هـلا اتانى سائلا من قبل ان يقضى الفراق وكان فيه عجولا
هل من ممـار ان شخصا واحداً يحوى الفضائل كلها تكميـلا
ام منكر ان ليس يذكر سيـد مـع ذكره الا وكان ضئيـلا
ولئن افض فى ذكـر آلاء له فاضت على امـل عنه طويلا
ادب واحسـان وبشر دائم وسماحـة تستغرق التمثيلا
ما كنت فى مدحى له بمبـالغ ما قلت الا بعض ماقد قيلا
ولو استطعت لـكنت الظم كل درى له مـدحا أو التـنزيلا
من حاول الاسهاب فيـه فانمـا هو موقد وقت الضحى قنديلا
بشرى لمن يحظى بقرب جنابه ولمن يقبـل ذيله تقبيـلا
وان له يهـدى التحية والثنا والحمـد والتعظيم والتبجيـلا

القصيدة القمارية

جمعتنا الشيوخ مابين اص وكول وفرشخ هو شقصى

فى مقام جيرانه لا يبيحو ن هتاف المغلوب أو بعض نبص

بعضنا شاطر وآخر غر خصمى اثنين غابن ثم لص

لم افم قط غالبا غير ليل بات فيه للاص ظهرى كشص

ظل سعدى يقوى على النحس حتى خلتنى فى المار شيخ ابن بعص

وشريكى له نشاط الى قنص مملوك يدينها اى قنص

فاذنني ساحر المزوق حيرا ن عليه تأليفه متعصى

وبه من سماته ما يحاكى بعضه خاتما وبعض كفص

بلغ اللعب منه ما يبلغ الجد والهاه عن مداراة خلص

فغدا بالكلام يقرص والاصبع من جاد رميه كل قرص

لم يبت ليله واصبح يشكو من دوار امضه مع مغص

جاره ذو الزلآت وهو انا لم يبد منه فى الرمى خطة نقص

بعد ست واربعين ولم يبلغه عن بندة احتجاج بنص

ما عليه ان كان يغلب أو يغلب أو لزه الشريك بشرص

فكره فى اختلاق اكذوبة عن ذى علاء ما ان يجود بحص

يسهر الليل مطرقا فاذا ما اصبح الصبح خارمن فرط خمص

لو اطلق المسيرمن هذه الار ض لما حل غير بلدة حمص

ربما ينفع التغفل يوما ويضر الانسان زائد حرص

ليس يدرى ما اللعب الا بشعر عنه ما عاش ليس بالمتفصى

وبشعر من شاربيه اذا حا ول شعرا ينحى عليها بنمص

واذا سامه امرؤ سهر الليل اتاها من غيظه بالمقص

لم يدعها تطول حتى تحاكى نصة الخود ذات ضفر وعقص

عن قريب يخضب البيض منها بمداد أو زعفران وحص
ليس ينفك ذا ملال وشكوى وعلى كل نعمة ذا غمص
وشريك له تربع فى الدست كشيخ مسائل العلم يحصى
او كمن ينقد الدراهم للسلطان من شأنه تمام التقصى
ان يجد هفوة يصح ويولول ويقيم للجدال قيم فحص
يبذل الاص بذله المال لكن ثم فرق فى بذل هذين أصى
حيث فى الاول اضطراراً وفى الثاني اختيارا لغير كسب وربص
اخذ العلم عن شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومحص ولحص
لا كبعض الغواة حريج بصا قين كل اعتمالهم عن خرص
ليس يدرى سوى الخديعة والمكر وما يجمل الخداع بشخص
يفرز الغالبات فى اللعب لكن يتعاطى جد الامور بخبص
ليس فى حارة اليهود سواه من يجيز الحرام والحق يعصى
قد حكاهم فى اكله ذات ظلف فوق ساق وفى الدها . الاخص
ان يكن غالبا تجده طروبا ضاحكا ذا غمز وقرص ورقص
واذا فاز خصمه ود لو كل خبير سواه باللعب مخصى
ولذات الثلث يعطو بكلتا راحتيه وللثمانى بقبص
فاغرا فاه كالذى لاح مساء ثم لم يرو منه غلا بمص
ما لعمرى دهاؤك اليوم منجـ ـلك ان كدت شيخنا او محصى
قد حباك المزوقات ولكن ليس يعفيك من نكال منغص
ان بعض العطاء حلو شهي ثم من دونه مرارة عفص
يلها زمرة قمارية ما عابها جهبذ ولا حبر قص
غير كون اجتماعها خارجا عن غرفتى فالحرام فيها بقفص
شكلها شكل بيضة ولهذا فالمعاصي من جوفها ذات فقص
من بناها اوصى بهذا وشانى كل حين امضاء عهد الموصى

الغرافيات

انا الولى على كل المفاليس　　وغرفتي ذي مرارالمناحيس
يأتي بهم زحل القواد سدتها　　وثم تصرعهم ريح الكراريس

ومنها　لايدخلن مقامي ذوحجى ابدا　　فانما هو منتاب الملا فيك
يلقون فيه اكاذيب المديح على　　زمارة أو على نذل من النوك

ومنها　ياطالعا درجات قدرها مئة　　الى ماذا ترجى بعد ذاالدرج
ان كنت من حركات طالبا فرجا　　فاني بسكون طالب الفرج

ومنها　ما زارني الا خليع ماجن　　فدع الحياء اذاحضرت حصيري
ان الحياء اخو النفاق وما صفت　　دون المجون سريرة لعشير

ومنها　يازائري رأسك احفظ　　من ضرب زيد وعمرو
فـــا بكسري هذا　　يصاب جابر كسر

ومنها　ايها الزائري لفائدة لا　　ترم المستحيل ماذاك عندي
راح علمي فى طلب الجد والجد شرود فضاع علمى وجدي

ومنها　للناس نـــــار بلا دخان　　ولى دخان بغير نار
فها انا اليوم منه قار　　ضيفى وفيه ابيت قارى

ومنها　ان للصالحين معجزة ان　　يجعلوا ان شأوا الضرير بصيرا
عكس ذا اليوم معجزات دخا　　نى انه يجعل البصير ضريرا

ومنها　تجود علي زوارى ولكن　　اكافئهم بواء وهو شاني
تقل نعالهم لى ترب كحل　　فا كحلهم بشيء من دخاني

ومنها　نعم لى غرفة عليا ولكن　　باسفل سافلين هبوط نجمي
فكيف اطيق اصعدم تقاها　　واحمل حمل اشجاني وهمي

ومنها　من يكن مثلى رفيع الدرجات　　فهو اولى بمفاعيل السراة
من معطاة فضولي الشعر فى　　فاعلات فاعلات فاعلات

ومنها　كل زوارى ذكور ليس فيهم من اناث
انا فى الكون من انثى ولا جنس الخناث

ومنها قصرت عـن الوري وامنت منهم سبة غدرا
فلا عجب اذا ما قلت صارت غرفـتي قصرا
ومنها اذا زارني ملو نظيري امنته وان يك ذوجد حذرت محاله
فاني ادري بالمناحيس كلهم وما فيهم من اجهل اليوم حاله
ومنها مـن اوى الى بيت مثـل بيـتى الحرج
ضاق صدره سدما وانزوى مـع الهمج
ومنها ولى داخل البيت جثه قط وحارجه صيت فيل عظيم
وقد كنت احسب ان بالعظام تكون العظام واهل العلوم
ومنها تعالوا وافهموا عني ثلاثاً تعلمـكم مراعاة النظير
خلاتى ثم جسمي ثم بيتي صغير فى صغير فى صغير
ومنها امسى بيتى قبرا حرجا لكن زوارى احياء
مع اني لست ارى فيهم حياً لي منـه احياء
ومنها اذا عصفت ريح وثارت زوابع وهدت رعود والغيوم مواطر
ومادت زوايا غرفتي وتزلزلت علمت بان عندى يشرف زائر
ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا اليو م رفيع المقام والدرجات
ان يكن مفلسون فليستعيروا مديتى لانتحارهم او دواتى
ومنها يقولون اني اضنائك وجارى قد رك شعرى وصار ركيا
واجدر بشيء اذا ما بحث من ضيق ان يكون قويا
ومنها مقامى بذي العرفه لحرمان ذي الحـرفه
فمـن زارني فيهـا فـلا يرجون ترفـه
ومنها اصبحت فى غرفتي رهن الهموم فما يعتادني غيراشجاني واوطارى
ارى لكل امرء انثى تؤانسه وليس عندى من انثى سوى النار
ومنها الا لا يطمعن احد لـكونى صاحب الغرفه
بان لدى مـادبـة له من فيضها غرفـه

ومنها حق المزور على الزوار انهم يؤمنون له في الصدق والكذب
وما عليه لهم حق ولو جلبوا اليه من سبأ وسقامن الذهب
ومنها ولى حرفتان فلا احذر البطالة عندى ان ترسخا
اصوغ القوافى فى ليلتى وفى الصبح استقبل المطبخا
ومنها طبخا لحاشي رائج فى عصرنا لكنما طبخ القوافى كاسد
من اجل ذلك صرت طباخا فما انا شاعر فالشعر شيء فاسد
ومنها حوت غرفتي كتبي ورزقي كله فيرنطق فيها عراء وسلوان
اذا غبت عنها خلتني افقر الورى وان جئتها أوهمت اني سلطان
ومنها يفوح من حجرتي عرف الشواء على عرف القريض ومعه عرف ميان
فمن يكن جائعاً ينعشه اولها ومن يكن كاذبا ينعش من الثانى
ومنها ارى فى الحلم اني ساقط من مهدم طاقتى فى مثل غار
فاصبح في الفراش ولاقوى لى فلست الى المعبر ذا اضطرار
ومنها بينى وبين دخاني الفة ثبتت ان نمت نام والا فهو لم ينم
وان يزرني امرؤ غطى على بصري اذ عنده رؤية الزوار كالسقم
ومنها لى غرفة ملأى من الكذب الذي انفقته فى مدح كل بخيل
لم يبق فيها من محل فارغ للزائري ولا مقيل خليل
ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا فاجبتهم لا ريب فيه زور
قد محص العرفان عن اخلاقكم وخلاقكم فلكم بذا التعزير
ومنها اقول لزائري قفوا قليلا الى ان البس الثوب القشيبا
فاني فى الخليع ارى خليعاً وفي لبس المشيب أرى اديبا
ومنها لبابي صريف حين يفتح هائل يقول لزواري دعوني مغلقا
فهذه دعوى كفكم في قد سرت ولم يبد لكم داب افتتاحى مطلقا
ومنها كانت مقاما للكواعب غرفتي والآن صارت معدن التشبيب
ما زال فيها من عبير العشق ما هاج المحب الى عناق حبيب

ومنها يراني الناس في كرخ حقير فيحتقرون منزلتي احتقارا
فهل ياقوم عندكم المعالي علو مباءة تحوي حمارا
ومنها من زارني ورأى مكاني ضيقا فلبره صدري يكون رحيبا
اهلا به للنار والاصلاء مع كسف الدخان ونه ذاك نصيبا
ومنها طرقت بابي بابيات منمقة لما بداعطلا من خير زواري
فصار كنز علوم غير ذي رصد تنقير اظفاره في نقر اظفار
ومنها الا ياداخلين الي مهلا لا سالكم سوالا عن مزاري
أاعجبكم له شكل فجئتم لتبنوا مثله دار القمار
ومنها نعم المهندس من بنى كوخي باشكال وهندس
هو كالمثلث والمربع والمخمس والمسدس
ومنها من جاءني تعبا وابصر سدتي نسي الذي قاساه من اتعابه
فالناس تعرف من تزور اذا هم نظروا ولو لمحا الى اعتابه
ومنها لا يطلعن الي اليوم مشؤم فطالعي بضروب الشؤم موسوم
ومن يكن واحدا مثلي فليس له لطالعين احتياج قاله البوم
ومنها يحسدني الناس على غرفتي لشبهها اعينهم ضيقا
مع انها تحوي جهارا له طول وعرض بلغا الشيقا
ومنها قروت المصر بيتا ثم بيتا فلم ارمثل مجلسي الشريف
نرد الشمس ان تدخله كبرا لرؤيته لها فوق الكنيف
ومنها ولي في غرفتي ادوات طبخ على مقدار اسناني جميعا
وان يكسر من الادوات شيء اصاب الكسر اسناني سريعا
ومنها ليس بالرفس فتح بابي ولا بالقرع فاعلم لكن بنقر خفيف
فهو من جوهر الزجاج لطيف لا يسنى الا لكل لطيف
ومنها مقامي اول في القدر لكن اتى في الصف عن خطأ اخيرا
فلا تلووا على شيء سواه اذا جئتم اليه ولو كبيرا

ومنها اذا صعدت فى درجات كوخى وجاوزت الاخيرة وهى اعسر
يخيل لى باني طلع كى اوأذن صارخا الله اكبر

ومنها لايرانى الناس فى غرفتى لا ارى من غرفتى الناسا
ربنا يعلم من لذ من بيننا البين ومن قاسى

ومنها سموا على منزلى قبل الدخول ولا تستعجلوا بعد فتح الباب واحتشموا
فانه حرم ذو حرمة ولئن لم يلف لى حرمة فيه ولا حرم

ومنها ان قلت سموا على مقامي فلست اعنى سما يميته
واعا القصد ان تقلوا تبارك الله عز صيته

ومنها لا تنظرن ملاوصا يا زائرى من ثقب مفتاحى الى اعراضى
كالعرص لى عرضي ومن ينظر الى الاعراض لم يامن من الاعراض

ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح فى بابي دليل اني موجود بأثوابي
اولا فاني فى فرشى اغطط او اني خرجت وامن الله اشعى بى

ومنها انا ساكن في غرفتي متحرك لزلازل العجلات تجرى تحتها
لكن بحمد الله ليس بواطىء من فوق راسى من يحاول نحتها

ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتى امورا غدا تكليفها فوق طاقتى
ارى كل يوم الف ماش مخاصرا لاتنى على انى مخاصر فاقتى

ومنها لى غرفة ما شانها شىء سوى ان ليس تجرى تحتها الانهار
وغنيت عن هذا بما يجرى من العجلات تحسد من بها الاقمار

ومنها عجبت لكم ياقوم مع ضعف دينكم وشدة برد كيف لم تعبدوا النارا
كانى بكم تلهون عنها بحرمن تذيقكم فى حبها النار والعارا

ومنها شرط الزيارة من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع الشغلا
ومن زرني صباحا فهو في خطر ان لا اقول له اهلا ولا سهلا

ومنها رأوا دخان قميني صاعدا فجرى بالماء قوم ليطفوا سورة اللهب
فقال بعض اقين انت قلت نعم اقين شعرا وعندى معمل الكذب

الفراقيات

خليلي لاتستنكرا عائل الوجد ... اذا كنتما ممن درى لائع البعد
ولا تعذلاني في الغرام فانني ... على غير ماهوى غريم له وحدى
ومن ذا الذى يرضى البلاء لنفسه ... وتزكو له حل مع الحزن والسهد
وهل ينعمن عيشاً مكابد وحشة ... مشتت شمل ضائع السعى والقصد
نأى سكنى عنى وعوضت عنهم ... بحيرة مقت ليس قربهم يجدى
كان زماني شاء فى كل حالة ... يراني فردا يالشاني من فرد
فماضي نعيمي لم يكن من مضارع ... له حيث هم في الحسن جلوا عن الند
فماذا دهانى بعد حظ غنمته ... وقد كنت فى عيش بقربهم رغد
وماذا على الايام لو كان طولها ... له لا سواد من مطالعها يعدى
افى الناس مثلى فى مقام فواده ... وفى غيره جثمانه راجد الفقد
وغيرى اراه فاقد الوجد وهو فى ... نعيم له جد معين بلا جد
وهل فى سبيل الله راحم لوعة ... تعاودنى لا بل غرتنى كالجلد
وهل مبلغ عنى النسيم تحية ... اليهم وما بى من غرام لهم يبدى
اهيم بما كانت تراه احبتى ... وان يك من بعض الجماد او الضد
والهج بالقول الذى لهجوا به ... فتذكاره ذكرى وايراده وردى
يحق لى التشبيب ما دمت شاعرا ... بهم لا بهند او بمية او دعد
ولو لم يكن لى مطمع لقائهم ... لآثرت توسيدى مذ اليوم فى لحدى
ولكنني ارجو زمانى يسرني ... بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
يقولون لى صبرا وكيف تصبرى ... ولست الى نور التبصر استهدى
لعمرك سلطان الهوى قاهر فما ... نجا من مغاويه الرشيد ولا المهدى
الا ليت دمعى حيث هم واقفون قد ... جرى ولدى اقدامهم قام كالحد
فيمنعهم عن ان يسيروا و يبعدوا ... فحسبي من سير وحسبي من بعد

احبابنا هل ودكم بعد سالم   وهل انتم باقون مثلي على العهد
ارى بكم الدنيا ولست اراكم   بها ان شأني اليوم خيرة ذي الرشد
اتى العيد بالافراح للناس كلهم   وما اعتادني فيه سوى الهم والنكد
وما لي لا اشكو وقد طال بعدكم   وما بيننا ما ليس يبلغ بالوخد
وماذا الذي ارجوه بعد فراقكم   وعندي استوى شأنا الترفه والجهد
فياحبذا عيد انبعاثي اليكم   كما يبعث الطير الغليل الى الورد
ولو زارني قبل اللقاء خيالكم   وعانقته ليلا فذلك من جدى
اذا نظرت عيني البريد فان لي   لقلبا من الايجاس يخفق كالبند
فان كان لي منكم كتاب لثمته   واقررته من بعد ذاك على كبدي
فما كان من آثاركم فهو مؤثر   على العين والعينين والعين والنقد
فليس سواه اليوم عندي تعلة   وما غيره الفي لحرى من برد
وان لم يكن تجر الدموع لما جرى   وارتد عنه كالعديم عن الرفد

وقال

او ما كفاني اليوم طول تناء   عمن احب ولات حين لقاء
ياراحلين وفي الفؤاد مقامهم   كم ذا اقول سكنتم احشائي
ولكم اعاتب سوء حظي فيكم   لكن دهري لا يجيب ندائي
سافرتم للبر مما نالكم   فمتى يكون بقربكم ابرائي
ومتى يتيح لي الزمان لقاءكم   ويكف كف البين عن ابذائي
شرقتم فانا بغصة غربتي   في الغرب ذو شرق وذو اشجاء
يامن يرق لذي جراح مدنف   انا ذو الجراح ملازم الادواء

فصفن لي ما أنت واصفه لمن　اشفى وكن فطنا الى الاشفاء
لا يغررنك ما ترى من بزتي　تحت القشيب طهامل(١) الاعضاء
انا والذى يحيي ويفني لست في الملكى اعد ولا مع الاحياء
انا ان سلت عني الاحبة لم اكن　اسلوهم في البؤس والضراء
اني على ما بي ارقُّ لعاشق　مثلي وان هو كان من اعدائي
ما البعد يخمد نار شوقى انما　بعد الغزالة علة الاحماء
ما ان يحل حشاشتى من بعدهم　حب وليس يحل نسخ وفاءى
حال الورى طراً تحول وحالتى　هى ما ترى في غدوتي ومساءي
الدمع موقوف على جريانه　والعين معفاة من الاغفاء
وارى الذى مثلى بكى من فرقة　مع من مناه بعده يبكاء
عجباً لدهري لم يزل بي مبصراً　وضناي واراني عن الرقباء
عجبا لدمعى مدنفى استحامه　والناس يشفيهم حميم الماء
عجبا لعمرى كيف طال من النوى والارض ضاقت عن مدار رجائي
عجبا لليل الناس يسرع صبحه　وصباح ليلى دائم الابطاء
تبني الرجاء خواطرى فيه على　اس المحال فبئس اس بناء
ويخيل الشوق المقيم باضلعي　لى انني معف وهم ضجعاءى
حتى اذا اصبحت بانت انها　لى لم تكن الاحبال هباء
ياهل ودى ليس من داء لكم　عدوى فعودوا وأمنوا من دأي
سقمي من الطرف السقيم ومنحلي الخصر النحيل عدا كم اعدائي
ماأن اكلفكم سوى ذكراسم من　أهوى فحسبي ذاك عن اسماء
لو كان يجدي الفال كنت اليوم من　احظى الانام واسعد السعداء
اذ كل شاد باسمهم متفوه　أم ذاك وسواس الهوى الغواء
أم بعض ماذا الوجد يوجد انه　يلهى بمعدوم من الاشياء

---

(١) الطهمل الذى لا يوجد له حجم اذا مس

ياليت قلب الناس لي اوجدهم ... ان عز ظعن فالتزام عزاء
اوليت احبابي بما بي قد دروا ... فيسارعوا شفقاً الى انجائي
حاشاهم ان يهجروا كلفا بهم ... يكفيه ما يلقى من الاقصاء
ومع النوى يرى النوى سهلا كما ... ان الدنو مع الجفو تناء
لهفي على زمن تولى وانقضى ... معه السرور لديهم وهنائي
فلأي بث بعدها ورزئية ... ابقتني الايام شر بقاء
كيف التصبر للفراق وما ترى ... عيني شبيههم من الارناء
ان اشك لم اجد امرألي مشكيا ... وشماتة المشكين شر بلاء
واذا سكت توهم السلوان بي الرائي وذلك دون فعل الرائي
ياليت شعري ما امال احبتي ... عني من التحذير والاغراء
بخلوا علي بنفحة من فيهم ... تأتي الصبا نحوي بها لشفائي
اني استمر حديد قلبهم على ... نار الهوى بي لم يلن لدعائي
العلهم وجدوا على ملامة ... فارتهم الحسنى من الاسواء
هبني اسأت فها انا مستغفر ... والعفو مامول من الكرماء
برئي عليهم هين وهو الرضى ... سيان فيه من دنا والنائي
ان لم يصرح فيه قول فلينب ... اضمار ذكر عنه فهو كفائي
اني بحسن القصد منكم قانع ... ولئن يكن قد فاتني ارضائي

وقال في المعنى

اتاني كتاب من خليل منمق ... على كل حرف منه حسن ورونق
تنشيت وجدا اذ تنشيت عرفه ... ولم لا ومنه عاطر الورد يعبق
فيا حبذا ذاك العبير وحبذا ... نسيم به نحوي التباشير يسبق
الى الله اشكو مالقيت من النوى ... وحرجوي كادت به النفس تزهق
اقمت واحبابي ابروا وابحروا ... على غيرما اهوى وشملي مفرق

فما زلت مذ بانوا حليف صبابة | اذا حان سجع كدت بالدمع اغرق
ففي قلبي الماسور ادخر الهوى | ومن طرفي المسجور دمعي انفق
كئيب نحيل واجد متشوف | غريب عليل فاقد متشوق
ولست بذي صبر فيؤمل اجره | ولست بذي سلوى اليه موفق
وليس بمأمون زماني على اللقا | وهل يؤخذن يوما على الدهر موثق
احن الى لقياهم متلهفاً | اذا ما سميري النجم لاح وافلق
وان ذر قرن الشمس أوهمت انها | تبلغني عنهم سلاما وتنطق
فاني أري فيها علامات حسنهم | وفي كل حسن ذكرما القلب يعشق
اعلل قلبا بالاماني هائما | ولم يبق فيه للتمني مصدق (١)
يطير اشتياقاً بي اليهم وانني | أسير هوى فيهم بيبني موثق
ويخفق من ذكر اسمهم فكانما | يخيل لى ان مضجعي منه يخفق
واسكب دمعا كان يجرى بقربهم | فكيف وباب الوصل دوني مغلق
متى يجمع الله المحبين ساعة | وحجب النوى بعد الوصال تمزق
ورب بعاد كان منه دوام ما | يؤمل من قرب الاحبة شيق
فلله اسرار يعز بيانها | وللدهر اطوار تسوء وبونق

وقال

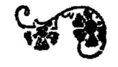
اموعي والدمع كاد يحول | مابيننا ولظى الغرام تهول
كيف التصبر بعد بعدك موحشا | وبقيت لا ارب ولا مأمول
قد كان يشجيني غيابك ساعة | واخال ان قد عز منك قفول
والآن غبت على حساب صبابتي | دهراً قليل المبتلين طويل
ان تنسني اذكرك أو ان تشجني | اشكرك لست الدهر عنك احول
ياليت طيفك في الكرى يمتادني | أو كان يغفى الطرف حين الليل

---

(١) هذا المعنى مسروق من الفارياقية وقد تقدمت الاشارة اليه

فلزورة منه أحب الي من ... لذات وصل من سواك يطول
أدهلت فى حبيك عن ألم النوى ... ولقد يريح العاشقين ذهول
انسان عينى انت جير ومهجة ... للقلب ماالهما لدى بديل
لو فى رضاك بذلت كل جوارحى ... كنت الضنين وما بذلت قليل
القاك فى كل الجمال مصوراً ... فيطول * فيه منى التأميل
واذا سمعت بمفرد فى حسنه ... ايقنت فى هذا لك التأويل
وأبيت أسأل عنك سيار الدجى ... لو كان ينفع سائلا مسئول
يافاتنى بدلاله لم يبق لى ... فى العيش بعدك بتة تعليل
ماكان غيرك مالنا طرفى ولا ... اعتقد الضمير بأن سواك جميل
واذا الورى شغلتهم دنياهم ... فانا الذى بك دائما مشغول
فيك الدليل على توحد مبدع ... ان عز عند الفلسفى دليل
ارسلت دمعى مع كتابى عالما ... ان لاينوب عن الحبيب رسول
ياعاذلين على الهوى لاتعذلوا ... فبلاى هذا اصله التعجيل
سبق الفؤادالطرف منى فى الهوى ... فهويت فيه فعاذلى معذول
اسفا على وقت الوصال فيا ترى ... للبين يغدو مثله تأجيل
لولا ادكار نعيمه لقضيت من ... وجد فكم بالوجد ظل قتيل
ساع التعانق ليس ينسى ذكرها ... وخطورها بالبال قط حؤول
ولرب يوم مسرة يغنيك عن ... عمر باكدار البعاد يطول
فلا وطمن النفس عن لذاتها ... وليشجنى بعد الغناء عويل
يامنكرا لحقيقة الغول اعتقد ... ان النوى هى في الحقيقة غول
من لم يذق ألم الفراق فما له ... يوما الى عتب الزمان سبيل
فلكل رزء غيره سلوى لدى ... رشد وطب بالعزاء كفيل
يالوعة الشوق اسكنى في مهجتى ... ما فاتنى ممن احب وصول
خفقان قلبي من سكونك دائم ... ولعل عن كثب بلاى يزول

هذا ما انتهى الينا من اخبار الفارياق . مما اقتضى الآن ايداعه بطون الاوراق . فمن شاء ان يدعو له أو عليه فجزاؤه يوم تلتف الساق بالساق . ويقال الى ربك يومئذ المساق . فاما من دعا له بعود زواجه هذه المرة وفي الحياة ارماق . فاني اضمن له ان يدعوه الى مادبة حولها وفيها كل ماشاق وراق . مما ذكر في هذا الكتاب بالاتساق على سرر واطباق .





الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق في ما هو
الفارياق ويتلوه الجزء الثاني بعد رجم
المؤلف أو صلبه بمن الله
وكرمه آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

ياسيدى الشيخ محمد ياسيدنا المطران بطرس ياأبوناحنايا أبونامنتر يوس ياصير ابراهام يامستر نكتن ياهر شميط ياسنيور حوزبى هاديني اناعملت الكتاب دى يعنى ألفته لاطبعته ولا جلدته وحطيته بين اياديكم أناأعرف طيب ان سيدي الشيخ محمد يضحك منه اذا كان يقرأه لانه يعرف من روحه انه يقدر يعمل احسن منه ولانه يعتقد انه شيء فارغ وان كنت عليته بالحروف الكن سيدنا وأبونا وصيرنا ما يقدروش بل ما يقدروش يفهموه وعلى شأن دى اطلب منهم انهم قبل مايولعوا النار حتى يحرقوه يسألوا عن الطيب فيه وعن غير الطيب فان كان الطيب اكثر يخلوه لى والا يحرقوه بجلده واذا كانوا يجدوا فيه بعض هفوات قد يكونش من العدل انهم يحرقوه لان كل واحد منا فيه هفوات كثيرة والله تعالى لايحرقنا بنار جهنم بسببها

ياأبونا حنا أنا أحلف لك اني ما ابغضكش ولكن ابغض تكبرك وجهلك لاني لما اسلم عليك تلقمني ايدك حتى ابوسها فكيف وانت جاهل وعمرك كله ماعملت كتاب ولا موال روحى ياسيدى الشيخ محمد انااعرف ان كتب الفقه والنحو اجل من كتابى دى لان الواحد لما يقرأ كتاب من دول يقطب وجهه ويعبس حتى يقدر يفهم معناه ومعلومك ان الهيبة والجلالة ماتكونش الا فى التعبيس ولكن كتب الفقه ماتقولش ان الضحك حرام أو مكروه وانت ماشاء الله كيس لبيب قريت من كتب الادب

اكثر مما اكل سيدنا المطران بطرس من الفراخ المقمرة وفي كل كتاب ادب ترى باب مخصوص للمجون فلو كان المجون ضد الادب ما كانوا دخلوه فيها واهون مايكون على ان اقول فى آخر كتابي دي زي ما قال غيري ومن الله استغفر عما طغى به القلم و زلت به القدم فنحن دى الوقت والحمد لله صلح فاما مسيو ومستروهر وسنيور فا هماش ملزومين ان يطبعوا كتابي لان كلامي ماهوش على البقر والحمير والاسود والنمور بل هو على الناس بنى آدم ولكن هذا هو والله اعلم سبب غيظكم مني

تم الكتاب

ذنب للكتاب

ينتظم به لآلىء اغلاط الرؤس العظام الاساتيذ الكرام
مدرسى اللغات العربية في مدارس باريس

قال الكسندر شدزكو (Alexandre Chozko) في فاتحة كتاب ألفه في نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته

« حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل على كل ما يلزم لعلم اللغات الشرقية اذ فيها خرائن كتب ومدارس وعلماء جديرون بادراتها حتى انه باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق بها من الفلسفة والتاريخ اصبح استاذ الفرس ومعلم العرب وبراهمي الهند وبهم افتقار الى ان يتعلموا من اساتيذا كثيرا » (انتهى)

وانا أقول ان هذه الدعوى كذب ومين وافك وافتراء وترهة وتزوير وبهتان وابعاط وشحط وشطط وفرط وهتر وعصيبة واختلاق وزعف وزهف وتصلف وتزبب . وان قائلها ينبغي ان يدمج مع من جهلوا انفسهم في فصل حد نبدى لانه جهل نفسه بل حمل غيره أيضاً على الجهل بنفسه . اما أولا فلانه اى قائل هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقيه ولا يعرف مقدار ما نتف منها هؤلاء الاساتيذ حتى يشهد لهم بالفضل والبراعة . وانه في نقله للرسائل الفارسية

التي اثبتها في كتابه ارتكب اغلاطا كثيرة فاضحة سواء في النقل والترجمة.
فمن ذلك قوله فى صفحة ١٩٨ قاع صفصف وهى فى الاصل قاع صفصف
اقتباسا من قوله تعالى ويسالونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا فيذرها
قاعاً صفصفاً . فلما جهل المعنى بدل قاع بمانع وترجمه باللغة الفرنساوية
بقوله ويقنع نفسه برمل البرية . فكيف استحل هذا العالم ان يملأ الكلام
بالرمل واستكبر ان يسأل أحداً من أهل العلم عن المعنى . لكنها عادة له
ولا سلافه ولا ساتيذه فى انهم حين يشتبه عليهم المعنى يعمدون الى
الترقيع والترميق والتلفيق . والثاني ان هؤلاء الاساتيذ لم ياخذوا العلم عن
شيوخه اى عن الشيخ محمد والملا حسن والاستاد سعدي وانما تطفلوا
عليه تطفلا وتوثبوا توثبا . ومن تخرج فيه بشيء فانما تخرج على القس حنا
والراهب توما والخورى متى . ثم ادخل رأسه فى اضغاث احلام أو
ادخل اضغاث احلام فى رأسه وتوهم انه يعرف شيئاً وهو يجهله . وكل
منهم اذا درس فى احدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها
خبط عشواء . فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء . وما كان بين
الشبهة واليقين حدس فيه وخمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول .
وذلك لانه لم يوجد عندهم من تصدى لتخطئتهم وتسوئتهم . وقد قال
ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بارض   طلب الحرب وحده والنزالا

ولانهم انما اعتمدوا على اتصافهم بنعت مدرسين فاجتزأوا بالاسم
عن العمل وعن حقيقة ما يراد من التدريس . فان المتصدى لهذه الرتبة
الجليلة ينبغي ان يكون صادق العمل متثبتا فى الرواية . متحرجا من
التهافت على ترجيح ما استحسنه هو دون مراد المؤلف . مترويا فى سياق
الحديث وسباقه وقرائنه وعلائقه . مضطلعا باللغة والنحو والصرف والادب
فاين هذه الصفات كلها من هؤلاء الاساتيذ الذين يفسدون عبارة

المؤلف ويحملونها معاني بعيدة يأباها الطبع والذوق . ويوردون ما يوردون من شرحها مزابنة ومجازفة . ولعمرى لو انهم كانوا من ذوى التورع لما تصدروا فى هذه المراتب ولما اقدموا على ترجمة شيء مرقع مزور . فان كان كلامك ايها الشيخ الرملى فى حق هؤلاء الاساتيذ كلام ذى جد فقد وجب عليك بعد قرأة جدول اغلاطهم الفاضحة ان ترجع عما تبهلقت فيه وزبدت من دون علم . وان تكذب نفسك في طالعة كتاب آخر تولفه فى نحو اللغة العربية ان شاء الله . والا فان اثم افجاسك هذا فى عنقك . فاما ان كان مزاحا واردت به السخرية من هؤلاء الاساتيذ المشاهير والاساطين المذاكير فهم اولى بان يحببوك . غير انى اراهم قد سكتوا عنك . فكان دغدغة هرفك هذا لهم قد اعجبتهم . فما مثلك ومثلهم الا مثل ذلك الابله الذى عشق امرأة ولم يقدر على وصالها حتى ادنفه عشقها وهيمه فلم يستطع احده حراكا . فعاده رجل داه مثلك واخذ يهنئه على قضاء وطره منها . فقال له الابله كيف وانا مغرم بها وكلما زدت شوقا اليها ووجدا زادت اعراضا عني وصداً . قال قد رأيتك بعيني تعانقها بالامس ثم خرجت من دارها وانت مبتهج متهلل . ورآك غيري ايضاً وهم كثيرون . فان انكرت فها هم كلهم يشهدون لي . وما زال به حتى اقنعه وحمله على ان يسلوها فافاق من مرضه . الا ان بينك وبين هذا الداهي فرقا عظيما . وذلك انه انما استعمل دهاءه للاصلاح . وانت انما استعملته للافساد . لان كتابك هذا ربما يقع في يد بعض ارباب السياسة الذين يجهلون الفارسية والعربية . ولغفلته يظن ان مشايخ مصر واساتيذ الفرس محتاجون الآن الى اخذ العلم عن اصحابك . ومتى تهور احد هؤلاء الوجوه فى ضلال تهورت معه الرعية باسرها .

فاما قولك ان فى البلاد الافرنجية خزائن كتب كثيرة . كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد فى بلادنا . لان نواب الدول

لايزالون يشترون من بلادنا انفس الكتب . فهو ليس بدليل على وجود
العلم عند وجود الكتب . فاين حمل الاسفار هداك الله من العلم . لان
العلم فى الصدور لا فى السطور . ولكن افدنى ما بال هؤلاء الاساتيذ لم
يؤلفوا فى اللغات الشرقية شيا قط . فغاية ما صنعوا انما هو ان احدهم
ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فخمن فيها وحدس ماشاء وآخر
ترجم محاورة يهودى سمسار واحمق من التجار . وآخر مسخ امثال لقمن
الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف فى الجزائر وآخر تمنى لطبع اقوال
سخيفة من رعاع العامة فى مصر والشام . وترك مافيها من اللحن والفساد
كما هو استذراعا بقوله كذلك رأيتها فى الاصل . فيظن بذلك انه تنصل
من تبعة اللوم والتفنيد . فما سبب هذا التهافت على ترجمة مثل هذه
الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة الفرنساوية سوى
توهم ملفقيها على الانخراط فى سلك المؤلفين . ولم لم يتعن احد منهم
لترجمة شيء من الكتب الفرنساوية الى العربية ليظهر براعته فى هذه
حالة كونه شيخ طلبتها وامام أميها . على ان فى اللغة الفرنساوية كتبا
جليلة القدر فى كل فن . واعجب من ذلك انه لم يخطر ببال احد منهم
قط ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا . فهل من سبب آخر غير التحذر من
ان يعرضوا انفسهم للتحقيق والتفنيد والتحمير . فان عبارة النحاة والمعربين
لابد من ان تكون محررة صحيحة ولا عذر لهم معها ان يقولوا كذا
وجدناه فى الاصل .

ويا ليت شعرى ما الفائدة فى كون احد هؤلاء الاساتيذ يؤلف كلاما
مسلطا فاسدا فى لغة اهل حلب ويسميه نحوا ثم يذكر فيه انحق
بيكفى وايشلون كيفك خيو وهالكتاب ومنوى طيب . وفى كون آخر
يكتب بلسان اهل الجزائر كان فى واحد الدار طوبات باراف الطوبات
كشافوا وكينا كل وراهى واتتينا وانتيا ونتجم وخمم باش وواسيت شغل

المهابل ويوالم أى يلائم وماجى أى جاء وكلى أىء كانه وحرامي أى بستانى والنستاش أى السادس والدجاجة ترجع تولد زوج عظمات وما أشبه ذلك من الحشو . فما بالكم يأساتيذ لاتؤلفون كتبا بكلامكم الفاسد الذى تسمونه بتوى . وهل تشيرون على عربى اقام بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها أو كلام اهل باريس . ولو كان فعلكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيدوا جميع الاختلافات والفروق الموجودة عند المتكلمين بالعربية . فان اهل الشام يستعملون الفاظا لايستعملها اهل مصر . وقس على ذلك سائر البلاد الاسلامية . بل ان لاهل صقع واحد اصطلاحات شتى . فكلام اهل بيروت مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان . وكلام هؤلاء مخالف لكلام اهل دمشق . وذلك يفضى بكم الى الهوس والى افساد هذه اللغة الشريفة التى من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارة الاساليب على انقراض جميع ماعداها من اللغات القديمة . وان المؤلفين فيها يومنا هذا لايقصرون عن اسلافهم الذين انقرضوا منذ الف ومايتى سنة . فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها و تلحقوها بلغتكم التى لا تفهمون ما الف فيها منذ ثلثمائة سنة . وياليت شعرى هل تأذن ارباب السياسة عندكم لرجل اراد ان يفتح مكتبا يعلم فيه الصبيان فى ان يتعاطى ذلك من دون أن يمتحن اولا . فمن الذى امتحنكم انتم ووجدكم اهلا لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب . ومن ذا الذى عارض ما ترجمتم ولفقتم ورمزتم بالمترجم منه . وكيف رخص لكم فى ان تطبعوا ذلك من دون الوقوف على صحته . ولعمرى ان مدرسا لايحسن ان يكتب سطرا واحدا صحيحا باللغة التى يعلمها لجدير بان يرجع الى المكتب من ذى انف . على ان من هؤلاء الاساتيذ من لايفهم اذا خوطب فضلا عن جهل التأليف . ولا يفهم اذا قرأ . ولايقوم الالفاظ فى القراءة . وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرأ على شيخ

فى مقامات الحريرى ولا يكاد ينطق بحرف واحد نظما بينا من هذه الحروف التى خلت منها لغتهم . وهى الثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف والهاء . وشيخه ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لايكون الا فاسدا . فكيف يمكن لمن لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن النطق بها . كيف لا وان من الف منهم فى نحو لغتنا شيئا فانما بنى نحوه كله على فساد . فانهم يترجمون عن الجيم بلسانتا بحرفى الدال والجيم بلسانهم . وقد جهلوا انه ليس عندنا فى العربية حروف مركبة كما فى اليونانية . فان الابتداء بالساكن مرفوض عند العرب اذا لم نقل انه ممتنع . و يترجمون عن الثاء بالتاء والسين وعن الذال بالتاء والزاى وكذا عن الظاء . فاما سائر الحروف فالعين والهاء والحاء عندهم همزة والخاء كاف والصاد سين والضاد دال والطاء تاء والقاف كاف . وينطقون بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاى وعلى ذلك قول ذلك المطران الخطيب اقطعوا الازباب كما مر . فأما الهمزة فانها وان وقعت عندهم فى أوائل الالفاظ فلا تقع متوسطة ولا متطرفة ولا يمكنهم النطق بها الا ملينة . بل اعظم مؤلفيهم لايدري ان الألف في أول الكلام لا تكون همزة . وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همازون . وانما الغرض ان ابين لهذا الرملى المارف المتملق مناضلة عن شيوخى الذين أخذت عنهم من العلم ما أخذت ان شيوخه لا يحسبون فى عداد العلماء . وانه ليس من علماء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد من هو محتاج لأخذ حرف واحد عنهم . نعم ان لهم باعا طويلا فى التاريخ فيعرفون مثلا ان ابا تمام والبحترى كانا متعاصرين . وان الثانى اخذ عن الاول وان المتنبي كانمتأخراً عنهما . وان الحريرى الف خمسين مقامة حذا بها حذو البديع وما اشبه ذلك . الا انهم لايفهمون كتبهم . ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه . وثبته من مصنوعه . ولا المحسنات اللفظية

والمعنوية . ولا الدقائق اللغوية . ولا النكات الادبية ولا النحوية .
ولا الاصطلاحات الشعرية . فغاية مايقال انهم نتفوانتفة من علوم العرب
بواسطة كتب الفت بالفرنسوية . فهل يسلمون لعربي تعلم لغتهم من
كتب لغته بانه كعلمائهم وانهم محتاجون الى التخرج عنه . ثم لاينكر
أيضا ان مسيو دساسي Silvestre de Sacy حصل بقوة اجتهاده ما اقدره على فهم
كثير من كتبنا بل على الانشاء فى لغتنا أيضا . ولكن ما كل بيضاء شحمه
على انه رحمه الله لاينتظم فى سلك العلماء المحررين . فقد فاته أشياء كثيره
فى الأدب واللغة والعروض . وانى طالما والله اثنيت على براعته
واعظمت علمه وفضله . الا انه لما صارت مهارته وبراعته هذه سببا
للفساد فانها هى التى جرأت غيره على التصدر للتدريس بلغتنا وسولت
لهذا المفترى ان يتطاول على اهل العلم . كان من الواجب على رعاية لحق
العلم واهله ان اسطر اسمه من بين اسماء الشيوخ فى البلاد الاسلامية
كافة . قدعا لمن تترس باسمه واستذرع بعلمه عن الدعوى والانتحال
ولولا فحش قول هذا النداعى المتحذلق وكذب دعواه لما تعرضت لتخطئة
احد منهم . فاني اعلم انهم لن يرعووا عن غيهم وما يزيدهم كلامهم هذا
الا غروراً . بل الشيوخ الذين قضوا عمرهم فى طلب العلم يتورعون من
ان يقولوا مقالته . لان الانسان كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله .
ولعل كتابي هذا يقع في يد استاذ فارسي أو هندى فيكون باعثا لهما على
الانتداب لتخطئتهم أيضا فى هاتين اللغتين . لاني اعلم عين اليقين انهم
فيهما اشد جهلا . لان الذين سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من
الذين سافروا الى غيرها . ومع ذلك فلم يتعلموا منها سوى الركاكة
والخطل .

واعلم ايها القاري العربي اني لم أجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا
جديرا بالانتقاد سوى مقامات الحريرى . واني لضيق وقتي حالة كو

على جناح السفر لم يمكن لى النظر الا في ابيات الشرح فقط . وقدوكلت غيري في نقد الباقى كما وكلنى العلماء في نقد الابيات . ثم عثرت بعد ذلك برحلة العالم الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسى مطبوعة على الحجر عن خط مسيو بيرون وقد شحنها كلها بالتحريف والغلط مما لانصح نسبته الى ادنى تلامذة الشيخ المذكور . ايمكن لاحد من الطلبة فضلا عن العالم ان يقول جوده ماسخ لكل الوجود أى لكل الجود وان يكتب العصا بالياء غير مرة — واعلى افعل التفضيل بالألف نحو عشرين مرة — ونجا باليا — واتمى المذلمون عن الضياء أى أيعمى المالمون — وأمنين مطمئنين حالة كونهما مرفوعين — وفلاحين مصر — ومحمودين السيرة — واستوزر الفقيه مالك — ولا يعطا — ولا أدرى سوء رأيك أى لا أرى سوى رأيك — ويعمدا رأيه — وانني عشر ملك — ومن حيث أن ابادعا والتكنياوى متعادلين لم أى متعادلان فلم وتجد الرجال والنساء حسان — ودعى لنا . وعجوبة وصواحبتها وصواحباتها — ولغة فيها حماس — وانهما متقاربتى المعنى — وحتى تأتى أرباب الماشية فيقبضون — هل احدى منكم — ويرفعون اصواتهم بذلك حتى يدخلون — وماشيين والسميين — وحتى يشقون — ومنحنيون — وانهم يكونوا — ولا اعتاض — أى لاعتاض . أو أنه يجهل بحور الشعر فيجعل الكامل هرجا والطويل مديداً وما أشبه ذلك . ومن العجب أن الشيخ الموما اليه أورد هذين البيتين وهما

ابرك الايام يوم قيل لي هذه طيبة هذى الكثب

هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

قال والياء فى هذى بدل عن الهاء . فلما قراهما بعض التلامذة على مسيو كسان دبرسفال (Caussin de Perceval) احد المدرسين العظام اصلح قوله طه بوطا وفسرها بوط الرجل . وابدل الهاء من قوله هذه الزرقا

ياه وذلك لقول الشيخ والياء فى هــذى بدل عن الهــاء فانكسر الوزن .
وترك لفظة الزرقا غير مصححة فان مسيو بيرون وضع بعد الالف همــزة
فانكسر بها الوزن ايضاً . وط ان تكتتب بغــير الف . فانظر الى الناقل
والمصحح والى هذا التخليط وتعجب .

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ العربية فى نقل الرسائل الفارسية
فى كتاب الشيخ الـكسندر شدزكو رالرملى (Alexandre Chodozko)

صفحة	سطر		
١٩٢	١	فى ما	صوابه فيما كما هو باصله .
—	٤	التيام	صوابه التئام كما فى الاصل.
١٩٣	٩	شخامت	صوابه شهامت كما فى الاصل .
—	٢٢	به مملكت	صوابه بمملكة كما في الاصل .
١٩٣	٠٦	عظام	صوابه عظام كما فى الاصل.
—	١٧	استخضار	صوابه استحضار كما فى الاصل
١٩٦	٢٣	جاب اقدسى الهى	صوابه جناب اقدس الهي. كما فى الاصل .
—	٢٦	خلافا الاخفش	صوابه خلافا للاخفش كما في الاصل .
١٩٧	٠٤	براءالساعة	صوابه برءالساعة كما فى الاصل .
١٩٨	—	قانع صفصف	صوابه قاع صفصف وقد تقدم ذكر ذلك .
٢٠٠	—	(أول الرسالة) ومبارك سلطانه	صوابه وتبارك ليقابل قوله أولا تعالى شانه .
٢٠١	١٨	مولات	صوابه موالات .

على اني لم اتقص على معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ الغرض اظهار

كذب هذا المدعي وفيما او ردته كفاية .

جدول اغلاط ابيات الشواهد فى مقامات الحريرى التى طبعت ثانية بعد وفاة دساسى (D. Sacy) بتصحيح الشيخين الجليلين رينو ودرنبورغ (Reinaud et Derenbourg) وذلك سنة ١٨٤٧ فاما غلط الشرح فاكثر من ان يعد

صفحة	سطر		
٥	١	ترب فى موضعين	والصواب بالضم .
	٤	المجلس بالفتح	وصوابه بالكسر .
	١٠	غضاباً	« بغير تنوين لانه وقع قافية .
ح	٤	قالوا العواذل	الوجه قال العواذل فان العواذل جمع عاذلة .
—	٩	خدرت	والوجه خدرت . بكسر الدال
—	١٣	في النثر ذميا	والصواب دميا .
	١٠	فى صفحة العنوان تكتتب	والاعرف نكتتب .
٦	..	وان اصدق بيت	الا ظهر احسن بيت .
١١	١٧	الكرا	والوجه الكرى لانه يائي .
١٨	..	ثني	الاعرف ثنى .
٤١	..	فيظلموني بالضم	حقه فيظلمونى .
٤٩	١٧	ياطلح اكرم من	والوجه ا كرم من
٥١	١٥	فانه ننث	والوجه ينث .
٥٢	..	اقترحت المشاء عليه يوما	وصوابه اقترحت المشاء يوما عليه
٥٢	..	قال لى المشاء	والوجه لى المشاء لانه أخرج مخرج .

صفحة	سطر		
		الامثال فلا تتغير كقوله الصيف ضيعت اللبن .	
٦٩	..	مبراء	وصوابه مبرءاً .
٧٠	..	نراه	وحقه تراه .
٧١	..	احسن ْن	وصوابه احسن لانه خير ليس
٧٥	١٣	نيل المناً	وصوابه المنى لانه جمع منية .
٧٦	١٠	الأفلاس	وصوابه الإفلاس .
	١٢	فى عسر وفى يسر وصوابه ويسر .	
٧٨	٢١	سلماً	صوابه سلما بغير تنوين لوقوعه قافية
٨٠	٨	فى ما	الوجه فيما .
		سبيل	صوابه سبيل ومثله دليل فى البيت الثانى
٨٢	..	ركد	صوابه ركد . بفتح الدال
٨٤	..	وكون	حقه بغير تنوين .
٨٦	١٠	جمة	صوابه جمة . بفتح الجيم
—	—	امره	الوجه أمراً .
—	١٧	فانيا	صوابه فانيا بلا تنوين

٨٩ ومن يلق ما لاقيت لابد يارق ارقت فلم تخدع بعنى نعسة
والصواب تقديم المصراع الثاني وتأخير الاول والعجب ان هذه النعسة اغمضت عين كل من دساسي ومن هذين الشيخين الجليلين فهل سمعتم يامعاشر العرب ويالمة الثقلين ان الفعل المضارع يقع عروضا من غير تصريع وان التنوين فى نعسة وامثالها نحو نعسة وحمقة وحبقة وسلحة وفقحة يقع قافية اليس قوله ومن يلق مفرعا على المصراع الاول ومخرجا مخرج المثل .

٩٢	١٩	البلاقع	صوابه البلاقعا بالاطلاق لكونه قافية

صفحة	سطر		
٩٣	١٣	يدناً	صوابه بدناً بغير تنوين وهلاانتبه المدرسون لذلك بقوله فى العروض انا .
٩٧	٢٢	اليهم	ما سبب هذا التبلتع .
١١٠	١٨	يغدوا	صوابه يغدو وفيه مهموم ومهدوم وكلثوم والصواب حذف التنوين منها .
١١١	٧	اره‍ف	حقه ارأف .
—	٩	بنة	ابنة .
—	١١	مجذب	صوابه مجدب .
١١٣	١٧	مراحا ـ مناحاً	صوابه بغير تنوين .
١١٥	..	متيم اثرها	صوابه اثرها اذ كيف يصح نسبة التتيم للاثر واعجب من ذلك تنوين متبول ومكبول فكيف تفعلون يا اساتيذ بالغول ارايتم كيف يوقع التحذلق فى المخازى مع ان قصيدة كعب اشهر من نار على علم .
١٢٣	١١	شيئا	والصواب شيا ليوافق قوله يديا وحيا .
١٢٤	..	الادب	والصواب الادب لانه مفعول لقوله لا ترى .
١٢٥	..		جميع قوافى القصيدة المسمطة ينبغى ان تكون مقيدة
١٣٢	..	دني	الوجه دا لكونه واويا .
١٣٤	●	كماني	صوابه كمان .
١٣٧	..	اصب	صوابه ناصب بغير تنوين
١٤٦	١٦	نثنى	صوابه نثنى . بفتح النون
١٤٧	..	اسفار	صوابه اشفار فما للاسفار هنا وللعين يا ايها المبصرون .

صحيفه	سطر	
١٥٢	٠٠	حسراناً صوابه حسرانا بغير تنوين .
١٥٨	١٦	صناعة صوابه بالكسر .
—	٢٥	مظهراً صوابه بغير تنوين .
١٥٩	٢٦	سنا ٠ صوابه سى .
١٦٩	١٢	وربت حقه وربت . بفتح الراء
١٧٤	١٣	خمس كفك صوابه خمس . بفتح الخاء
١٧٧	٠٠	بكور صواه بالضم وفيه ايضاً تشميتاً وصوابه بغير تنوين
١٧٩	٠٠	في الدعوة — الى الجفوة والصواب الوقوف على الهاء .
١٨٣	١٧	خيارهم صوابه بالكسر .
	١٨	تسل فسل الوجه تسأل وسل .
١٨٣	٢١	وصحبه صوابه بالفتح .
١٨٥	١٣	المنطق صوبه بالكسر .
	١٦	عنه الوجه ه ه .
١٨٩	٠٠	البصر الوجه البصر بفتح الصاد
	٠٠	بجيء مكررة مرتين صوابه تجيء .
	٠٠	فطورا صوابه وطورا .
		بحميئة صوابه بحماة .
١٩٥	١٣	دني صوابه دنا .
١٩٩	٠٠	المشتاة صوابه الفتح .
	٠٠	ينتقر صوابه ينتقر . بالسكون
٢٠٤	٧	جمة صوابه جمة . بفتح الجيم
—	٠٠	غمام — زنام صوابه بغير تنوين .
٢١	١٢	لاقى الاحبة الوجه لاقى الاحبة . بفتح القاف

صحيفه	سطر		
—	١٥	أبغض	صوابه ابغض .
—	١٨	اليهم	هى من التبلتع بمكان .
٢١٥	..	ان	الوجه ان . بفتح الهمزة
٢١٦	٢٤	صروفه	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى مذكور قبله
٢٢١		قنبرة	الاولى قبرة . البيت فى آخر الصفحة .
٢٢٢	١٨	يمنع ـ فترتع	صوابه يمنع فترتع . بضم العين
٢٣٢	١٧	يصنع	حقه يصنع بكسر العين
—	١٨	بدوه	صوابه بدوئه .
٢٣٦	..	اربه ـ ادبه	صوابه اربه ادبه . بتحريك الراء والدال
٢٣٧	..	وان منى لوا	الوجه وان لوا عناء وكانه ظن ان عناء هنا جار ومجرور وان تأخيرها عن لوا يكسر وزن البيت فابدلها بمنى وجعل الضمير مفردا .
٢٣٩	١٣	ياعابت الفقر	حقه ياعائب الفقر مع ان لفظة العيب المذكورة فى المصراع الثانى تهدى الاعمى الى فهم البيت ولكن اساتيذنا يحبون العبث .
٢٤٥	٢٣	إنما	حقه انما بفتح الهمزة
٢٤٧	١٤	قوسا	حقه قوساً .
٢٤٨	١٢	من ابن	حقه من ابن بكسر النون الاولى
—	—	مامة كعب	حقه مامة للاضافة بكسر التاء
٢٥٢	..	ولهاً	صوابه ولها أى ولها عليه رنين .
٢٥٥	..	المقانع	صوابه المقانعا .
٢٥٨	١٩	تسلم من ان	صوابه تسلم من ان بحذف الهمزة للوزن

صفحة	سطر	
—	٢٣	تجرب سبيل القصد حقه تحر فتصحفت الكلمة على الجميع والذي اوقعهم فى ذلك قول الشاعر فى البيت الثانى لم تجرب . وقوله ولا تسيء الظنا حقه تسيء فينكسر الوزن وقوله لدى الخبر حقه الخبر اى الاختيار
٢٦٠	..	ضلت صوابه ضلت بكسر التاء
—	..	برغوثا صوابه برغوثا بضم الباء ـ لولت صوابه لولت الاساتيذ فى محلها فاما فتح البرغوث فهو عجيب من امثالهم اذ ليس فى الكلام فعلول الا صعفوق
٢٦٢	..	تهامة صوابه تهامة بالكسر .
٢٦٣	٧	الكاس صوابه الكاسى .
—	٨	فانك انت الآكل اللابسي صوابه اللابس من لسا أى اكل اكلا شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون العظام ان تكون اللابس قافية مع الكاسى مع انهما بمعنى واحد فان الكاسي هنا من كسى لازما ولو كان من كسا المتعدى لكان مدحا وهو غير مراد افلا تشعرون .
—	٢٤	يحفظ صوابه يحفظ بفتح الفاء
٢٦٤	١٨	ممكنا « ممكنا بفتح الكاف
٢٦٧	١٨	وهن « بالفتح .
٢٦٩	٢٣	قلب حقه قلبا .
٢٧١	١٥	شتان حقه شتان بفتح النون
٢٧٦	٢٠	الله صوابه الله بفتح الهاء
٢٧٩	٢١	قبلنا « قبلنا بفتح اللام
٢٨٠	٢٣	لايستقيم البيت بقوله وتنقب فلا بد من ان تكون وتنتقب

صحيفه	سطر		
٢٨٧	١٩	وعمرى	الاولى بالضم فان الشاعر غير متنطع .
٢٩٣	٢٢	وشرب	صوابه بالفتح .
	٢٤	لجهنم	« فى جهنم فليراجع .
٢٩٥	١٤	المغزل	صوابه المغزل بكسر الميم
	١٥	ويعرى استه	الاولى ويعرّى استه بضم الباء
٣٠١		فانك الطاعم	صوابه فانك انت الطاعم .
٣٠٣	١٩	والدر	صوابه والدر بضم الدال
٣١٢	٠٠	ضبارم	« صوابه بالضم .
٣١٦	٠٠	قبله ـ بعده	صوابه قبله ـ بعده بفتح الدال واللام
٣١٩	٠٠	درنادرى	الاولى الاقتصار على احداهما .
٣٢٣	٢٧	جلاجل	صوابه جلاجل فان ذا الرمة لم يكن من المتبلتعين
٣٢٤	١٢	جلاجل	عين ما تقدم من اللهوقة وفى البيت الاول نظر
٣٢٦	١٦	ويسهر	صوابه ويسهر بفتح الهاء وحراها الظاهر انه جراها .
٣٢٩	١٧	صئيلة	صوابه ضئيلة .
٣٣٢	١٩	منجا	صوابه منجى .
٣٣٨	١٢	حنانيك	صوابه بالفتح .
٣٣٩	٠٠	انى خيرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة سوق او نحو ذلك .
٣٤٢	١٨	مرتهن	صوابه مرتهن بالفتح .
٣٤٣	١٨	عرب	صوابه عرب بضم العين
٣٤٤	٢٠	فآخر	صوابه فآخر بالكسر .
٣٤٦	٨	ظعرت	صوابه ظفرت بالكسر .
—	٩	القرون	الوجه بالفتح وقوله منآثيا ملفوت .

٣٤٧ .. في ابيات المتنبي لهوقة كثيرة .

٣٤٨ .. وقبلك صوابه وقبلك قد تكرر ذلك غير مرة ولا ادرى
كيف يصح رفع الظرف عند الاساتيذ .

٣٤٩ .. ايما صوابه ايما وقوله الرز لعله بالفتح وهو صوت السماء

٣٥٠ ٥ أو أشرخ حقه أو اشرخ .

٣٥٣ .. عنيت في الحدر عشرا الظاهر غيبت في الحدر عشرا .

٣٥٣ .. والانس صوابه والانس بالكسر .

.. ٤ ه حقه منه .

٣٥٨ ٢١ يمشون حتى ماتهر صوابه تهر .

السواد صوابه بالفتح .

٣٦١ ١٣ ان صوابه أن .

٣٦٦ .. امن تذكر جيران صوابه جيران بكسر النون

٣٦٨ .. التعما صوابه التعمى .

٣٧٠ ١٨ يسلم « بفتح اللام .

٢٥ اني الوجه انى .

٣٧٣ ٩ ركبت صوابه ركبت بكسر الكاف

٣٧٨ .. سريعة حقه سريعة بكسر التاء البيت باخر الصفحة

٣٨٧ ٣ محتقرا صوابه محتقرا اسم مفعول .

٥ ان العز « ان بفتح الهمزة

٦ بلوغ « بالفتح اسم ان .

٤٢٥ ٢١ اغيد «اغيد بالتنوين للوزن وكان ينبغي للاساتيذ ان
يفطنوا لذلك لقول الشاعر في القافية احور .

٤٣٣ ١٢ ظفرك امرك بقدرك والصواب فيها كلها الوقف

صفحة سطر

بالسكون على الكاف .

٢٣ فالنعش ادنى لها من ان اقول لعا والصواب فالتعس
فان مراده أن اقول لها تعسا اولى من قولى
لعــا واعــا تهوّر الاساتيذ فى ذلك لذكر
النعش قبله حيث قال ويقال لالعا لفلان
اى لا اقامه الله من عثرته ولا نعشه غـير
ان العبارة صريحة فى ان لعا ونعشا بمعنى
واحد فكيف يتخرج قوله اذا فالنعش ادنى
لها من أقول لعا .

٤٣٨ ١٥ نسبق صوابه بالضم أو بالكسر .

٤٥٢ ١٣ وحب بها مقتولة صوابه مقتوله بفتح التاء وتنوينها ،

٢٥ فاظهر في الاوان من الدم الدم وهى عبارة مختلة
لا يستقيم بها وزن البيت فلا بد من ترقيعه
بلفظة دا بعد قوله من أو نحو ذلك والا
فكيف يسوغ تسكين نون من وبعدها
اداة التعريف .

٢٧ آدم صوابه آدم بالتنوين للوزن وفى المصراع الثانى نظر

٤٥٥ ٥ أغلى السباء صوابه بكسر السين
ختامها صوابه ختامها بكسر الخاء

٤٥٩ ١٩ كلا حقه كلا .

٤٦٣ ١٨ زرقان والصواب بكسر الزاى
.. قبلك والصواب بالفتح وهذه خامس مرة فهل تتوركون
على الطباع كما هو شانكم اليوم وفى قوله

صفحة	سطر		عول نظر
٤٧٧	١١	تماقب	صوابه ساقب
—	١٩	الإنّي	حمه التليين للوزن
٤٨٠	٢٥	ضوه	الوجه بالفتح
٤٨٤	٢٤	البسيطه	صوابة البسيطة فاما المصغرة فلا يدخلها ال
—	٢٥	زجاج	الوجه بالضم و كذا قوله سابقا الضر
—	٢٨	قبله	صوابه بالفتح لسكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا فهل تنور كون على الطماع
٤٨٧	.		يبدو خاسنه حمه تبدو
٤٩٣	١٩	مناهل	صوابه مناهل لكونه وقع عروضا فليراجع
—	..		وفى البيتين الاخرين الوق وخروج عن التسيح
٤٩٤	..		فى بيت المتدى تنطع . وبالك من خد اسل فى البيت الآخر صوابه ويلك
٥٠١	..	اشتوا	صوابه شتوا وقوله مثل حمه الربع
٥٠٣	١٣	جانى وحياره	صوابه جناى رخيره
٥٠٨	..	بذوى الالباب وذى	صوابه لذوى الالباب اوذى
٥٠٩	١٢	والنحح	صوابه بالضم
—	١٣	تقادف	صوابه بالفتح اصله تتقادف حذفت التاء الاولى للتخفيف
—	١٩	وكل يوم	صوابه وكل منصوب بحذف الخافض
٥١٥	..	خندف	صوابه خندف البيت بآخر الصفحة
٥١٦	٦	يفنى	صوابه يفنى
—	١١	معتب	صوابه معتب
—	٢٢	كثرة	صوابه كثرة
٥١٧	١٥	بن	حقه بن
٥٢٠	٢٢	فن	صوابه فن
—	٢٩	نفذت	حقه نفذت
٥٣٣	٥	خدع	الوجه خدع

صفحة	سطر		
—	١٠	وعصره	صوابه وعصره
٥٣٥	٩	بساق	صوابه تساق
—	١٠	مثل فى	صوابه مثل فى
٥٣٥	١٤	قنعوا	صوابه قنعوا
٥٣٨	..	عرى	صوابه عرى
—	..	الشرك تعلمه	صوابه الشرك تعلمه
—	..	عماها	صوابه عماها العمى بالفتح يااساتيذ
٥٣٩	..	تجهل	صوابه تجهل
٥٤١	١٩	كانوا الاكارم	صوابه الاركام . وفى البيت الثاني لهوقة
٥٤٢	..	المغيظ المحنق	حقه المحنق بمعنى الحاقد فاما المحنق فانه بمعنى المغضب فيكون بمعنى المغيظ
٥٤٨	..	فمي	صوابه فمي البيت باخر الصفحة
٥٤٩	٩	تنكر	صوابه تنكر
—	—	ابتليت	صوابه ابتليت
—	١٩	غدت بنت	الوجه بنت
—	٢٤	قبل	صوابه قبل لكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا وهذه سابع مره فهل تتوركون علي الطباع
—	٢٥	الزبد	صوابه الربد وقوله ياعقار فيه نظر
٥٥٥	..	انس	صوابه انس
—	..	يحمد	صوابه يحمد وقوله خمسا قبله فليراجع
٥٦١	..	فوق رؤسهم	حقه رؤسهم ومثله كثير فى هذا الكتاب
—	..	جلال	حقه اجلال
٥٦٦	..	لم يلد	صوابه يلد لان المضاعف اذا جاء لازما تكون عينه مكسورة الا فى احرف نادرة
٥٦٨	..	لاسقيهم	صوابه لاسقيهم البيت باخر الصفحة
٥٦٩	..	فيعرض	حقه فيمرض
٥٧٠	٢٣	كلام	صوابه كلام

صفحة	سطر		
٥٧٥	١٢	وزهد	صوابه وزهد
—	..	يساوى	صوابه يساوي
—	..	نحو مبّرد	حقه المبرد
—	..	ها كما	صوابه ها كما
—	..	تطن	الوجه تطن
٥٩٠	..	تفهموا	صوابه تفهموا
—	..	ذوو	صوابه ذوو وكان الاساتيذ قاسوا الجمع على المفرد
—	..	بال	حقه بال فان القوافي كلها مقيدة
٥٩٥	١٣	تعلم	صوابه تعلم
٥٩٧	..	بالمشرف	صوابه بالفتح
٦٠٨	٢٣	ارحم	صوابه أرحم
٦١٠	٢٢	ويحسن لها	صوابه ويحسن دلها
٦١١	..	ا كارعة	حقه اكارعه
٦١٤	١١	قبل الاجل	صوابه من قبل الاجل ليستقيم الوزن
—	١٣	ليلا	الوجه ليلي
٦٢٦	..	جملنا عوارض	صوابه عوارض البيت باخر الصحفة
٦٢٧	..	ينصحان	صوابه ينصحان
—	..	واصبر	صوابه واصبر وكذا فى الثانية
٦٢٨	..	يجىء	صوابه يجى ملينة للوزن
٦٣٣	١٠	جسم مكررة مرتين	والصواب جسم
—	..	فى الابيات الاخيرة منع مسلم من الصرف اولى من كسر البيت	
٦٣٣	١٠	وقوله بارد	صوابه بالتنوين والطهور بالفتح لا بالضم
٦٣٥	١٥	الاشقين	حقه الاشقين
—	..	مطبخة	صوابه مطبخة وساباط حقه بالكسر اوبالالف
٦٣٩	..	نائلك	حقه نائلكم لانه واقع عروضا
٦٤١	..	سعاد	صوابه سعاد وأثرها صوابه بالفتح وهذه ثانى مرة
٦٤٥	١٠	ضرغام	صوابه بالكسر

صفحة	سطر		
—	١٣	ومصابح صوابه مصروفا لوقوعه عروضا	
—	١٩	ودار وفار	حقهما السكون للقافية
٦٤٦	..	السعلاث	حقه السعلاة وعمرو بن مسعود شرار الوجه فيها كلها النصب
٦٤٩	١٥	اربعة	ص اربعة وفى جبرئل تلهوق ونصل حقه فصل
٦٥٠	..	بزوج ابن	الرواية تزوج ابن
٦٥٣	..	معاذ الله	صوابه معاذ
٦٥٨	..	شديد	الوجه بسكون الاخر
٦٦٠	..	ترين	صوابه ترين واعلم صوابه واعلم
—	..	من الحرفه	الوجه من الحرفة
٦٦٢	..	وطيا	حقه وطيئاً
—	..	فقصر كما	صوابه فقصركما اى غايتكما ومصيركما
—	..	وتالد	صوابه تلدا
٦٦٢	..	فتى هواحيا	الروايه كان احيا
٦٦٤	..	لعل الله	صوابه الله البيت باخر الصفحة
٦٦٨	..	يخزنى	صوابه يحزني
٦٦٩	..	مزيد	صوابه مزيد لوقوعه عروضا
٦٧٢	..	أحب	صوابه أحب
٦٧٤	..	شوامش	صوابه شوامس وشوامس الثانية ينبغى ان تكون مجرورة بالكسرة او بالف الاطلاق
٦٧٨	..	خبزه	صوابه خبزه
٦٧٩	١٤	شيا تجر	حقه يجر
—	٢٢	اخف	صوابه اخف
—	٢٣	وابصر	صوابه وابصر

ومازال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر المقامات ولو تقصيت كل ما وقع من الغلط . والتحريف فى المتن والشرح لكان مقدارا عظيما وكفى بما اوردته شاهدا على علمية المشار اليها وكذب دعوى صاحبهما فاما

ما انتخبه الاستاذ الاعظم مسيو كسان د. پرسفال من قصة عنترو ما الفه في كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة الركيكية فغير جدير بان يضاع فى نقده الوقت اذ كله فاسد

تم الذنب

(تنبيه) من عادة الاساتيذ المزبورين ومن اشبههم ممن الف فى العربية شيئاً ان يعتذروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورك على الطباع او على صفاف الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط انما ينشأ عن جهلها باللغه كما ذكر لى ذلك الكنتة الكس دكرانج Alix Desgrange نقلا عن الاستاذ كسان دپرسفال وهو عذر اقبح من ذنب فان الصفاف كيفما وجهته اتجه ومهما ترسم له يتمثله الا ترى ان مسيو بيرو M. Perrault rue de Castallane 15, Paris مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيئاً فقد امتثل كل مارسمنا له فى كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التأني وبذل مجهوده فى صف الحروف وجودة الطبع حتى جاء بحمد الله احسن ما طبع بلغتنا فى البلاد الافرنجية فلهذا نوه اسمه عند كل من شاء ان يطبع شيئاً بالعربيـة ولا انهم يحمدون سعيه ويرضون عن صنعه وان لم يكن فى المطبعة السلطانية وكفى بحسن العمل وصاة .

تم الكتاب والحمد لله

فهرست الجزء الثانى

صفحة

الكتاب الثالث

الكتاب الرابع

صفحه